بحث مقدم إلى:

جائزة رابطة العالم الإسلامي في السيرة النبوية :

أخلاقيات الحرب
في السيرة النبوية الشريفة

أعده الفقير إلى الله

د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

أستاذ م الإعلام التربوي ، مدير عام التخطيط والمتابعة ،

بوزارة الإعلام / الهيئة العامة للاستعلامات

مصر / محافظة المنوفية / قويسـنا ٣٢٦٣١ /٣ شارع غراب

تليفون منزل ٠٠٢٠٤٨/٢٥٧٣٨٢٦، مكتب٠٠٢٠٢/٢٦١٠٧٤٠

فاكس ٠٠٢٠٢/٢٦٠٥٦٥٢،٢٦٠٥٧٩٩ـ محمول ٠٠٢٠١٢/١٤٤٦٩٠٠

ربيع الأول١٤٢٨هـ /إبريل٢٠٠٧م

إهداء

إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

هذه سنة وأخلاق نبيكم وقائدكم ومعلمكم

محمد بن عبد الله ع

في الحرب ، فإن تمسكتم بها أفلحتم

وأيدكم الله بنصره وتوفيقه

الباحث

الفهرس

الموضوع — رقم الصفحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على نبينا وعظيمنا وسيدنا محمد ε أعظم صلاة وأطيب تسليم ، ،،، أما بعد ،،،،،

فلقد منح الله سيدنا ونبينا المصطفى ε محاسن وصفات وأخلاق لم يعطها لأحد من العالمين ، فهو على خلق عظيم كشهادة كبرى من الحق سبحانه وتكريم عظيم بهذا الخُلق العظيم ، فالله هو المانح لهذه الشهادة الكبيرة ، فإذا كان النبي ε على خُلق عظيم فهو أيضاً أسوة حسنة لنا جميعاً ، وقدوة لنا ، فنحن مطالبون بالتخلق بأخلاق النبي المصطفى ε مصداقاً لقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) ([1]) ، فالله أمرنا أن نقتدي برسول الله ε في أخلاقه العالية العظيمة في السلم وفي الحرب ، ولم لا ؟؟!! ، فمن أخلاق النبي ε الجهاد والمجاهدة ، والحياء والسخاء ، والتوكل والرضا ، والذكر والشكر ، والحلم والصبر ، والعفو والصفح ، والسكينة والوقار ، والتواضع والجود ، والقوة والشجاعة ، والإخلاص والصدق ، والزهد والقناعة ، والخشوع والخشية ، والخوف والرجاء ، والخضوع والدعاء ، والتهجد والعبادة ..الخ من الأخلاق العظيمة ...

وكلام الله عز وجل أوامر وتعليمات لا يجوز تجاوزها لأنها شرع شرعه الله لنا ، فإذا تحدثنا عن أوامر الله من كتابه العزيز ، فإننا نتحدث عن رسول الله ε بأخلاقه وقيمه ومُثله ، لأن خُلق سيدنا محمد ε من القرآن ، فعن سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ε ؟ ، قَالَتْ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ ، قَالَتْ : لا تَفْعَلْ أَمَا تَقْرَأُ (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ε وَقَدْ وُلِدَ لَهُ) ([2]) ، وهذا يعني التأدب بأدبه والتخلق بمحاسنه والالتزام بأوامره وزواجره ، فهو ε على أدب عظيم من ربه ومن قرآنه ، فأدبه ربه على أدب القرآن العظيم ، إنه لرسول كريم اختصه الله سبحانه وتعالى بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ليكون قدوة للبشر أجمعين ، فهو النبي الخاتم والرسول الحبيب ε والعظيم في سائر أخلاقه ، في السلم وفي الحرب ، بل برزت تلك الأخلاق كأعظم ما تكون في زمن الحرب وفي وقت الحرب ، وبرزت خلالها أخلاق النبي ε العظيمة ، فعن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ε فِي التَّوْرَاةِ قَالَ : (أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وَحِرْزًا

---

[1] ــ سورة الأحزاب:الآية ٢١ .

[2] ــ رواه أحمد حديث رقم ٢٣٤٦٠ .

لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) (غُلْفٌ) كُلُّ شَيْءٍ فِي غِلافٍ سَيْفٌ أَغْلَفُ وَقَوْسٌ غَلْفَاءُ وَرَجُلٌ أَغْلَفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْتُونًا) ([1])

وعن إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ε أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلا بِالْقَصِيرِ) ([2]) ، فهو بهذا الوصف أجمل خلق الله تعالى خَلقاً وأكملهم خُلقا ، بل هو فياض المكارم والكمالات ومثال الخلُق العظيم على العالم بأسره .. فكان خُلقه ε القرآن وكان مجلسه ε مجلس علم وحلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، يتعاطفون بالتقوى ، يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويؤنسون الغريب ...

فهو ذا الوصف الجامع الكامل الشامل، فلقد كمُل بفضل ربه ، ظاهراً وباطناً ، فما من خلق كريم ، ولا من صفة حسنة وما من أدب رفيع إلا وتجده متحققاً في نبينا الكريم ورسولنا العظيم ε ، في السلم ، وفي الحرب ، وقبل الحرب ، وفي أثناء الحرب ، وبعد الحرب ، فما أجملك وأكملك يا حبيبي يا رسول الله ε ، فأنت القدوة والمقتدى به، وأنت المثل الحي لكل صفة جميلة ولكل خُلق عظيم، وخصوصاً في الأزمات والحروب والمحن، التي تظهر فيها معادن وصفات الرجال الحميمة..

وإذا كان سبيل الله (الجهاد) هو توحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بمحاسن الأخلاق ، فإن محاسن الأخلاق نأخذها عن رسول الله ε في حربه وسلمه ، لأن الجهاد في سبيل الله لا ينقطع طوال الحياة الإنسانية للمسلم ...

وها أنا ذا ، أقترب من خُلق الحبيب ε العظيمة في الحرب : قبل وأثناء وبعد الحرب ، لنلتمس بعضاً من جواهره ونوره وحميد صفاته وعظيم أخلاقه ومحاسن معاملاته وأطيب صفاته في الحروب وفي زمن الحروب ، لنجد الدرر الثمينة والوصايا المتينة والممارسة الفريدة في كافة مجالات الأخلاق العظيمة لسيد البشر أجمعين ε ...

فهيا معي إلى هذه الوجبة الشهية ، لنرتشف لحظات المكارم والأخلاق لرسول الله ε في الحروب ، علنا نتأسى بها ونعيش مثلها ونقتدي بها، لنفوز بالسعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة ...

والحمد لله رب العالمين في الأول والآخر والظاهر والباطن ...

الباحث مايو ٢٠٠٧/ ربيع الثاني ١٤٢٨

---

[1] ــ رواه البخاري حديث رقم ١٩٨١ ، ورواه أحمد والدارمي .

[2] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٢٨٥ ومسلم ٤٣١٠ .

الفصل الأول

تأصيل لمفهوم الحرب في الإسلام

الحرب في الإسلام : ماهي ؟ ، وما أهم مظاهرها؟ ، وكيف نعرف مشروعيتها ؟ ، وفي هذا الفصل نبدأ بكلمة موجزة عن أخلاق النبي وآدابة ، ثم نتعرض لمفهوم الحرب ، قبل أن نتعرض للجهاد وللحرب المشروعة في الإسلام وأسسها ...

١ ــ كمال أخلاقيات النبي ε وأدابه المُثلى :

بلغ رسول الله ε الغاية في كمال الأخلاق حتى أثني الله عليه ، فجمع بين كل الأخلاق الحميدة وجميع الآداب الشريفة ، فمثلت كلها خلق رسول الله ε ، فعن سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ε ؟ ، قَالَتْ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١) ، وحقا كما قال الشاعر (٢):

الحق أنت وأنت إشراق الهدى ‏ ‏ ‏ ولك الكتاب الخالد الصفحات
من يقصد الدنيا بغيرها يلقــها ‏ ‏ ‏ تيهاً من الأهوال والظلمـــات
لما أراد الله جـــــــل جلاله ‏ ‏ ‏ أن ينقــذ الدنيا من العثرات
أهداك ربك للورى يا ســيدي ‏ ‏ ‏ فيضاً من الأنوار والرحمات
يا صاحب الخلق العظيم عرفته ‏ ‏ ‏ بالحــق والأنوار والصلوات
فطلعت في اللــيل البهيم مؤذناً ‏ ‏ ‏ وبســــطته في حكمة وأناة
وصبرت ثم هجــرت ثم ضربت ‏ ‏ ‏ في أعناقهـــــم عزة وثبات
وضربته مثلاً لكل مكــــــــابر ‏ ‏ ‏ لا يســـتوى حق بغير حماة

[1] ــ رواه أحمد حديث رقم ٢٣٤٦٠ .

[2] ــ راجع في خلق رسول الله ε : مجدي حبيب الريس ، من أخلاق المسلم ، القاهرة ، الشــركة العربيــة للنشــر والتوزيع ، ١٩٩٩م ، ص٨٥وما بعدها .

فلقد كان خلقه ε القرآن ، وكان أدبه من القرآن ، فكان كله من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والجود والسخاء والوفاء وحسن العهد ووصل للرحم والسماحة والعفة والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة ، في كافة الأوقات وفي جميع الحالات ومع الأصدقاء والصحابة ومع الأهل ومع الأعداء ، كانت فضائلة كثيرة ، فكان نظيفاً يحب النظافة ، وكان رزيناً يحب التعقل والتفكير والتدبر ، فكان موفور العقل وذكي اللُب وقوي الحواس وفصيح اللسان ومعتدل الحركات وحسن الشمائل ..

وإذا كان الرسول ε المثل الأعلى والقدوة والأسوة الحسنة ، فهذه حقيقة أكدها النبي في كل مراحل حياته ، لأن المثل الأعلى هو جماع المحاسن والكمالات التي تكون عادة في مختلف الأفراد ، مجردة من شوائب النقص ، بحيث يتكون منها مثال كامل للبشر ، وكان محمد ε مثال كامل للمُثل الأعلى منذ طفولته حتى انتقاله للرفيق الأعلى ، لأن كل حياته واضحة مسجلة على يدي المؤرخين والرواة ، وسجل حياته كامل غير منقوص وسنته القولية والفعلية والتقريرية يتمم بعضها البعض ، وهو النبي الوحيد الذي مارس بالفعل كل المبادىء التي كان يلقنها للناس ، ولن تجد في القرآن الكريم حكماً واحداً أو أمراً لم يعمل به النبي محمد ε، فلقد تقلب ε من مكة إلى المدينة ومن اليتم صغيراً إلى أن أصبح نبياً عظيماً وحاكماً قديرا ، في جميع مراحل الحياة ، فمارس ضروبها ووفى بحقوق المراتب كلها ، ونفذ على الأرض تعاليم السماء والأخلاق والآداب القرآنية على اختلاف أنواعها ، وبذلك صار المثل الأعلى للقدوة الكاملة([1]) ، فلقد كان طفلاً وشاباً وشيخاً ووالداً ووزوجاً وجاراً ورفيقاً وصاحباً ، وجندياً وقائداً وفاتحاً ومدافعاً ، ومهاجراً ومضطهداً ومطارداً ، وتاجراً وملكاً وقاضياً ، ورجلاً في السراء والضراء ، وكان في كل هذه المراتب على اختلافها هو هو لم يتغير من البداية إلى النهاية ، فكان مثال الإنسان الكامل ، ثابتاً على العهد لم يتغير طبعه ولا خُلقه ، ولا اختلفت معاملته للناس ، ولا تغير أسلوب معيشته ، فإذا كان الرخاء قد أظهر منه السخاء والعفو والشهامة والمروءة ، فإن الشدة قد أظهرت منه الصبر على النائبات والثبات على المُلمات والثقة في خالق الأرض والسماوات ...

فهذه خُلق النبي العظيم ε وآدابه المثلى في السلم ، وفي الحرب ، مع أنهما لا ينفصلان ، إلا أنني سأركز على أخلاق النبي في الحرب ، لأن أخلاق النبي ε العظيمة سلماً كانت كما هي في الحرب ، وهي أمامنا لنرتشف منها ونأخذ منها ونتتبعها لنقتدي بها في كل وقت وحين ، ولم لا؟! ، فلقد كان النبي يأمر بمكارم الأخلاق ، ففي بَاب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (كَانَ النَّبِيُّ ε أَجْوَدَ النَّاسِ وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ε قَالَ لأَخِيهِ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، فَرَجَعَ فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ

---

[1] ــ راجع : أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦، ص ٦٢٦ــ٦٢٧ .

الأَخْلَاقِ) (1) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ) (2) ، وفي رواية مالك (إنما بعثت لأتمم حُسن الأخلاق)...

ونلاحظ أن الرسول ε قد أعلن وثيقة هامة في حجة الوداع ، من خلال خطبته الشهيرة في هذه الحجة ، والتي نوردها هنا كمثال هام للأخلاق الإنسانية والإسلامية الشاملة التي دعانا إليها ε في السلم وفي الحرب : ففي خطبة الوداع (عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε حَاجٌّ حَتَّى أَتَى رسول الله ε عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ ، قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ .. اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ)(3) .

وفي هذا الحديث الشريف وهو وثيقة هامة وعظيمة وجامعة في مجال حقوق الإنسان نستخلص منها بعض الأخلاق الواسعة التي دعانا إليها رسول الله ε ومنها : (4)

- حرمة النفس والدماء .
- حرمة المال والأعراض .
- التسامح والعفو عن الدماء في الجاهلية.
- التحرير الاقتصادي للمجتمع من آثار الربا .
- الحقوق الواسعة للمرأة والتوصية بحسن المعاملة والعناية بها ، والاهتمام بها باعتبارها نصف المجتمع والدعوة لإقامة حياتها مع الرجل على الحب المتبادل والوفاء والمودة والسكينة .

---

1 ــ رواه البخاري .

2 ــ رواه أحمد ٨٥٩٥ .

3 ــ رواه مسلم في صحيحه ٢١٣٧ ورواه أبوداود في سننه ١٦٢٨ وابن ماجه في سننه ٣٠٦٥ والدارمي في سننه ١٧٧٨ .

4 ــ هدى محمد قناوى ومحمد محمد على قريش ، حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدولية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٨م ، ص٦١ــ٦٣.

- المساواة الكاملة بين الناس في كل زمان ومكان بصرف النظر عن اللون أو المكانة الاجتماعية أو الجنس .
- المعالم الصحيحة للمجتمع القوى المتماسك الذي يسوده التعاون والوفاء والحب والبر والرحمة والتعاطف والخير والسعادة والطمأنينة والاستقرار والتقدم ، وهي كلها مداخل لحقوق الإنسان أو نتائج للتطبيق الكامل لحقوق الإنسان .
- أداء الأمانات لتقوية العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني.

ومن هذا المنطلق نبحث في فصلنا هذا تأصيل مفهوم الحرب في الإسلام ، لأن الحرب في الإسلام ليست غاية ولا وسيلة ، وإنما ضرورة للدفاع عن النفس والدفاع عن العقيدة الإسلامية ..

2 ـ مفهوم الحرب في الإسلام :

الحياة في نظر المسلم لها قيمة غالية ، لأن المسلم يعمرها بالإيمان بالله وعبادته ، ويُعَمِرُهَا بالعمل ، لذلك فهو يدعو للسلام وينشره ليعيش في أمن وهدوء واستقرار ، لكن .. قد تُفْرَض عليه الحرب ، فعليه أن يدافع عن نفسه وأهله وماله ومجتمعه ودينه .. ولهذا نبه الإسلام على المسلم أن يكون دائماً على أهْبة الاستعداد وأن يُعِدَّ العُدة التي تُمكنه من الرد على المعتدي وبنفس القوة وأكثر ، ولهذا قال الله سبحانه : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) ([1]) ...

فالحرب في الإسلام تقع في حالة الضرورة فقط : كالدفاع عن النفس أو رَدَّ المعتدي أو تأديب أحد المتمردين الخارجين عن النظام أو القاطعين للطريق ، أو السارقين والقاتلين ، وغير ذلك ، فالحرب إذا ليست هي الغاية ، وإنما هي وسيلة لتطهير المجتمع وتأمينه وتسهيل تبليغ الدعوة وتأمين الطرق ..

لذلك فإن الأساس في الإسلام هو السلم والانتاج والتنمية ، ففلسفة الدعوة الإسلامية تتركز حول حالة السلام ، وهي القاعدة ، ولكن الحرب تفرضها الضرورات ، فهي ضرورة لتحقيق خير البشرية وتأمينها من شرور الباغين والظالمين والمعتدين ...

ويجب أن نعرف أن الحرب ليست الأصل في الإسلام ، ولكن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم وليست الحرب ، ولكنها : (ضرورة قصوى في حالة عجز كل الجهود التي يبذلها المسلمون في سبيل تدعيم العلاقة السلمية بينهم وبين غيرهم ، هنا تكون الحرب ضرورة طارئة ،

---

[1] ــ الآية ٦٠ سورة الأنفال .

فإذا ما قامت الحرب فلابد أن تكون حرباً عادلة في جميع الأحوال، وأن يكون إعلان الحرب بواسطة ولي أمر المسلمين (حاكمهم) حتى تكون حرباً مشروعة)([1]).

وإذا كانت الحرب ضرورة مفروضة على المسلمين في حالات محددة على سبيل الحصر : لرد العدوان ، أو رفع الظلم والغبن عن الناس ، أو الدفاع عن النفس والعقيدة والدين ...

فإن الإسلام قد هَذَّب فكرة الحرب ، ورفع من شأنها ، ووضع لها القواعد الإنسانية العامة التي يلتزم بها المسلمون في أثناء الحرب ، فأمر :

ـ بالكف عن القتال إذا كف عنه العدو ..

ـ والاستجابة إلى دعوة السلم والسلام والمهادنة ، إن لاحت أي بارقة أمل فيه ..

ـ لأن حالة السلم هو الأصل في جوهر المفهوم الإسلامي([2]).

فالحرب والقتال في الإسلام يجب أن يكون في سبيل الله والمراد أن تكون غايته (كما قال أحد المفكرين المسلمين) ([3]):- حماية الكون من الفساد وحماية بيوت الله من التخريب ولا تكون غايته دنيوية كاستعمار الأرض أو الاستعلاء على خلق الله ، على نحو ما نحن عليه الآن في العالم المعاصر ، من جنون القوة ...

كما أن سبيل الله يُراد به التمكين في أرض الله لكلمات : الحق والعدل والخير وصون حقوق الإنسان ، وذلك وفقاً لنص الآية الكريمة : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) ([4]) ...

ولعل أعظم ما يحسب للإسلام من رقيه الحضاري في مسألة استخدام القوة والحرب : أنه جعل من أهم وأقدس مسئوليات المسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن المظلومين والمستضعفين في الأرض الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ...

فالقتال والحرب في الإسلام لا تكون إلا بهدف سامي مثل : السلام ، أوللدفاع عن النفس ، أورد الظلم عن المظلومين ...

---

[1] ـ نصر فريد واصل ، محمد رسول الإسلام والسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ١٨٠ / ١٩٧٦م ، ص ٨٢وما بعدها .

[2] ـ محمد فرج ، فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية ، القاهرة ، الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة الثلاثة ، الكتاب الخامس والأربعون ، فبراير عام ١٩٧٢م ، ص٦ـ٧.

[3] ـ عبد الصبور مرزوق ، رسائل إلى عقل الغرب وضميره : عالمية الإسلام وإنسانيته ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٦م ، ص٢٩٦ـ٢٩٩ .

[4] ـ سورة النساء:الآية ٧٥ .

٣ ــ الحرب المشروعة في الإسلام :

الحرب في الإسلام تقع لمواجهة مخاطر التهديد أو لردع عدوان مقبل أو لمواجهة عدوان فعلي وقع بالفعل ...

فهي إذن ضرورة للحفاظ على المُثل الإنسانية العليا ، التي جعلها الله غاية للإنسان في الحياة الدنيا ، وهي ضرورة لتأمين الناس من الخوف وتسيير حركتهم ضد الظلم ، وهي كذلك ضرورة لتأمينهم من الضرر ، فالحرب ضرورة لتحقيق العدل وإيصال هذا العدل للناس كافة ([1]) .

لذلك ، فرض الله عز وجل القتال على الناس ، وهو كُرْه لهم ، لكن تبين من الواقع أن له أثراً في إقرار الحرية الدينية ، وحماية الأنفس والأموال والأوطان ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، ونشر مبادىء الحق والعدل والإخاء والمساواة ...

فالقتال الذي فَرَضَه الإسلام : دفاع الشرعي عن النفس ولكَسْرِ شوكة المعتدين الذين يتربصون بالإسلام ...

وهكذا .. تتركز الفلسفة الحقيقية للحرب في الإسلام على أساس : أن الإسلام ارتقى بفكرة الحرب وسَمَا بأسبابها ، فالحرب هنا لا تبغي امتداداً لحدود وطن أو مجداً لشخص أو عزاً أو سلطاناً لبشر ، وإنما شُرِعت الحرب دفاعاً عن الدين والنفس والعقيدة ..

ويركز الجوهر الفلسفي للحرب في الإسلام على : أن الإسلام لا يُنظم قواعد الحرب عند اشتعالها فقط ، بل يجعل مبادئه ــ إذا أحسن فهمها وساد اعتناقها ــ كافية لاستئصال الحرب من جذورها ، لأن منهج الحرب في الإسلام يتجه :

<u>أولا</u> :إلى تفاديها ، عن طريق الوقاية منها بطرق مختلفة وأسباب متعددة...

ويتجه <u>ثانياً</u> : إلى وضع تنظيم إنساني شامل لها ، لتفادي نتائجها السيئة قدر الإمكان والحيلولة دون إطالة استمرارها أو العودة إليها ....

بل تصل هذه الفلسفة الإسلامية للحرب إلى عدم الاستسلام والعيش في ذُلِ واستكانة لأعداء الإسلام ، هنا يدعو الإسلام معتنقيه أن يحاربوا دفاعاً عن عقيدتهم وكرامة أوطانهم ([2]) ...

---

[1] ــ عثمان السعيد الشرقاوي ، شريعة القتال في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الزهراء ، ١٩٧٢م ، ص٣٣ .

[2] ــ محمد كمال الدين إمام ،الحرب والسلام في الفقه الدولي الإسلامي ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٩٧٩م ، ص٣٩ــ٤١ .

فمن قُتل وهو يدافع عن دينه فهو شهيد ، وهو عند الله يَحْيَا حياة برزخية لا يعلمها إلا الله الذي أخبرنا عن ذلك بقوله : (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) ([1]) ...

فالإسلام في جميع مراحل دعوته الخالدة وَجَّهَ دعوته وأقام الحجة وناقش الرأي بهدوء ، ولم يلجأ للسيف إلا دفاعاً عن الحق ، ويقول العقاد ([2]) (إن السيف لم يعمل في انتشارالدين إلا القليل مما عملته القدوة الحسنة والإقناع ، فإن البلاد التي قَلَّتْ فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يوجد فيها أكثر مُسلمي العالم وهي أندونسيا والهند والصين وسواحل أفريقيا)

كما أن إيثار السلم في العلاقات الاجتماعية وصيانة الحقوق من أهم مباديء الإسلام الخالدة ، فالإسلام يؤثر السلم على القتال ، فإذا ما اعتدى أحد على الإسلام فلا مَفَرَّ من الردِ على العدوان دون التوغل في الانتقام والتَّشَفِي ، فالحرب المباحة في الشريعة الإسلامية تقع استثناء للقاعدة العامة التي هي : السلم الدائم والسلام المستمر بين البشر ...

ونلاحظ عدم تَغَيُر مباديء الحرب الإسلامية منذ بدء الدعوة الإسلامية على يد الرسول ع ، ولم تتغير تلك النظرة بتغير الأسلحة ، وذلك لأن العنصر الأساسي لكل كفاح ولكل حرب هو العنصر البشري الإنساني([3]).

فالحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية لا الحرب الهجومية العدوانية ، لقول الله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ([4]) ، ولذلك يُقَيدُ الإسلام الحرب بالعدل والتقوى ، بمعنى التزام حدود الله فلا بَغْيَ ولا إسراف ورعاية حُرمة الدماء والأعراض والكرامة الإنسانية ، فلا اغتيال بغير مواجهة ، ولا تمثيل بجثة ، ولا إهدار لدم أسير ، وعدم المعاملة بالمثل في انتهاك الحرمات ([5]) ...

ولكن إذا قامت الحرب وَجَبَ على المسلمين أن يكونوا رجلاً واحداً تحت قيادة منظمة ، لأن الحرب أصبحت فريضة وأصبح الجهاد فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة...

فالحرب في الإسلام هي :

- حرب دفاعية ، وحرب ضرورة ...

---

[1] ــ الآية ١٧٠ سورة آل عمران .

[2] ــ عباس محمود العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٨٢ــ٨٣ .

[3] ــ محمد غتياني ،النضال المسلح في الإسلام ،بيروت ،دار العودة ، ١٩٧٣م، ص١٨.

[4] ــ الآية ١٩٤ سورة البقرة .

[5] ــ راجع : محمد كامل حته ، القيم الدينية والمجتمع ، مرجع سابق ، ص٢٢٧ــ٢٣٣ .

- وإذا ما وقعت يقع معها حكم الضرورة ، دون أي تجاوز أو عدوان ، لأن الإسلام يُقرر الحرب من أجل :
- تأمين الدعوة الإسلامية ..
- والدفاع عن الدولة الإسلامية ..

ويشترط للحرب المشروعة في الإسلام خمسة شروط أساسية هي :([1])

أ ــ ألا تُعلَن الحرب لنشر الدعوة ، لأن ذلك ممنوع بنص القرآن القاطع ، يقول الله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ([2]) ..

ب ــ ألا تُعلن الحرب إلا دفعاً للعدوان سواء أكان هذا العدوان واقعاً بالفعل أو مستيقن الوقوع ، ولهذا كانت غزوات الرسول ε وفتوحات المسلمين سعياً وراء هذا الهدف الوحيد ، وفي حدوده ومجالاته ، ولم تتجاوزها أبداً.

ج ــ إذا قامت الحرب فإنها تأخذ حكم الضرورة ، ولا يجوز بحال من الأحوال تجاوز حدود الاعتداء ، بقصد الانتقام أو غيره ..

د ــ يُستَحب وقف القتال متى لاحت فرصة السلام لأي ظرف من الظروف ، لقول الله تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ([3]) .

هــ ــ لا يُقِر الإسلام حرب العدوان ، ولا يُقِر الفتح لبسط السلطان ، ولا الحرب من أجل النفوذ والاستعمار في أي شكل من أشكاله...

فالحرب في الإسلام مشروعة للدفاع عن الدين والوطن والنفس ، ولذلك فقد أجاز الإسلام الحرب في حالتين اثنتين فقط هما ([4]).

<u>الأولى :</u> حالة الدفاع عن النفس والدين والحرية والعقيدة والمبدأ الشرعي والوطن ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ

---

[1] ــ محمد كمال الدين إمام ، الحرب والسلام .. ، مرجع سابق ، راجع :ص٥٤ــ٥٩ .

[2] ــ الآية ٢٥٦ سورة البقرة .

[3] ــ الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣سورة الأنفال .

[4] ــ محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، العدد ٧٩ مارس ١٩٧٥م ، ص٣١ــ٣٢ .

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ([1]).

الثانية : رد الاعتداء ودفع العدوان ، ورفع المظالم ، رغبة في إقامة العدل ونصرة المظلوم ، وذلك دون تجاوزات أو تنكيل ، بل وحرّم الإسلام العدوان بغير حق ، واعتبره عدواناً غير مشروع ، ونادى بمُسالمة المُسالم وعقد الصلح ، طالما طالب الأعداء بذلك ، قال تعالي في الترهيب وإعداد العدة لتخويف الأعداء والجنوح للسلم إذا ما أراد الأعداء ذلك : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) ([2]) .

ولذلك نجد نظرة الإسلام للحرب نظرة عالمية إنسانية سامية بعيدة عن الهمجية ، وذلك رغم مشروعية وفرض الجهاد على المسلمين ، لأن الجهاد من أفضل العبادات فالمجاهد يخرج للجهاد متصلاً قلبه بالله ، اتصال معرفة ويقين ، قاطعاً نفسه عن كل أمور الدنيا ، مناضلاً للدفاع عن الدين والوطن والإنسانية والشعب ، وعن نفسه وماله ، مصوناً للعرض والشرف والكرامة ([3]).

٤ ــ الجهاد في الإسلام ضرورة من أجل الحق :

الجهاد في سبيل الله هو : بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة المجتمع الإسلامي ، وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه ، وأما غايته : فهو إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة ...

ولقد مرَّ الجهاد الإسلامي بعدة مراحل :

ــ ففي صدر الإسلام كان مقتصراً على الدعوة السلمية مع الصمود في سبيلها للمحن والشدائد ، ثم شرع إلى جانبها ...

ــ ومع بدء الهجرة ، جاء القتال الدفاعي : أي رد كل قوة بمثلها ...

ــ ثم شرع بعد ذلك قتال كل من وقف عقبة في طريق إقامة المجتمع الإسلامي ، على ألا يُقبل من الملاحدة والوثنيين والمشركين إلا الإسلام ، وذلك لعدم إمكان الانسجام بين المجتمع الإسلامي الصحيح وما هم عليه من الإلحاد والوثنية ، أما أهل الكتاب فيكفي خضوعهم للمجتمع الإسلامي وانضواؤهم في دولته ، على أن يدفعوا للدولة الإسلامية ما يسمى الجزية ، مكان ما يدفعه

[1] ــ الحج الآيتين ٣٩ ، ٤٠ .
[2] ــ الآية ٦٠ سورة الأنفال .
[3] ــ محمد السعيد طنطاوي ، الإسلام يرسم للمجاهدين طريق النصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٧١ ،ص١٥ ــ١٦ .

المسلمون من زكاة ، نظير ما توفره الدولة لهم من حماية وأمن ... وعند هذه المرحلة الأخيرة ، استقر حكم الجهاد في الإسلام ، وهذا هو واجب المسلمين في كل عصر إذا توافرت لهم القوة والعدة اللازمة (١)، وفي ذلك يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٢) ، وعنها أيضاً يقول الرسول الكريم ε الذي رويَّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε قَالَ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) (٣) ، وفي رواية أخري : عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) (٤)، وعن هذا الحديث يؤكد أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ε نفس المعنى : فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ε وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي اللَّه عَنْه وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ رَضِي اللَّه عَنْه : (كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) ، فَقَالَ أبوبكر الصديق رضي الله عنه : (وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ε لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا) ، هنا قَالَ عُمَرُ رَضِي اللَّه عَنْه: (فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِي اللَّهم عَنْه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ) (٥)...

فهدف الجهاد في الإسلام هدف سَام يتصل برُقِي الإنسان وإعلاء شأنه ، لأن هدفه هو : إخراج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، لأن الإسلام بطبيعته دعوة عالمية ، هدفها هداية الناس إلى الخير ، وإخراجهم من الضيق الناجم عن الضلال الذي كان يسيطر عليه ، لكي يُطِلُّوا على العالم كله ، ويروا خلق الله ، ويعلموا ما ينتظرهم من مصير في الآخرة ...

كما أن أهداف الحرب في الشريعة الإسلامية تتمثل في ثلاثة أهداف هي :

---

[1] ــ محمد سعيد البوطي ، فقه السيرة النبوية : مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، القاهرة ، دار السلام بالاتفاق مع دار الفكر المعاصر ببيروت ، ١٩٩٩م ، ط ٦ ، ص ١٢٦ــ١٢٧ .

[2] ــ سورة التوبة ، الآية ١٢٣

[3] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٤ ، ورواه مسلم ٣١ .

[4] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٧٢٧ ، ورواه مسلم ٣٠ والترمذي ٣٢٦٤ والنسائي ٣٠٣٩ وابن ماجه ٣٩١٧ وأحمد ١١٢ .

[5] ــ رواه البخاري ١٣١٢ ، ورواه مسلم ٢٩ والترمذي ٢٥٣٢ والنسائي ٢٤٠٠ وأبوداود ١٣٣١ وأحمد ٦٤.

ــ حماية الحرية الدينية ، وذلك بتوضيح أحكام الشريعة الإسلامية أمام العالم ، لأن رسالة الإسلام للناس كافة ...

ــ ثم تحقيق حرية العقيدة أمامهم ...

ــ والدفاع ضد العدوان ، فهذا حق تجيزه كل الشرائع لأي فرد أو دولة يُعْتَدى عليها ، أن تقوم برد العدوان بشرطين : حدوث اعتداء فعلى ، والتناسب مع الفعل الذي مورس فيه العدوان ، والحرب لمنع الظلم ، لأن الإسلام يحمي حرية العقيدة والدين لكافة الناس ، ويحترم الأخوة الإنسانية ، ويأمر المسلم والدولة الإسلامية بأن يكون الجميع إيجابياً يتعاون مع غيره على البر والتقوى .(١)

فالجهاد له معنى عام وهو (٢) : بذل الجهد في سبيل الله وإعلاء كلمته وإقامة المجتمع الإسلامي ، وبذل الجهد بالقتال والحرب نوع من أنواع الجهاد ، وأما غايته فهي إقامة المجتمع الإسلامي وحماية الدولة الإسلامية والمحافظة على كيانها ووجودها ، ونلاحظ أن الجهاد في صدر الإسلام كان مقتصراً على الدعوة السلمية مع الصمود في سبيلها للمحن والشدائد ، ثم شرعت الحرب الدفاعية بعد الهجرة للمدينة .

كما أن الجهاد في سبيل الله والاستعداد له ، بالتدريب والتعرف على فنون القتال ، وإعداد العُدة وصُنع السلاح إلى غير ذلك ، يكفل البناء العسكري للأمة الإسلامية ، لأن الجهاد تكليف لها كلها ، وسقوطه عن بعضهم لا يعفيهم من مسئوليته ، وهذ التكليف ليس وقت الحرب فقط ،بل هو تكليف مستمر في السلم والحرب (٣) ...

والجهاد بمعناه العام يشمل كل الوسائل في دفع الشر : ابتداء من كلمة الحق إلى القتال أو الحرب ، ولقد عَرَّفه الراغب الأصفهاني بأنه : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، وعَرَّفه البعض بأنه : بذل الوسع في القتال في سبيل الله بالاشتراك العملي في الحرب أو الاشتراك فيها بالمال أو بالرأي أو مداواة الجرحى أو إعداد الطعام أو المرابطة على الحدود أو الجسور، فالجهاد هو عقيدة المسلم في الدفاع عن الحق وإعلاء كلمته في الأرض بكل الوسائل ، فالجهاد ليس وقفاً على القتال وإنما هو حياة المسلمين أفراداً وشعوباً في وقت السلم أو الحرب ، ولكن الجهاد قتالاً لدفع الشر

---

[1] ــ راجع : جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني ، تقديم أحمد فتحي سرور ، مرجع سابق ، ص٥٩ ، وص٦١ــ٦٤.

[2] ــ عبد التواب مصطفى ، العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة دراسات إسلامية ، العدد ٣٩ ، ١٩٩٩م ، ص١٠١ وما بعدها .

[3] ــ محمد جمال الدين ، نحو عقيدة عسكرية إسلامية ، القاهرة ، مجلة الأزهر ، عدد محرم ١٣٩٦هــ / يناير ١٩٧٦م ، ص٢٦ــ٢٧ ، وراجع أيضاً : محمد طلعت الغنيمي ، قانون السلام ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٠ ، ص٦١ــ٦٢ .

وحماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وتطهيراً لأرض الإسلام من الشر والفساد والظلم فهو من أفضل القربات إلى الله .([1])

إذن فدوافع الحرب والجهاد في الإسلام دوافع سلمية أساساً ، نعم ... لقد ضيق الإسلام من نطاق الحروب ، فلم يقر الحرب الهجومية الظالمة ، والتي ليس لها دافع إلا الرغبة في التوسع وبسط السلطان والاستئثار بخيرات البلاد المفتوحة وإذلال أهلها ، وإذا كان قد حدث هذا من بعض المسلمين في بعض الأمصار وفي بعض العصور ، فإنه من طبائع البشر لا من طبيعة الإسلام ، فأعمال المسلمين ليست حجة على الإسلام ، والإسلام واضح في مبادئه ونصوصه ، فلا إسلام إلا بالقرآن وسنة نبينا محمد ع ، ويتبع سنة النبي ع سنة الخلفاء الراشدين من بعده ، ولهذا ، لا يحارب المسلمون إلا مدافعين عن أنفسهم وحقوقهم ، سواء أكان هذا العدو قد هاجمهم أم تأكدوا أنه يُعد العدة لمهاجمتهم ، قال تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) ([2]) ، كما نهى الإسلام عن العدوان ، حتى على أعداء الله ، وعلى أعداء المسلمين الذين ظلموهم من قبل ، قال تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([3]) وقال سبحانه في عدم الاعتداء على الغير ولو منعوهم من الوصول إلى بيت الله الحرام : (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)([4]) .. فيا عظمة المنهج الإسلامي في ذلك الأمر ، وانظر رحمة الإسلام حتى بالأعداء ، وكيف أمر الإسلام المسلمين بالرحمة وعدم الاعتداء ، بل نهاهم بشدة عن الاعتداء ، وكيف أمرهم بالتقوى وهم يحاربون أعداءهم ، وكيف خوفهم عذابه الشديد إذا تجاوزوا الحد في حربهم ؟؟)([5])... ويا لعظمة الإسلام في السلم وفي الحرب ...

فالجهاد والحرب إذن : حياة في المفهوم الإسلامي ، فهو أساس لحماية العقيدة ، وأسلوب للحياة الكريمة ، وتنفيذ للإرادة الإسلامية .. فالجهاد عزة وقوة وأداة ردع ، يمتلكها أتباع الإسلام في مواجهة أعدائه ، لردعهم عن مهاجمة الأمة الإسلامية أو التفكير في العدوان عليها ، لأنها دائماً مستعدة للجهاد وللحرب ضد الأعداء ..

---

[1] ـ راجع : جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ٢٣٧ ، ١٩٨٠ ،ص ١٨ـ٢١ .

[2] ـ سورة الأنفال:الآية رقم ٦٠ .

[3] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .

[4] ـ سورة المائدة: من الآية٢ .

[5] ـ أحمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

وقد أجْمَعَ الشرع الإسلامي على أن الجهاد فرض عين ، يتحتم على كل قادر عليه إقامته ، إذا أغار على المسلمين عدو لا يمكن رده إلا باشتراكهم جميعاً في الدفاع ، فإذا أمكن دفع العدو بغير التعبئة العامة ، فإنه يكون فرض كفاية يقوم به الجيش النظامي ، ويتطوع فيه من يشاء من المسلمين ([1]) ... فالجهاد لا يكون فرض عين إلا في أحوال ثلاثة :

ــ إذا التقى الجيشان حُرم الفرار إلا لخدعة ...

ــ وإذا هاجم الأعداء بلد من بلدان الإسلام ...

ــ وإذا استنفر ولي الأمر قوماً لزم خروجهم وتعين عليهم الجهاد ...

ففي حديث شريف رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) ([2]) ...وفي حديث نبوي آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ، وَإِنْ عَمِلَ الْكَبَائِرَ) ([3]).

فالحرب صورة من صور الجهاد ، وهي ليست كل الجهاد ، فالجهاد في الإسلام ، لا يعني الحرب وحدها ، ولا يعني مجاهدة الآخرين في سبيل الحق فحسب ، وإنما هو مجاهدة النفس ومجاهدة الحياة ، وجهاد النفس في القدرة على التغلب عليها وقهر أهوائها ، وذلك إذا كانت إمارة بالسوء ، وجهاد الحياة في الصبر عليها والتغلب على مصائبها وأحزانها ، فالجهاد هو في نفس الوقت : مجاهدة البغي ومجاهدة الظلم ومجاهدة العدوان ، وذلك حتى يأمن المسلمون على أنفسهم ، ويُؤمنون حرية الدعوة لدينهم .

فالجهاد مأخوذ من الجهد والمشقة ، وإذا تحمل المرء المشقة في مقاتلة العدو من أجل الدفاع عن النفس والوطن والعقيدة أو رد الظلم ، ولذلك أوجب الإسلام الجهاد على المسلم الذكر العاقل البالغ الصحيح ، والذي يجد من المال ما يكفيه ويكفي أهله حتى يفرغ من الحرب([4]).

ومن النصوص القرآنية الكريمة عن الجهاد نتبين أن الجهاد في الإسلام إنما هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هي : ما عبر عنه سبحانه بسبيل الله ، وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال في الإسلام ، إنما كان من أجل ([1]):

---

[1] ــ محمد جعفر الظالمي ، الفقه السياسي في الإسلام ، بيروت ، دار الحياة ، ١٩٧١م ، ص١٣ــ١٦ .

[2] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٢٠٩٧ ورواه بنفس اللفظ أبو داود والدارمي ، ورواه النسائي بلفظ أيديكم بدل أنفسكم .

[3] ــ رواه أبو داود حديث رقم ٢١٧١ .

[4] ــ السيد نجم ، الحرب : الفكرة ، التجربة ، الإبداع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، راجع ص١٩ــ٢١.

ـ أن يكون الدين كله لله ...

ـ وألا تكون فتنة ...

ـ ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر الكثير ، فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم ...

ـ ثم من أجل هؤلاء الذين أُخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .. وأسباب الأذن في القتال في الآيات القرآنية : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ([2]) ، هي أسباب عامة ، وهي نفس أسباب الجهاد الإسلامي في سبيل الله ، في كل زمان ، وفي كل بيئة ، وهي : منع الظلم على وجه العموم ، الظلم في صوره البشعة المتعددة التي منها إخراج الأبرياء الآمنين من ديارهم ومن أموالهم ، أو إبقاؤهم فيها على حالة من الذل ومن الاستعباد ولا ترضي إنسانية ولا خلقاً كريما ، وهي أيضاً انحراف عن الحق والخير وعن التوحيد والعدل ، فوجب الجهاد ضد أي ظلم يقع على البشر ([3]).

فالجهاد هو بذل الجهد والطاقة في محاربة العدو ، والجهاد مصدر جاهدت العدو جهادا إذا قاتلته قتالا ، ولقد فرض الجهاد على المسلمين لنصرة دين الله بعد وجود مقتضياته من جانب العدو، ولا يجوز للمسلمين الاعتداء على الشعوب غير الإسلامية بدون مسوغ ، إلا إذا كانت هذه الشعوب تعمل ضد الإسلام أو تستعد للهجوم عليه ، فمن الضروري الوقوف في وجه هذه الشعوب وردها عن قصدها ، ويرى جمهور الفقهاء أن الأصل في مشروعية الجهاد هو الاعتداء على الإسلام وليس الكفر أو المخالفة للعقيدة .([4])

كما أن الجهاد هو استفراغ الوسع وبذل الطاقة في مدافعة الأعداء وقتالهم حتى يعودوا إلى صوابهم ويتقبلوا حكم المنطق والعقل السليم ، فالجهاد يتعين سبيلاً لحماية النفس والدين والوطن وصيانة لشرف الإنسان ، فالجهاد في سبيل الله والوطن مُقدم على حُب الآباء والأمهات والأبناء والأهل والأقارب والأموال ([5]) ، فلقد توعد الله عز وجل من يؤثر أمراً من أمور الدنيا مهما كان على

---

[1] ـ عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة السادسة ، العدد ٧٥ ، يونيو ١٩٧٤ ، ص ٨ـ٩.

[2] ـ سورة الحج:الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ .

[3] ـ راجع : عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر، مرجع سابق ، ص١٩ـ٢١.

[4] ـ راجع : توفيق على وهبة ، الجهاد في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٥٢ ، ١٩٧٣م ، ص ١٣ وما بعدها .

[5] ـ راجع : محمود السعيد الطنطاوي ، الإسلام يرسم للمجاهدين طريق النصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٧١، ١٩٧٥م ، ص١٧ـ١٩ .

حب الجهاد في سبيل الله ، فقال سبحانه :(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)([1])

ونتعرف عن معنى الجهاد في الإسلام من خلال مثل هام هو موقف عمير بن الحمام الصحابي الأنصاري الذي كان من جند المسلمين في معركة بدر ، الذي سمع رسول الله ε يوعد المجاهدين بالجنة ، فترك ما في يده من تمرات وتقدم للقتال وهو يقول ([2]) :

ركضـــــاً إلى الله بغير زاد
إلا التُقى وعمـــــــل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضـــــــة للنفاد
غـــير التقى والبر والرشاد !!

فكان أول قتيل في معركة بدر ، ونلاحظ كلماته التي تؤكد ما للجهاد في حياة المسلمين من نفوذ ، كما تؤكد أن الجهاد ما هو إلا رمز للتقوى والصبر والبر والرشاد ، وما أسماها من معاني وأخلاقيات للجهاد في الإسلام ...

كما أن الجهاد لا يكون في الحرب فقط ، بل في الحرب والسلم وفي مختلف ميادين الحياة ، مصداقاً لأحاديث النبي ε الكثيرة ومنها ما رويَ عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلا نُجَاهِدُ ، قَالَ : لا ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ) ([3]) . وقال ε في حديث رواه سُفْيَانَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ : (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ε وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ، قَالَ : كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) ([4]).

فالقتال في الإسلام شريعة أوجبتها الضرورة لرد العدوان ولحماية العقيدة وحرية الدعوة لها ، وفيما ذلك فهي عدوان لا يحبه الله ([5])، فكان قتال المشركين كافة في قول الحق : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)([6]) ، فإذا كانت المبادرة بالحرب لرد

[1] ــ سورة التوبة:الآية ٢٤ .
[2] ــ راجع : محمد فرج ، بدر والفتح قمة المعارك الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ، رقـم ٤٧ ، ١٩٧٨م ، ص٤٦ــ٤٧ .
[3] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث ١٤٢٣ .
[4] ــ رواه النسائي حديث ٤١٣٨ وأحمد .
[5] ــ راجع : جمال للدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، مرجع سابق ، ص ٩١ وما بعدها .
[6] ــ سورة التوبة: من الآية٣٦ .

عدوان يوشك أن يقع بالمسلمين ، فإن البراعة تقتضي أن يبادر المسلمون عدوهم قبل أن يبادرهم حتى يضمنوا النصر ، فالمبادرة من مباديء الحرب الأساسية ، ولا تُعد المبادرة حينذاك عدواناً أو من قبيل الحرب العدوانية ، ولا تكون المبادرة ، إلا بعد أن تتأكد نية العدوان ، كما جاء في حديث النبي لمعاذ بن جبل ومن معه وقد بعثهم لفتح اليمن ، فهو يقول([1]) : (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإن بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، ثم أروهم ذلك وقولوا لهم : هل إلى خير من هذا سبيل؟ ، فلئن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت) ، فلم يطلق الإسلام الحرب أساساً لإقرار العقيدة وسلامة النظام الاجتماعي ، وإنما قيدها ، بما لا يجعلها أساساً للعلاقات بين الجماعات والدول ، حيث يقوم السلم أساساً للعلاقات بين الجماعات والدول ، حيث يقوم السلم أساساً لها .

٥ ـ الغاية من الحرب في الإسلام:

الحرب مكروهة في الإسلام ، إلا إذا اضطر المسلمون إليها كملجأ أخير للدفاع عن أنفسهم ، ويتضح ذلك جلياً من جميع المعارك التي خاضها النبي ε والخلفاء الراشدين من بعده ، فلقد كانت الحرب في بدر وأحد والخندق وفتح مكة والطائف وخيبر وغيرها ضرورة لا مناص منها ، فلقد كان المسلمون الأوائل مضطرين اضطراراً لأن يحاربوا ، لحماية مجتمعهم الصغير في المدينة ، ثم لحماية دولتهم الناشئة في جزيرة العرب ولصيانة عقيدتهم من العادين عليها وعليهم ، فلقد كانت قريشاً وحلفاءها من العرب واليهود والنصارى تبذل كل ما في وسعها لمحو الإسلام والقضاء على المسلمين ، فلقد اضطر رسول الله ε وأصحابه للحرب ، وأن يواجهوا القوة بالقوة ، بعد أن صبروا طويلاً ، وذلك مصداقاً لدعوة الحق سبحانه : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)([2]) ، فلم يكن هدف الحرب هو الصول والجول في عالم الواقع ولا لغرض من أغراض الدنيا ، ولم يكن الغرض من الحرب إجبار أحد على اعتناق الإسلام ، وإنما كان الغرض الدفاع عن النفس أولاً ، وكف عدوان المعتدين عليهم ثانية ، لأن المسلمين دخلوا كل الحروب للدفاع عن أنفسهم من عدوان الغير ولحماية أموالهم وأنفسهم وعقيدتهم ([3])، لأنهم كانوا مضطرين للحرب وللقتال اضطراراً ، فلقد كشف القرآن الكريم ، من فوق سبع سماوات ، أنهم يكرهون القتال ، ولكن فرض عليهم القتال وهو مكروه عندهم ، ولكن : أرشدهم القرآن الكريم لأخلاق هامة ماداموا يقاتلون في سبيل الله

---

[1] ـ راجع : حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، القاهرة ، دار المعارف ،، ١٩٨٥م ، ص ٢٣٦ـ٢٣٧ .

[2] ـ سورة البقرة: من الآية٢١٦ .

[3] ـ أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، للقاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، دراسات إسلامية ، رقـم ٤ ، ١٩٥٨ ، ص ٣٨ ـ ٤١ .

للدفاع عن أنفسهم ، فلقد قال الحق سبحانه : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١) ، ففي هذه الآية نهي صريح على الاعتداء على الغير نهائياً ، فهو أمر بات من الله سبحانه يكشف حقيقة الحرب في الإسلام : فهي للدفاع عن النفس والدين فقط ، فالحرب في الإسلام دفاعية بحتة ، ويؤكد ذلك قول الحق سبحانه يحفزهم على الحرب الدفاعية ويذكرهم بأهميتها : (أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢) ، بل أن القتال يؤيده الله وينصر المؤمنين ، لأنه قتال دفاعي من المظلوم للدفاع عن حقه الطبيعي للعيش في سلام وأمان واطمئنان ، فلنقرأ معاً قول الحق سبحانه : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٣).

فلا تهدف الحرب في شريعة الإسلام مطلقاً إلى فتك أو مُثلة أو تخريب أو تشريد ، بل إن إعداد القوة في البدء الهدف منه تجنب الحرب وعواقبها التي تنزل بأعداء المسلمين ، ويتمنى المسلمون لو أن قوتهم أنزلت الرهبة والخوف في قلوب أعدائهم وجعلتهم يتراجعون عن غيهم وعنادهم ويميلون إلى السلام أو إنهاء الموقف بغير لجوء إلى قتل أو تدمير .

فكانت شريعة الحرب في الإسلام لقمع الحرب وتهذيبها ، ففرض منها ما يقتضيها من ضروب الدفاع عن النفس والمال وحرية العقيدة ، وأنكر ما عدا ذلك من أسباب وحوافز ، وشرَّعَ لها من القواعد والأصول ما يهذبها ، ويسوي من نزعتها الأصيلة للخراب والدمار ما يمكن أن نسميه آداب الحرب أو أخلاقياتها أو قانون الحرب في المصطلح الحديث :

ــ وأول قاعدة فرضها الإسلام للحرب ألا تكون حرباً عدوانية ، في قوله تعالى : (وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٤) ، فالأمر بعدم الاعتداء جازم مانع .

ــ فإذا كانت الحرب ، فهي إما :

• جهاد في سبيل الله :

لقول الله سبحانه وتعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٥)

---

[1] ــ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .

[2] ــ سورة التوبة: الآية١٣ .

[3] ــ سورة الحج ، الآيتان ٣٩ :٤٠ .

[4] ــ سورة البقرة: من الآية ١٩٠ .

[5] ــ سورة البقرة:الآية١٩٠ .

وقولـــه عز وجل : (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (١)

وقوله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (٢)

• أو دفعاً لفتنة ، في قوله سبحانه وتعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ) (٣) ، وقوله سبحانه : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤)

• أو رداً على أذى ينال النفس أو المال أو حيفاً بمستضعف أو بغي طائفة على طائفة ، ولو كانا مؤمنين ، فأذنَ للمسلمين بقتال من تم ظلمهم وأخراجهم من ديارهم ، وذلك في قوله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٥) ، وقوله سبحانه: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)(٦)

• وأذن بالقتال لرد الحيف عن المستضعف : في قوله تعالى : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ)(٧)

• فإذا بغت طائفة على طائفة ، ولو كانا من المؤمنين ، فعلى المسلمين قتال التي تبغي حتى تفيء إلى الحق ، كقول الحق : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٨)

• وفي غير ذلك ، نهى الإسلام عن الحرب وجنح للسلم :

في قوله تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٩)

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (١)

---

1 ــ سورة النساء:الآية٧٤ .

2 ــ سورة الصف:الآية رقم ٤ .

3 ــ سورة البقرة:الآية ١٩٣ .

4 ــ سورة الأنفال:الآية٣٩ .

5 ــ سورة الحج : الآيتان ٣٩ ــ ٤٠ .

6 ــ سورة البقرة: من الآية١٩١ .

7 ــ سورة النساء: من الآية٧٥ .

8 ــ سورة الحجرات:الآية رقم ٩ .

9 ــ سورة الأنفال:الآية ٦١ .

وقوله سبحانه : (إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً) [2]

وقوله سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[3]

• فإذا كانت الحرب ، فإن لها آدابها وأخلاقياتها ، فليست الحرب في الإسلام للتدمير ولا للتخريب ولا للتعذيب ولا لإنتهاك الحرمات ولا لقتل المسالمين من رجال الدين ولا العجزة من الشيوخ والنساء والأطفال ، وإنما هي للقضاء على قوة العدو الهجومية ، أي القضاء على أسباب الحرب ذاتها ، لأنها للقضاء على العدو الذي يبغي الشر ويريده ويفتك أشد الفتك بالمسلمين إن ظفر بهم أو نال منهم ، فالشدة على المحاربين قرين الرحمة بغير المحاربين .....

ولقد كان رسول الله يعلن أنه نبي الرحمة ، كما فعل في فتح مكة ، وقال أنها يوم تعظم فيها الكعبة : فعن عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ε عَامَ الْفَتْحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ε فَأَدْرَكُوهُمْ ، فَأَخَذُوهُمْ ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ε ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ : احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ε ، تَمُرُّ كَتِيبَةٌ كَتِيبَةٌ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ ، قَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَذِهِ غِفَارُ ، قَالَ مَا لِي وَلِغِفَارَ ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا ، قَالَ مَنْ هَذِهِ ؟ ، قَالَ هَؤُلاءِ الأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ε وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ε مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ε بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟ ، قَالَ : مَا قَالَ ، قَالَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ ، قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ε أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُونِ) [4] .

---

[1] ــ سورة البقرة:الآية ٢٠٨ .

[2] ــ سورة النساء:الآية ٩٠ .

[3] ــ سورة النساء: من الآية٩٤ .

[4] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٩٤٤ .

ولقد كان رسول الله يطلب إلى جند الإسلام الأناة والتريث قبل القتال ، فقد رويً عنه : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ فَإِنْ أَجْلَبُوا وَضَجُّوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ) [1]، وقال ع في حديث آخر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ع قَالَ :(لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُ فَاصْبِرُوا) [2]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ مَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ) [3] . وكلها تحض على عدم الإقدام على القتال والحرب ، وهذه غاية إسلامية نبيلة دعانا إليها رسول الله ع .

فالحرب ، وإن كانت لها أصولها من الشدة والفتك بالعدو ، فإنها لا تعني إيقاع الأذى بغير المحاربين ، وأمرنا رسول الله ع بالحفاظ على الأطفال والشيوخ والنساء ، وعدم التمثيل بالعدو نهائيا : فعن عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : (سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ يَزِيدَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ع أَنَّهُ نَهَى عَنِ النُّهْبَةِ وَالْمُثْلَةِ)[4] .

فالغرض من القتال واضح وهو الدفاع عن المجتمع الإسلامي بلا عدوان وبلا ابتداء ، فالسلم هو الأصل والدوام في العلاقات ، والحرب ضرورة عند الاعتداء على المسلمين ، والغرض هو الردع فقط ... نعم الردع للأعداء حتى لا يقطعوا دابر الإسلام والمسلمين ، إنها حرب دفاعية وحرب نظيفة أيضاً حتى يكف بأس الكافرين ويبتعدوا عن المسلمين ، وذلك مصداقاً لقـــــول الله الحق سبحانه : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) [5]

كما أن الحرب في الإسلام لمحاربة اضطهاد الكافرين والمشركين للمسلمين والمؤمنين والموحدين ، الذين يعملون على إكراه المسلمين على ترك دينهم بقوة السيف ، ولا يريدون كفالة حرية الاعتقاد لدين الله من جانب المسلمين ، فيحاربون المسلمين من أجل القضاء على كل من يؤمن بالله ، فالله أمرنا بأن نحارب هؤلاء من أجل العقيدة ومن أجل التوحيد ومن أجل الدفاع عن بيوت الله في الأرض ولو كانت صوامع العباد وبيع النصارى وكنائس اليهود ومساجد المسلمين : نعم أمرنا الله بالحرب دفاعاً عن كل عابد بالأرض ، ودفع الأذى عن كل مكان يعبد فيه الله سبحانه ، فهل هناك سماحة في الحرب وقوة في المنطق أكثر من هذا ؟؟!! ، فالله يأمرنا بهذا في قوله تعالى : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

---

1 ــ رواه الدارمي٢٣٣٣ ، ورواه أحمد ١٨٣٢٦ والبخاري ٢٨٠٢ ومسلم ٣٢٧٦ .

2 ــ رواه أحمد ١٠٣٥٦، ورواه أبوداود ٢٢٦١ ، ومسلم ٣٢٧٥ ، والبخاري ٢٨٠١ .

3 ــ رواه أحمد ٨٨٢٩ والبخاري ٦٦٩٩ .

4 ــ رواه البخاري ٥٠٩٢ والأئمة كلهم .

5 ــ سورة النساء:الآية ٨٤ .

لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ([1])

كما أن الحرب في الإسلام للقضاء على الظلم الواقع على المستضعفين ، فالغرض من الحرب غرض سامي ونبيل ، فالله يريد من المسلمين الحرب لإحقاق الحق ونشر العدل والسمو بالمجتمع الإنساني في عقيدته وأعماله وأخلاقه ، فليس الغرض من الحرب والنصر : السيطرة والاستعمار والاستئثار بخيرات البلاد المفتوحة وتسخير أهلها ومزاحمتهم في أرزاقهم ، وإنما الغرض منها دفع الظلم وإغاثة المظلومين وإقامة عالم مثالي يحكم بما أنزل الله ([2]) ، قال الله تعالى في ذلك : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ([3]) ...

فالغاية من الحرب في الإسلام هو حفظ الإسلام والمجتمع المسلم ، ولا توجد غاية بعد ذلك تعد الحرب جائزة لتحقيقها ، كالتوسع الإقليمي أو الرغبة في الاستعلاء والسيطرة : مادية كانت أو معنوية ...

فلاشك أن كل مجتمع يقع عليه عبء الدفاع عن نفسه والمحافظة على استمرار بقاءه ونموه ، فلا خلاف في أن الحرب تكون سائغة أو حتى واجبة بالنسبة لكل مجتمع إنساني تهدده أخطار قد تقضي عليه إذا هو لم يتصد لها ويستعد لمواجهتها ، وبذلك فالحرب أو القتال ضرورة طارئة في الإسلام([4]) ...

فالإسلام ينظر للحرب على أنها ضرورة لا مصلحة فيها ، ضرورة طارئة ، ولذلك حفزنا الله لتدارك الحرب والاشتراك فيها بصفتها ضرورة طارئة وليست مصلحة ، فقال الله سبحانه :(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) ([5])

وكان أول إذن للمسلمين بالقتال كان من الله عز وجل ، وكان لقتال المشركين من قريش ، فهم أول من تعرض للمسلمين بالإيذاء ، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق ...

---

[1] ــ سورة الحج الآيتان ٤٠ :٤١ .

[2] ــ المرجع السابق ، ص٤١ــ٤٢ .

[3] ــ سورة الحج:الآية٤١ .

[4] ــ راجع : جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، مرجع سابق ، ص ٨٣ــ٨٥ .

[5] ــ سورة البقرة:الآية٢١٦ .

فكان قتالاً كما هو في سبيل الله ، فإنه في سبيل المستضعفين الذين ظلموا أيضاً ، كما جاء في قول الحق سبحانه : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) ([1])

ولذلك ، عندما سئل النبي ع من رجل عمن يقاتل ويحارب في سبيل مغنم أو رياء الناس ، فأجابه الرسول : أن الحرب لابد وأن تكون جهاداً في سبيل الله ولتكون كلمة الله هي العليا ، فلقد روي عن جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ع فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ ، فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ قَالَ : ـ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا ـ فَقَالَ : (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)([2])

ولذلك ، يفند العلماء ما نشره الغرب من أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وهذه دعوة ظالمة لأعداء الإسلام في كل زمان ومكان ، ولقد رد عليهم العلماء بالحجج الآتية :([3])

ـ أن الرسول ع لم يبدأ بحرب المشركين نهائياً ، فكل الحروب كانت رد فعل العدوان أو التجهيز للعدوان فقط .

ـ لم يُكْرِه النبي ع المشركين ولا اليهود ولا النصارى على قبول الدعوة الإسلامية سلماً ولا حرباً ، وكانت دعوته تقوم على الحجة والمجادلة بالتي هي أحسن .

ـ أنه رغم أذى المشركين للنبي ع وللمسلمين ، وتعذيبهم في مكة إلا أن المسلمين لم يردوا الاعتداء ، لأنهم في مكة لم يؤمروا بقتال وبرد الاعتداء .

ـ أن هجرة الرسول ع إلى المدينة وسبقه ولحقه إليها المسلمون دليل واضح وجلي على أن المسلمين لم يعتدوا وإنما هم المعتدى عليهم ...

ـوفرارهم بدينهم للمدينة يثبت أنهم لم يبدأوا بقتال ولا حرب مع المشركين ، ولكنهم الضعفاء يومئذ .

ولهذا ، فإن جميع حروب النبي ع كانت حروباً دفاعية ...

ومع ذلك انتشر نور الإسلام في كافة أنحاء الجزيرة العربية ....

وبلغ عدد الصحابة ما يزيد عن مائة ألف صحابي شاهدوا رسول الله ع ...

---

[1] ـ سورة النساء:الآية٧٥ .

[2] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ١٢٠ ، ورواه أيضاً : مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والنسائي .

[3] ـ توفيق على وهبة ، الجهاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٩ـ٧١.

وهو ما يدل على أن الإسلام دين سلام ، وليس دين حرب ، ولم ينتشر بحد السيف كما يزعمون ، حتى أن أكثر الشعوب إيماناً وإسلاماً من حيث عدد المسلمين مثل أندونسيا وماليزيا وبروناي والفلبين وغيرها ، لم يدخلها أي جندي من أي جيش إسلامي ولم تفتح بالجيوش وإنما فتحت بالعقيدة التي مست قلوب أبناء هذه المناطق فأسلموا .

نعم ...

فالحقيقة التي لا جدال فيها أنه إنما شهر المسلمون سيوفهم دفاعاً عن أنفسهم وكفاً للعدوان عنهم ...

فلو كان السيف ينشر دينا لعمل في الرقاب للإكراه على الدين والإلزام به مهدداً كل أمة لا تقبله بالإبادة والمحو من الأرض...

ولكن الإسلام لم يُكره أحد على الدخول فيه بالسيف ولا بالسلم ، لا بالوعد ولا الوعيد ، فلا إكراه في الدين نهائياً مصداقاً لقول الله عز وجل : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)([1]) ، فكيف ينتشر الإسلام بالسيف إذن وهو لا يكره أي فرد على الدخول فيه سلماً أو حرباً ؟؟؟!!!!([2]) ، فهذه دعاوى الحاقدين على الإسلام وعلى رسول الإسلام وعلى المسلمين !!!...

---

[1] ــ سورة البقرة: من الآية٢٥٦ .

[2] ــ لمزيد من التفاصيل والحقائق عن زيف دعوى انتشار الإسلام بالسيف ، راجع : عثمان السعيد الشرقاوي ، شريعة القتال في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الزهراء ، ١٩٧٢م ، ط١ ، ص١١٩ــ١٥٥ .

الفصل الثاني

القواعد والآداب الأخلاقية العامة

للحرب في المنهاج النبوي الشريف

عرفنا من خلال استعراضنا السابق ، أن الإسلام حريص على أن يكون السلم هو الأصل ، وأن الحرب هي الاستثناء ، فالحرب عمل عارض طارىء مؤقت ، في المنهج الإسلامي ، كما أن الإسلام حريص على رعاية الكرامة الإنسانية والحرب مشتعلة ، كما هدانا لذلك التطبيق العملي لرسول الله ε في أثناء الحروب ....

لهذا ، شرَّع لنا الإسلام من النظم ما يتفق مع سموه وسماحته ، وسنَّ من القوانين ما يكفل التخفيف من ويلات الحروي ويحصرها في أضيق نطاق...

فالإسلام تعامل مع فكرة الحرب على أنها واقع لا مفر منه وهو كُره للمؤمنين ، ومع ذلك وضع ما يمكن أن يسمى بـــ : أخلاقيات وآداب الحروب : قبل ، وأثناء ، وبعد تلك الحروب القدرية ، والتي لا مفر من اشتعالها (١) .

وفي هذا الفصل نستعرض الآداب والأخلاقيات العامة لنبي الله ε في جميع الحروب التي خاضها ، وهي آداب وأخلاقيات عامة في كل الحروب ، وهي استعراض رأسي عن تلك الأخلاقيات والمباديء الجليلةة في الحرب والقتال ...

١ ــ آداب وأخلاقيات الحرب عند رسول الله ε :

إذا كانت الحرب مما فطرت عليه الطبيعة البشرية ، فإن توقيتها عسير ، ولكن تهذيبها يسير ، فلا تُشرع إلا لغاية نبيلة سامية تعود على الإنسان وعلى الإنسانية جمعاء بالخير ، وكان محمد ε في بداية دعوة الإسلام ، يعرف أنه ملاق قريشاً على نكال ، وأنها لن تتركه في سلام يهدأ فيه إلى الدعوة حراً من كل قيد أو رهق أو إعنات ، وأنه ملاق غير قريش أيضاً ، ممن يهيضون الدعوة أو يقفون دون انتشارها ، كما كان يعرف أن حرية الدعوة لن تتيسر بين قوم ينكرونها ، وقد يتصدون

[1] ــ السيد نجم ، الحرب ، مرجع سابق ، ص٢١ .

لها بإعنات ، لذلك ، كان الإعداد للحرب والتهيؤ لها ، حتى لا يفاجئه العدو بما يكره ، ولذلك ، كانت مما تمت عليه بيعة العقبة الثانية : المنعة والحماية ، فنجد البراء بن بعرور سيد قومه وكبيرهم يؤكد وهو يبايع : نحن والله أبناء الحروب ورثناها كابر عن كابر ، فيعلن الرسول ع تأكيداً لعهده معهم : أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، ويري سعد بن عبادة أن يستوثق من صدق قومه قبل أن يبايعوا ، فيعترض وقد همّوا بالبيعة ، قائلا: : يا معشر الخزرج : أتعلمون علاَم تبايعون هذا الرجل ؟ ، إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ..) وفي هذا ما يؤكده الحديث الشريف عن هذه البيعة وما حدث فيها من التوجه القوي للرسول وللمبايعين من الاستعداد للحرب الدفاعية دفاعاً عن الدين : فعن كَعْبَ بْنَ مَالِك ــ وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّه ع بهَا ــ قَالَ : خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا : يَا هَؤُلاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ رَأْيًا وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لا ؟ ، قَالَ : قُلْنَا لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ ، قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ ، وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا ، قَالَ : فَقُلْنَا وَاللَّهِ مَا بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلا إِلَى الشَّامِ ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا ، قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : لَكِنَّا لا نَفْعَلُ فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ أَخِي وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ : مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلا الإِقَامَةَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ع فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ ، قَالَ : فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع وَكُنَّا لا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع ، فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفَانِه ؟ ، قَالَ : قُلْنَا : لا ، قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ ؟ ، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ : فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ع مَعَهُ جَالِسٌ ، فَسَلَّمْنَا ، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع لِلْعَبَّاسِ : هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ع الشَّاعِرُ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا وَهَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلامِ فَرَأَيْتُ أَنْ لا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : لَقَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ع ، فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ ، قَالَ : وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ ، قَالَ : وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ع الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ع وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا ، وَكُنَّا

نكتُمْ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا ، فكلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا جَابِر إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الإِسْلامِ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ع ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ ، وكَانَ نَقِيبًا ، قَالَ : فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا ، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ع نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ : نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ ، قَالَ : فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ع حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ ، إلا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ : وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا : إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، قَالَ : فَقُلْنَا قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ ، قَالَ : فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ع فَتَلا وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الإِسْلامِ قَالَ : أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، قَالَ : فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا ، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ع فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، قَالَ : فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ع أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا يَعْنِي الْعُهُودَ ، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا ، قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ع ، ثُمَّ قَالَ : بَلِ الدَّمَ الدَّمَ وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلاثَةً مِنَ الأَوْسِ ، وكان كعب بْنُ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ع الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ ، فَلَمَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ع صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ : يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ ــ وَالْجُبَاجِبُ الْمَنَازِلُ ــ هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ ، قَالَ عَلِيٌّ ــ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ ــ مَا يَقُولُهُ عَدُوُّ اللَّهِ مُحَمَّدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لأَفْرُغَنَّ لَكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ ، قَالَ فَرَجَعْنَا فَنِمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جِلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَاللَّهِ

إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ ، قَالَ : فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَمَا عَلِمْنَاهُ ــ وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا ــ قَالَ : فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ ، قَالَ : وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ وَعَلَيْهِ نَعْلانِ جَدِيدَانِ قَالَ : فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا : مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا أَنْ تَتَّخِذَ نَعْلَيْنِ مِثْلَ نَعْلَيْ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ فَخَلَعَهُمَا ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَنَّهُمَا ، قَالَ : يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ أَحْفَظْتَ وَاللَّهِ الْفَتَى فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ ، قَالَ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لا أَرُدُّهُمَا ، قَالَ : وَاللَّهِ صَلُحَ وَاللَّهِ لَئِنْ صَدَقَ الْفَأْلُ لأَسْلُبَنَّهُ فَهَذَا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ الْعَقَبَةِ وَمَا حَضَرَ مِنْهَا) ([1]) .

فالحرب مما كان موضع نظر الرسول ع وتقديره ، ولعلها كانت مما فكر فيه لحماية العقيدة ولتأمين حرية الدعوة ، ولكن كل شيء بميقات ولم يأت بعد ، ولذلك ، فإن العباس بن عبادة لما سمع صياح المتجسس عليهم أثناء البيعة ، قال للرسول ع كما رأينا في الحديث السابق : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ، فيقول الرسول ع : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم !!! ، فهل بعد ذلك إثبات أن الحرب في الإسلام ليست هجومية وإنما دفاعية محضة ؟؟ ...

نعم ، إن النبي ع وضع هذا المنهاج وهو في قمة الضعف ، وهو يبايع أقواماً جاءوا لنصرته ونصرة الدين ، ومع ذلك لم يأمرهم بالحرب الهجومية الخاطفة ، لأن الدين ليس دين حرب ، بل دين سلم ... وأكثر من ذلك ، لقد بدأت الدعوة الإسلامية في قريش ، وفي وسط العرب ، وكان العرب أهل حرب ونضال ، يمجدون الفروسية ، ويعلون من شأن الشجاعة في الحرب ، ويتغنون بالبطولة والحرب في صفحة مفاخرهم وأمجادهم ، فإذا كانت مما شرع الإسلام ، فاستجابة للروح السائدة بين قوم بُعث الإسلام ، أول ما بعث ، إليهم ، ولذلك ، كان على الإسلام الذي شرَّع الحرب ، أن يُعلي منها وأن يهذبها ، وأن يطبعها بالنزعة الإنسانية العادلة ، فكانت حروب المسلمين أول ماكانت مع قريش حتى دانت لهم وحتى تم لهنم فتح مكة وقضيَ على عبادة الأوثان ، فالحرب عند الرسول الكريم ، وفي المنهج الإسلامي واجبة إذا كانت عادلة ، ولا تكون عادلة إلا لرد البغي ورفع الظلم والحفاظ على مجتمع الخير والصلاح ، وهي ضرورة أوجبها قانون الرحمة العادل وقانون الأخلاق والسلوك الإنساني المستقيم ([2])

[1] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٢٣٧ .

[2] ــ راجع : حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، القاهرة ، دار المعارف ،، ١٩٨٥م ، ص ٢٣٢ــ٢٣٣.

ولعلنا قبل أن نبدأ في عرض الأخلاقيات العامة لنبي الله ε في جميع الحروب التي خاضها ، نقف أمام آية قرآنية شريفة ، جمعت بين هذه الأخلاق والآداب العامة ، في وضوح ، وفي بلاغة ، وفي حكمة ، وفي إعجاز قرآني كبير ، قال عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (١) ، فلقد قال العلماء إن هذه الآيات أجمع شيء في آداب القتال (٢).

وكان تكوين الجيش الإسلامي في أول يوم قدم فيه الرسول ε إلى المدينة من أجل حراسة المدينة عاصمة الدولة الإسلامية وحاميا للدعوة الإسلامية في داخل المدينة وخارجها وأوصى الجيش بالآداب الرفيعة والخلق السامي لأن الأصل هو حفظ الاستقرار والسلام والأمن بين الجميع ، فطبق الجيش الإسلامي بقيادة النبي المصطفى ε الإسلام كعقيدة وكأخلاق وكشريعة ، فاستطاع بهذا الخلق الإنساني الرفيع أن يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة حتى لحق بالرفيق الأعلى (٣).

٢ ــ استعراض لأهم المباديء والأخلاقيات العامة للحرب في السيرة النبوية :

ولنقتبس بعض هديّ النبي العظيم ε وأخلاقياته وآدابه وسلوكه وقدوته في الحرب بصفة عامة ، وذلك على النحو التالي(٤) :

أ ــ لا ريب أن أهم أخلاقيات النبي العامة هي الأسلوب النفسي في التربية الذي كان يتبعه رسول الله ε مع أصحابه رضوان الله عليهم ، ذلك أن تربية النفس مع الصبر وتربية القائد أو الجندي مع ضبطهما أمران متلازمان ، وضبط النفس ألا تفزع وتطمع ، وأن تقمع شهواتها

1 ــ سورة الأنفال:الآيات ٤٥ــ ٤٧ .

2 ــ عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ــ١٨٤ .

3 ــ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٨٨م ، ص٩٩ ــ١٠٠.

4 ــ راجع في بعض الأخلاقيات العامة : ــ عبد التواب مصطفى ، العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ــ١٤٢. ، وأيضاً محمد سويد ، الإسلام هو الحل ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، ١٩٩٢م ، ص ١٠٧ ــ ١١١. وأيضاً راجع : عثمان السعيد الشرقاوي ، شريعة القتال في الإسلام ، مرجع سابق ٢٣ــ٦٠ ، وأيضا ص١٩٣ــ٢٢٥.

مع ملذاتها ، وكذلك ألا تيئس عند الهزيمة ، ولا تأشر ولا تبطر وتزدهي في نصر ، وأن تتلقى السراء بثبات جأش والضراء بعزيمة تعلو ولا تهبط، فالصبر وضبط النفس لا يظهران إلا عند الصدمات، كما قال النبي ع في الحديث المروي عَنْ ثَابِتٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ ع قَالَ : (الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) ([1]) ، فالنواحي المعنوية والنفسية والتربوية تؤدي لنجاح القيادة ونجاح الجنود وأن تسود الآداب الرائعة في كافة نواحي الحياة سلماً وحرباً ([2]).

ب ــ الرحمة في الحرب خصوصاً ، فالرحمة كانت من خلق ع في الحرب ، كما كانت في السلم ، فالرسول ع دعا الأمة الإسلامية إلى الرحمة بخلق الله جميعاً مسلمين وغير مسلمين ، وفي ميدان القتال وفي غير ميدان القتال([3])، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ) ([4]) ، ورويَ عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ع بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ : (يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا) ([5]) . وكل هذه الرحمة بين المسلمين والمسلمين وبين المسلمين وغيرهم حرباً وسلماً كانت مصداقاً لقول الله عز وجل : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) ([6]) ، فكان خُلق الرحمة من أهم أخلاق النبي ع وآدابه في حروبه كلها ، وكان من من صفاته العامة في سلمه وفي حربه مع الأعداء.

ت ــ لا يجوز أن تتعدى الحرب إلى المدنيين ، الذين لا يشتركون فعلياً في أعمال القتال من : شيوخ ومسنين ونساء وعجزة وعباد منقطعين للعبادة وعلماء منقطعين للعلم ، إلا إذا قاتلوا ، أو

[1] ــ رواه البخاري حديث رقم ١٢١٩ ورواه مسلم ١٥٣٤ والترمذي ٩٠٨ والنسائي ١٨٤٦ وأبو داود٢٧١٧ وابن ماجه ١٥٨٥ .

[2] ــ راجع : محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، بيروت ، دار الفكر، ١٩٧٢م ، ط١ ، ص١٢ــ١٣ ، وراجع أيضاً في هذا الخصوص : محمد غيتاني ، النضـال المسـلح فـي الإسـلام ، بيـروت ، دار العـودة ، ١٩٧٣م ، ص١٣٨ــ١٤٢.

[3] ــ محمود السعيد طنطاوي ، الإسلام يرسم للمجاهدين طريق النصر ، مرجع سابق ، ص ٨٥ــ٨٦. ، وراجع فـي أخلاق النبي ع في الحرب : ص ٨٦ــ ٩٩.

[4] ــ رواه الترمذي حديث رقم ١٨٤٧وللفظ له ، ورواه أبوداود ٤٢٩٠ وأحمد ٦٢٠٦ .

[5] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٨١١ ، ورواه مسلم ٣٢٦٣ وأحمد ١٨٩٠٨ .

[6] ــ سورة الفتح:الآية ٢٩ .

كان لهم في تدبير الحرب رأي أو مكيدة([1]) ، لأن القتال هو لمن يقاتلنا ، وموجه فقط لمن يشهر السلاح في وجوهنا كما قال بذلك ، الفقيه ابن تيمية ([2]) ... فلقد كان رسول الله ع مع أصحابه في غزوة ، فمرَّ بامرأة مقتولة ، فوقف وقال : ما كانت هذه لتقاتل ...

وفي يوم الفتح ، أمر أحد المسلمين بأن يلحق بخالد بن الوليد ويقول له : لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً ـ أي أجيرا ـ ولا امرأة ، فعن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ ، فَبَعَثَ رَجُلا فَقَالَ انْظُرْ عَلامَ اجْتَمَعَ هَؤُلاءِ فَجَاءَ فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فَقَالَ ع : (مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ قَالَ وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلا فَقَالَ : قُلْ لِخَالِدٍ لا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا عَسِيفًا) ([3]) . وفي رواية أخرى عن الْمُرَقِّعُ بْنُ صَيْفِيٍّ عَنْ جَدِّهِ رَبَاحِ بْنِ الرَّبِيعِ أَخِي حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَمَرَّ رَبَاحٌ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ع عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ مِمَّا أَصَابَتِ الْمُقَدِّمَةُ ، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ خَلْقِهَا ، حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ع عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَانْفَرَجُوا عَنْهَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ع فَقَالَ : (مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ) ، فَقَالَ لأَحَدِهِمْ : (الْحَقْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ لا تَقْتُلُونَ ذُرِّيَّةً وَلا عَسِيفًا)([4]) .

وأمر رسول الله المسلمين بألا يقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ، وقال لهم : أخرجوا باسم الله ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر ، لا تغدروا ، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع ، وسار الخلفاء على هديه ع ([5])

ث ـ فحقوق المدنيين أثناء الحرب في الإسلام محفوظة تماماً : فإذا دارات الحرب فيُراعى حرمة المدنيين والأطفال والشيوخ ، لهذا فالإسلام أعطى حقوقاً كثيرة لحماية المدنيين أثناء الحرب إذا وقعت ، سواء أكانوا مدنيين من المسلمين أو من الأعداء ، فلم يُجزْ الإسلام إلا احترامهم ومعاملتهم معاملة حسنة وطيبة وحمايتهم من أهوال الحرب ، وذلك ضمن آداب وأخلاقيات الحرب في الإسلام ، التي هذَّبها الإسلام ، والتي تُظهره أنه دين الرحمة والتسامح والإحسان ، لأنه دين سماوي الهدف إنساني الغاية ، وتتجلى في هذا الدين الدوافع الإنسانية الرحيمة ، التي تحكم المسلم في قتاله إذا استنفر له ، واضطر إليه ، ذلك أن الإسلام قَصَرَ القتال على الجيش المحارب دون النساء والأطفال والشيوخ والرهبان ، فقد ورد ذلك في أحاديث نبوية شريفة كثيرة منها ماروِيَّ عن

---

[1] ـ راجع : نصر فريد واصل ، محمد رسول الإسلام والسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٨ وما بعدها .

[2] ـ راجع ابن تيميه في كتابه السياسة الشرعية ، ص ٩٣٢ .

[3] ـ سنن أبي داود حديث رقم ٢٢٩٥ ، ورواه ابن ماجه .

[4] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٤٢٣ .

[5] ـ راجع : أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٩ وما بعدها

أَنَسُ بْنُ مَالِك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً ، وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ([1]) .

ومن هذا المبدأ الجليل يتحدث أبوبكر الصديق رضي الله عنه فيقول : (أيها الناس : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبنن ولا تغلل) وهي آداب سامية جليلة دعانا الإسلام إليها فيها حماية كاملة للمدنيين وأموالهم وممتلكاتم وثرواتهم ونباتهم ومواشيهم وكل شيء له حماية ، لأن ذلك من حقوق المدنيين أثناء الحرب ، فلا تخريب ولا تجويع ولا مصادرة للحريات ، ولا إتلاف للأموال ، ولا مساس للأنفس والحياة العامة والخاصة للمدنيين جميعاً ، وتلك رحمة اتسم بها الإسلام وحق أقرهما دين الله الخاتم للمدنيين أثناء الحروب([2]) ..

ج ــ أن تكون الحرب الدفاعية عقاباً للمعتدي ، وكفاً لعدوانه ، فلا يتجاوز المسلمون الحد في عقوبتهم ، فلقد أرشدنا المولى سبحانه وتعالى إلى هذا المبدأ الذي يطهر الحروب من الآثام ، ويجعلها حروباً دفاعية بحتة وحروباً نظيفة ، بلا اعتداء أو حقد أو تدمير أو تجاوز ، فلقد قال الحق سبحانه : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ([3])

ح ــ لا يُجوِّع المسلمين أعداءهم ، ولا يمنعون عنهم الماء ، فإنه لما أسلم ثمامة بن أثال هو وقومه من أهل اليمامة ، منعوا عن قريش الحبوب التي كانوا يبيعونها لها ، فاشتد الجوع بقريش ، فذهب أبو سفيان إلى المدينة واستنجد بالنبي ع ، وقال : ألست تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين ؟ ، ثم قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، فكتب النبي إلى ثمامة يأمره بأن يبيع الحبوب إلى قريش كما كان يفعل .([4])

---

[1] ــ رواه أبوداوود حديث رقم٢٢٤٧ .

[2] ــ راجع : جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني : ، تقديم أحمد فتحي سرور ، مرجع سابق ، ص٦٨ــ٧١ .

[3] ــ سورة البقرة:الآية١٩٤ .

[4] ــ أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

خ ــ وكثيراً ما كان يقدم على رسول الله مندوبون من أعدائه الذين يحاربونه ، فلا يقتلهم ولا يسيء لقائهم ، فقد قدم على رسول الله مندوبا مسليمة : عبد الله بن النواحة وابن أثال ، فقال لهما النبي ع : فيما تقولان أنتما ؟ ، قالا : نقول كما قال مسليمة (أي أنهما أقرا مسليمة على دعواه) ، فقال لهما رسول الله : لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ، وهذا قمة التسامح ، مع أنهما أعلنا ارتداهما عن الإسلام صراحة ، إلا أنهما رسولان فعفا عنهما لهذا السبب ، فكان رسول الله لا يحبس رسول عدو عنده .([1])

د ــ ورعاية أهل الذمة شيء ضروري أثناء الحرب ، فلقد أعطاهم الإسلام رعاية كاملة ، فلابد من توفير طعامهم وكسوتهم وحمايتهم وحماية بيوت عبادتهم وحماية أنفسهم والدفاع عنهم حتى إذا هم رفضوا أن يحاربوا في صفوف المسلمين ، مع إلزامهم بدفع الجزية التي تقرر على غير المسلمين في البلاد التي يفتحها المسلمون .([2])

ذ ــ ومن سماحة الإسلام مع مخالفيه أنه يكفل للمستأمنين في دياره ــ من رعايا الدول المعادية التي تحارب المسلمين ويحاربونها ــ حقوقهم كاملة ، كأن لم تقم حرب بين قومهم وبين المسلمين : فأموالهم مصونة لا تسلب ولا تصادر ، وأعمالهم محمية ، وأرواحهم مرعية ، وهم مطمئنون على هذا كله حتى يعودوا إلى أوطانهم ، قال المولى عز وجل : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَه)([3]) ، وإذا رأى إمام المسلمين أن يضرب لمستأمن أجلاً تنتهي إقامته في دار الإسلام بانتهائه ، فعليه أن يراعي الزمن الذي يكفيه ويتلائم مع عمله ، وإن زاد على الشهر وعلى الشهرين ....

ويجب على المسلمين احترام المعاهدات التي وافقوا عليها قبل الحرب أو أثناءها وتوضع للتطبيق فوراً ، ولا يجوز نقضها حماية للمدنيين ، وكذلك معاهدات التحالف بين المسلمين وغيرهم ، فإن هذا الاتفاق وإبرام المعاهدات من حقوق الشعوب ، مصداقاً لقول الحق: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) ([4]) ،

[1] ــ راجع : زاد المعاد ، ج٢ / ص ١٠٦.
[2] ــ راجع : محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية ، مرجع سابق ، ص٣٣ ــ ٣٥.
[3] ــ سورة التوبة: من الآية٦ .
[4] ــ الآية ٩١ سورة النحل .

وقوله عز وجل : (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) ([1]) .

وكل هذه الحقوق للمدنيين من المحاربين ، بشرط عدم مشاركتهم في الحرب ، ويجب عليهم أن يلتزموا بما يقرره الحاكم عليهم ، والخضوع لتعليماته في حالة الحرب ، وعدم تعويق المحاربين ، ونشر الإحباط في صفوفهم ، أو العمل على إضعاف الروح المعنوية لجيش الإسلام ، والامتناع التام عن التعامل مع العدو ، أو الاتصال به أو مراسلته ...

وكل تلك القواعد تُعطي حقوقاً أكثر بكثير من الحقوق التي أعطتها القوانين والمعاهدات والإعلانات الدولية الحديثة في العالم المعاصر ، والتي حددت بعض الفئات التي تُحْمَى بموجب القانون الدولي الإنساني بموقف اتفاقية جنيف الخاصة بالفئات المحمية أثناء القتال ([2]).

ر ــ وإذا جنح العدو للسلم وآثرها على الحرب ، كان على المسلمين أن يسالموه ، ذلك بأن الإسلام أشد الحرص على السلام ، فهو يهادن من يجنح إلى الهدنة ، حتى الخونة الذين نقضوا عهدهم ، فلعلهم يفوا به بعد النقض الأول ، وحتى المنافقين الذين يدعون إلى السلام خدعة ورياء ، وذلك على شرط : ألا يكون في قبول الصلح إهدار لحق من حقوق الدين أو تعويق للدعوة الإسلامية ، قال تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ([3]) ، وقال سبحانه : (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)([4])

٣ــ الحقوق العامة للمحاربين من الأعداء أثناء الحرب وبعدها :

---

[1] ــ الآية ٣٤ سورة الإسراء .

[2] ــ ونلاحظ أيضاً أن تلك القوانين والاتفاقيات والمعاهدات الدولية لا تحترم أثناء القتال من المقاتلين غير المسلمين ، تحت دعاوى عديدة منها ضرورات الحرب ، راجع : شريف عتلم ، محاضرات في القــانون الــدولى الإنســاني ، القاهرة ، المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٣ ، ط ٣ ، ص٨٣ وما بعدها ..

[3] ــ سورة الأنفال: الآيتان ٦١ ــ ٦٢ .

[4] ــ سورة النساء: من الآية٩٠ .

يقر الإسلام النصر أو الشهادة للمحاربين المسلمين ، وبالنسبة للمحاربين من الأعداء فقد أعطاهم الإسلام حقوقاً إنسانية سامية جليلة تؤكد على كرامة الإنسان ولا تعمل على إذلاله حتى ولو انهزم في حرب ، ومن هذه الحقوق :

أ ــ الموجهة وعدم الطعن من الظهر حق للمقاتل من الأعداء ، لأن الحق في الإسلام له مكانة عظيمة ، وإذا كانت الحرب خدعة والخدعة مباحة في الحرب لأن كل فريق له الحق في رسم استراتيجيته في أرض المعركة ، ومع ذلك ، فإن الإسلام من قيمه النبيلة ، أن تكون المواجهة هي الأساس عند المسلمين ، والله سبحانه يقول لقائدهم : " وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ([1]) ...

إذا فإن فمن حق المحارب ضد الإسلام وجيوشه ألا نغدر به ونطعنه في ظهره ، بل لابد من مواجهته وجهاً لوجه ، ومقاتلته حتى النهاية ، بل وعلى المسلمين أن يُخَيِّروا المحاصرين بين قبول الإسلام أو الاستسلام دون قتال، رحمة بهم ، وذلك قبل شن الهجوم عليهم ، واقتحام حصونهم ، وعدم قتل الأطفال وغير القادرين عن الاشتراك في الحرب ، ولايجوز الإتلاف أو إبادة أية مصادر للرزق ([2]) ...

وكذلك لا تبدأ الجيوش الإسلامية بالقتال حتى يُعتدى عليها مصداقاً لقول الحق : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) ([3]) .

ب ــ الاهتمام بأمور الأسرى وعدم التخلص منهم بالقتل وإعطائهم حقهم في الحياة ، وابتعد المسلمون عن استرقاق الأسرى ، لأنه لم يرد نص إسلامي قرآني ، أوحتى دليل واضح في السنة على استرقاق الأسرى([4]) ...

فطالما استسلم الأسرى لا يجوز إهانتهم ، لأنهم بشر ، فلا شك أنه سيقع أسرى من الطرفين ، والإسلام يوصي أتباعه أن يعاملوا الأسرى معاملة حسنة في كل شيء ولا يساء إليه حتى تضع الحرب أوزارها ، فيوصينا الرسول ε بعدم قتل الأسير وعدم الإساءة إليه ...

هذا ... ولقد أكد الحق سبحانه وتعالي في الحض على الإحسان للأسير وإطعامه ومعاملته معاملة حسنة فقال الله سبحانه : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) ([5]) . وقال عز

---

[1] ــ الآية ٦٢ سورة الأنفال .

[2] ــ راجع :مراد هوفمان ، الإسلام كبديل ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ــ٢٣٧ .

[3] ــ الآية ١٩٠ سورة البقرة .

[4] ــ محمود رزق محمود ، الأسرى في صدر الإسلام : دراسة تاريخية ، في دورية التاريخ والمستقبل ، المنيـــا ، كلية الآداب قسم التاريخ ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٩٩م ، ص١٨٦ــ١٨٧.

[5] ــ الآية ٨ سورة الإنسان .

وجل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ([1])..

ت ـ يوصي الإسلام بضرورة إعلان الحرب قبل البدء في القتال والكفَّ عن القتال فوراً إذا كفَّ الأعداء عنه والاستجابة إلى السلم إن لاحت بارقة أمل فيه فوراً ، كما بيَّنَتْ الآية الكريمة : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)([2]) ، وعدم استمرار الحرب وتوقفها فور تحقيق أهدافها شرط أقره الإسلام ...

كل ذلك .. لأن الحرب ليست غاية ، وأن مساوئها لا تعد ولا حصى ، ولذلك إذا قامت يجب ايقافها فوراً .([3])

لذلك ، حين أغار جيش الدولة الإسلامية بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي على مدينة صفدة من أعمال سمرقند بفارس ، ولم يَقُمْ بدعوتهم للإسلام ، شكوا وضجوا بالشكوى فأعطاهم حقهم في الإعلان عن الحرب ، فأعاد قتيبة الحالة إلى ما قبل الحرب وأنذرهم ، فقال أهل صفد : بل نرضى بما كان ولا نريد حرباً ، وذلك نظراً لما وجدوه من قوانين الإسلام العادلة حتى في الحرب ...

ث ـ حرّم الإسلام تحريماً قاطعاً التمثيل بالقتلى وإحراق جثث الأعداء بالنار ، لأن النار لا يُعَذِبُ بها إلا الله ، ولأن الإنسان له حقوق بعد موته وهي دفنه وترك الأمر لله عز وجل ، وذلك مصداقاً للتوجيهات النبوية الشريفة لسيد الخلق أجمعين ع ، فعن مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ الأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع أَمَّرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ قَالَ : (فَخَرَجْتُ فِيهَا وَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا فَاقْتُلُوهُ وَلا تُحْرِقُوهُ فَإِنَّهُ لا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ) ([4]) .

كما أن الإسلام لم يُجِزْ استخدام الأسلحة الفتاكة التي تلحق الأذى الأكبر بالمحاربين الأعداء ، مثل السهام المسمومة والمنجنيق والعُراوات وإلقاء النيران على العدو ، لأنها من جهة ضد تعاليم الإسلام التي تمنع الإسراف في القتل ، ومن جهة أخرى حرق جنود الأعداء ، وقد نهانا الإسلام عن ذلك ، كما أن المنجنيق ينتج عنه إحراق وتدمير هائل ، فهو لا يستخدم إلا في حالة الضرورة الحربية القصوى ، وقياساً على ذلك نتفق مع القائلين بتحريم كافة أنواع الأسلحة ، التي تنطوي على العدوان والإسراف الذي تمنعهما الشريعة الإسلامية خاصة أسلحة الدمار الشامل مثل : الأسلحة

---

[1] ـ الآية ٧٠ سورة الأنفال .

[2] ـ الآية ٦١ سورة الأنفال .

[3] ـ محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية ، مرجع سابق ، ص٣٥ .

[4] ـ رواه أبوداوود حديث رقم ٢٢٩٩ ، ورواه أحمد .

الحارقة (١) كالقنابل والنابالم والأسلحة الجرثومية والكيميائية والنووية ، وهي الأسلحة الأشد فتكاً في التاريخ ، والتي لا تُفَرِقُ بين مدني ومحارب ، وبين جندي أو طفلاً أو امرأة أو شيخا كبير ، أو غير ذلك ممن ليس لهم ذنباً في القتال ...

٤ ـــ أخلاقيات الإسلام في نتائج الحرب :

الإسلام ، بضع لكل شيء حدوده ونطاقه ، ولم لا ؟؟!! ، إنه شريعة الله في الأرض التي لا تحيف ولا تخيف ، وتنفع الناس ولا تضرهم ، ولا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعالجتها ، حتى لا ينتشر الفساد في الأرض ...

ولذلك عالج الإسلام نتائج الحرب أروع معالجة ، فإذا ما وضعت الحرب أوزارها ، وانتهت بنصر من الله ، وانتصر المسلمون ، فليس من حقهم أن يبطرهم النصر ، فيتعسفوا بالمهزومين ويستذلوهم ، وإنما هم مقيدون بأحكام الشرع ، التي يجب عليهم أن يتبعوها والأخلاقيات العليا التي يجب أن يلتزموا بها والآداب الرفيعة التي يجب أن يتحلوا بها وأن يقتدوا بأخلاق رسول الله ε في مرحلة ما بعد الحرب على النحو التالي:

أ ـــ فلا يبيح الإسلام للمسلمين التمثيل بالقتلى ، ولا تخريب العمران ، ولا إحراق المساكن وقطع الأشجار وإتلاف الزرع ، إلا في حالة الاضطرار القصوى ، ووصية سيدنا أبوبكر خليفة رسول الله لأسامة بن زيد حين بعثه إلى الروم خير مثال على ذلك : فعَنْ مَالك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ أَمِيرَ رُبْعٍ مِنْ تِلْكَ الأَرْبَاعِ فَزَعَمُوا أَنَّ يَزِيدَ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ : إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا أَنْتَ بِنَازِلٍ وَمَا أَنَا بِرَاكِبٍ ، إِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : (إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ وَسَتَجِدُ قَوْمًا فَحَصُوا عَنْ أَوْسَاطِ رُءُوسِهِمْ مِنَ الشَّعَرِ فَاضْرِبْ مَا فَحَصُوا عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ : لا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا صَبِيًّا وَلا كَبِيرًا هَرِمًا وَلا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا وَلا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا وَلا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلا بَعِيرًا إِلا لِمَأْكَلَةٍ وَلا تَحْرِقَنَّ نَخْلا (وفي رواية : نحلاً) وَلا تُغَرِّقَنَّهُ وَلا تَغْلُلْ وَلا تَجْبُنْ) (٢)

---

[1] ـــ راجع : جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني : تقديم أحمد فتحي سرور ، مرجع سابق ، ص٧٤ـــ٧٥ .

[2] ـــ رواه مالك في الموطأ حديث رقم ٨٥٨ .

وفي الحديث الشريف نفس المعنى الجليل السامي والخلق الرفيع : فعَنْ خَالِدِ بْنِ الْفِزْرِ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلًا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (1)

ب ــ وعلى المسلمين أن يرحموا المهزومين من خصومهم المحاربين ، ويكفوا عن قتلهم ويكتفوا بأسرهم ، وهم مخيرون في الأسارى بين إطلاقهم بغير مقابل ، أو إطلاقهم بفدية ، وهناك رأي يقول بقتل من يجده المسلمين في حياته خطراً عليهم أو يرون في قتله قصاصاً عادلا ، ولكن ذهب الحسن وعطاء إلى أنه لا يجوز قتل الأسير (2) ، وذلك احتجاجاً بقول الله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)(3) ، وذلك لأن الآية نصت على المن والفداء فقط ، ولذلك ساد في الإسلام ، بدءًا بعهد النبي ، المن والفداء في مصير الأسرى في كل الحروب ، لأن الإسلام دين الرحمة لا يعرف التمثيل والتشفي بالأسرى ...

ج ــ وبعد أن ينتصر المسلمون على محاربيهم ، يخيرونهم في : أن يبقوا على دينهم ، او أن يدفعوا الجزية ، فالجزية نتيجة للحرب ، لا دافع إليها وباعث عليها وهدف من أهدافها ، فسماحة الإسلام تتمثل في هذه الجزية ، التي أساء الغرب فهمها ، التي ما فُرضت إلا للدفاع عن هؤلاء المتعاهدين ، والجزية يبرز سماحة الإسلام في فرضها وفي جمعها وفي الغرض الذي توخوه منها .

ح ــ أوجب الإسلام الوفاء بالعهود في الحرب والسلم ، حرَّم الخيانة للعهد سراً أو جهراً ، وحذر الخونة من أن الله لا يحبهم ، فقال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (4)

وبلغ من حرص الإسلام على الوفاء بالعهود ، أن الله تعالى لم يبح للمسلمين أن ينصروا إخوانهم المسلمين غير الخاضعين لحكمهم على الكفار الذين بينهم وبين المسلمين عهد ، فلقد قال الله تعالى في شأن المسلمين الذين لم يهاجروا : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا

1 ــ رواه أبو داود في سننه حديث رقم ٢٢٤٧ .

2 ــ راجع : أحمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

3 ــ سورة محمد: من الآية٤ .

4 ــ سورة النحل:الآية رقم ٩١ .

مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ([1])

خ ــ وإذا ما تثبت الحاكم المسلم ، كما فعل رسول الله ــ من أن معاهديه قد نقضوا عهدهم ، فعليه أن يكاشفهم بعدائه لهم ، حتى يحاربهم ، وهم على بينة من أمرهم وأمر المسلمين ، ويعلموا أنهم نقضوا عهدهم مع المسلمين ، وهذه أعظم درجات الأمانة والوفاء : قال الله عز وجل : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ([2]) ، فحتى المشركين ــ أعداء الله وأعداء المؤمنين ــ يجب على المؤمنين أن يفوا لهم بعهدهم إلى أجله ، ماداموا لم يعتدوا على المسلمين ، ولم يناصروا المعتدين عليهم ، قال الله عز وجل : (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) ([3])

د ــ جرى المسلمون على السماحة في حربهم وفي فتوحاتهم ، فكانوا يبعثون إلى البلد الذي يريدون فتحه شروطاً للصلح قبل أن يخوضوا المعركة مع أهله ن كما فعل عمرو بن العاص مع أهالي غزة عندما حاصرها في السنة السابعة عشرة من الهجرة ، وكما فعل مع مصر ، إذ عرض على المصريين حرية دينية كاملة وعدلاً مطلقاً ، ويثبت لنا سلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، في مدينة القدس ، مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة ، وهو على النقيض مما اقترفه الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون ، نعم ، فلقد دخل عمر القدس ، وأبدى من التسامح العظيم مع أهلها ما أمنوا به على دينهم وأموالهم وعاداتهم ، ولم يفرض عليهم سوى جزية زهيدة نظير الأمن والحماية .

ذ ــ كما أكد الإسلام على حرية الأفراد من العبودية أكد أيضاً على حرية الشعوب والدول والأمم في الحياة الحرة الكريمة ، فلا يجوز لشعب أن يعتدي على حرية شعب آخر ، وللشعب المعتدى عليه أن يرد العدوان ويسترد حريته بكل السُبل الممكنة وعلى المجتمع الدولي مناصرته ومساندته ومساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته ، قال الله سبحانه : (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ

[1] ــ سورة الأنفال:الآية رقم ٧٢ .

[2] ــ سورة الأنفال:الآية رقم ٥٨ .

[3] ــ سورة التوبة:الآيتان ٣ــ٤ .

ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ)(١) ، ويتحمل المسلمون في ذلك واجباً في إقامة حرية الشعوب على وجه الأرض وعدم المساس بها (٢).

ر ــ ولم يرغم الإسلام مخالفيه على الدخول فيه ، بل ترك لغير المسلمين الحرية الكاملة في أن يبقوا على دينهم ، فلا يُجبروا على اعتناق الإسلام ، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فالله عز وجل يقول لنبيه ع : (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) (٣) ، والرسول ع كان يُخيِّر الناس بين الدخول في الإسلام أو البقاء عى دينهم ، ولكن بعد أن يعقد معهم عهداً يطمئنون به على دينهم وأعراضهم وأمواهم ويتمتعون بذمة الله ورسوله ولذلك سمّوا (أهل الذمة)(٤) ، وفي حديث شريف عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ ع: (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تَغْدِرُوا وَلا تَمْثُلُوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ)(٥)

فالإسلام أعطى لكل فرد في ظله حقَّ الحرية في أن يختار بين الكفر أو الإيمان ...

كما أن التاريخ الإسلامي كله يخلو من فرض المسلمين لدينهم بالقوة والإكراه على الرعايا غير المسلمين أو حدث اضطهاد لأي شعب لإكراه أفراده على اعتناق الدين ...

ولذلك جاء في عهد عمر بن الخطاب لأهل القدس ما يوضح ذلك الأمر بجلاء ووضوح : " هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : " فأعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنانسهم وصلبانهم ، فلا تسكن كنانسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا يكرهون ولا يُضار

---

1 ــ الآية ٤١ سورة الشورى

2 ــ وائل أحمد علام ، الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص٣٢٨ .

3 ــ سورة يونس الآية ٩٩ .

4 ــ صالح بن حسين العايد ، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢٨ــ٢٩ .

5 ــ رواه مسلم حديث ٣٢٦١ ، ورواه أيضاً ابن ماجه ٢٨٤٩ والدارمي٢٣٣٥ .

أحد منهم" ، وهذا هو نفس ماأعطاه أيضاً عمرو بن العاص لأهل مصر عند فتحها ، حيث أعطاهم أماناً على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبحرهم ([1]).

بل حذرنا رسول الله ε من المساس بحقوق غير المسلمين ففي حديث شريف أكد رسول الله ε أن من يظلم هؤلاء فإنه ε حجيجه يوم القيامة وهذا يدل على الحقوق الواسعة لغير المسلمين على المسلمين ، فعن صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ε عَنْ آبَائِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε قَالَ : (أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ([2]) ...

كما أنه يُحَرِّم على المسلم الاعتداء على أموال غير المسلمين فتقطع يد سارقها ويعزّر مغتصبها ومن استدان منهم شيئاً وجب رده ويعاقب المماطل فيه ، فعن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ :غَزَوْنَا مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الصَّائِفَةَ فَقَرِمَ أَصْحَابُنَا إِلَى اللَّحْمِ فَسَأَلُونِي فَقَالُوا : أَتَأْذَنُ لَنَا أَنْ نَذْبَحَ رَمَكَةً لَهُ ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِمْ فَحَبَلُوهَا ، ثُمَّ قُلْتُ : مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَ خَالِدًا فَأَسْأَلَهُ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ :غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ε غَزْوَةَ خَيْبَرَ فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي حَظَائِرِ يَهُودَ فَأَمَرَنِي أَنْ أُنَادِيَ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا مُسْلِمٌ ، ثُمَّ قَالَ ε :(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ قَدْ أَسْرَعْتُمْ فِي حَظَائِرِ يَهُودَ .. أَلا لا تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهَدِينَ إِلا بِحَقِّهَا ، وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ لُحُومُ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ وَخَيْلِهَا وَبِغَالِهَا وَكُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَكُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ) ([3])

وحرب المسلمين لليهود في المدينة كانت بسبب بدأ اليهود يأتمرون بالمسلمين ويوقعون بينهم ، ثم لجوا في الغواية ، فانتهكوا من حرمات العرب ما يأباه الإسلام ، فقاتلوهم هم الآخرين ، وكان بنو قينقاع أول من نكث العهد ، إذ قدمت إمرأة من العرب إلى سوق اليهود من بني قينقاع بحلية لها ، فأرادوا أن تكشف وجهها وهي تأبى ، فجاء يهودي على غفلة منها ، وشبك طرف ثوبها إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا ، وصاحت ، فوثب على الصائغ رجل من المسلمين فقتله ، وقام اليهود للمسلم فقتلوه ، ووقع الشر بين اليهود والمسلمين ، وطلب محمد إلى اليهود أن يكفوا أذاهم ويحفظوا عهد الموادعة وإلا نالهم ما نالت قريش ، فاستخفوا بوعيده ، وقالوا له " لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس " ، فحق للمسلمين قتالهم حفاظاً على هيبتهم ، ودارت الدائرة على بني قينقاع ، فأجلاهم الرسول عن المدينة ، ثم أجلى اليهود من بني النضير لمثل ما كان من بني قينقاع من نقض للعهد

---

[1] ــ راجع : السيد أحمد المخزنجي ، العدل والتسامح الإسلامي ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، العدد ٦٧ ، يونيو ١٩٨٧م ، ص ص ٢٥ ــ ٢٦ ، وأيضاً :السيد على بن السيدعبد الرحمن آل هاشم ، الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص٣٣٦ .

[2] ــ رواه أبو داود في سننه حديث ٢٦٥٤ .

[3] ــ رواه أحمد في مسنده ١٦٢١٣ ورواه أبو داود في سننه ٣٣١٢ .

وكيد المسلمين ، حتى ذهبوا في كيدهم ، وهم كتابيون ، إلى تفضيل الشرك على الإسلام ، حين ذهب يهود بني النضير بعد جلائهم عن ديارهم ينتصرون لقريش على محمد ، فسألهم هؤلاء : " يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير من دينه ؟! ، فأجاب اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه " فنزلت في ذلك الآية الكريمة من الله العزيز الحكيم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) ([1]) ، ثم نزلت الآية التي أعلنت عن قتال اليهود بسبب ظلمهم : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) ([2])

٥ ــ أخلاقيات النبي العامة ε في غزواته وحروبه مع الأعداء :

وهي الأخلاق العامة للنبي الكريم ε في كل الحروب ، والتي لم يتركها في أي حرب ، والتي كانت نصب عينيه دائماً ليعلمنا أصول ديننا في أثناء السلم وفي أثناء الحرب ...

فالنبي الكريم ε كان على خلق عظيم سلماً وحرباً ، وهو نموذج نقتدي به ، في العام والخاص ، وقبل أن نبدأ حديثنا هذا عن أخلاقيات النبي العامة التي حدثت في أغلب الحروب التي خاضها رسولنا الكريم ε ، فكانت أخلاقيات الحرب الرفيعة عند المصطفىε ، والتي أوجزها كعب بن مالك في الأبيات التالية التي يجيب فيها هبيرة بن أبي وهب يوم أحد : ([3])

وفينا رســـول الله نتبــع أمره   إذ قال فينا القــــول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عــند ربه   يُنَزّ من حد الســــماء ويُرفع
نشـــاوره فيما نــريد وقصرُنا   إذا ما اشتهى أنا نطيع ونســمع
وقال رســـول الله لما بدوا لنا   ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا لمن يشري الحياة تقربا   إلى ملك يحيى لديه ويرجـــــع

[1] ــ سورة النساء:الآية رقم٥٠ .

[2] ــ سورة التوبة:الآية رقم ٢٩ .

[3] ــ الشريف نايف بن هاشم الدعيس ، الرسول ε والشعر ، المدينة المنورة ، ١٩٩٢م ، مطابع الرشيد ، ط١ ، ص ١٨١ــ١٨٢.

كما يقدم لنا شاعر الرسول ع بعضاً من الشعر يوجز فيه أخلاقيات النبي ع العالية والسامية في الحرب والتي أصبحت أخلاقيات المسلمين أجمعين ، فيقول حسان ([1]) :

أقام على عهد النبي وهديـــــــــه حواريه والقول والفعــل يعدل
أقام على منهاجه وطريقـــــــــه يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم مجــحل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض سباق إلى الموت يرفل
وإن امرأ كانت صفـــــــية أمه ومن أســـــد في بيتها لمؤثل

ولقد غزا رسول الله ع بضعاً وعشرين غزوة وبعث نحو خمس وثلاثين سرية خلال سنوات هجرته للمدينة التي لم يفرض القتال على المسلمين إلا فيها (بعد الهجرة إليها) حيث أنزل الله آيات بينات يأمر المسلمين فيها بالقتال دفاعاً عن النفس ، ونهانا الله رب العزة عن الاعتداء على أي كائن كان في أي وقت كان([2]) ، فقال الله سبحانه : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([3]) ...

ونلاحظ أن عدد غزوات الرسول كانت ٢٨ غزوة ، أي بمعد ٣,١٥ غزوة كل عام ، ونحو ٤ سرايا كل عام ، فكانت حياة الرسول كلها كفاح ونضال ضد المعتدين والظالمين ، فكان زمنه كله حالة حرب ووقت حرب ، ونلاحظ أن حروبه لم تكن دموية ، حيث سقط في كل تلك الغزوات ١٤٢ شهيداً فقط نصفهم (٧١ شهيداً) في غزوة أحد بمفردها ، مما يدل على أن الحروب لم تكن دموية ، بل كانت تقف عند ظهور أول دعوة للسلام ([4]) ..

وكانت هناك جملة من الأخلاق العامة للنبي الكريم في كل الحروب التي خاضها ع مع أصحابه ، ونقتبس بعض تلك الأخلاقيات :

أ ــ الشوري : في كل الحروب نجد رسول الله ع يشاور أصحابه قبل القتال وفي أثناء القتال ، وبعد القتال أيضاً ، ولم لا ...؟! ، فلقد كانت الشورى مع الأصحاب سياسة نبوية شريفة له ع ، كما

---

[1] ــ المرجع السابق ، ص ١٢٢ــ١٢٣ .
[2] ــ محمد حسني فايد ، قطوف من رياض السيرة المحمدية ، القاهرة ، دار الزمان ، ١٩٩٥م ، ص٦٩ــ٧٠ .
[3] ــ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[4] ــ راجع : عبد المعز الجزار ، شهداء المسلمين في الغزوات ، القاهرة ، بدون ، عام ١٩٩٤م .

كانت أمراً سماوياً له ε ولأمته ، قال الله تعالى : " وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْـرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ "(1).

وهذه الآية مكية وقبل أن تقوم للمسلمين دولة ، وهذا يدل علـى أن الشـورى مـن عناصـر الشخصية الإيمانية الحقة وملاصقة للفرد لأنها حق من حقوقه ، ولهذا قال الله لنبيه ومصطفاه ε : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(2) ،

وقد نزلت هذه الآية عقب غزوة أحد التي أصاب المسلمون فيها ما أصابوا نتيجة الشورى التي نزل الرسول ε عن رأيه نتيجة المشاورة ، ومع ذلك أمره الله بعد هذه الأحداث بأن يستغفر لأصحابه وبأن يشاورهم في كل ما يحتاج إلى مشورة ، ويتضح من هذه الآيات أن حق الشورى للمـواطنين كافة لأنها قلب النظام السياسي الإسلامي وأساس الديمقراطية الإسلامية .

ولقد نزلت آيتي الشورى ولم يكن في الناس يومئذ أحد من المـوافقين أو المخـالفين يطالـب بالشورى أو يتحدث عنها أو يشكو البعض من غيابها وفقدانها ، وإنما جاء التنزيل العزيز بهذا الأمر لأن المجتمع الذي يراد له الاستقرار والاستمرار ينبغي أن يقوم على الشورى ، فالشورى في الإسلام كانت نتيجة توجيه إلهي عظيم ، وكانت تهدف إلى إنشاء المجتمع الصالح المستقر وبنائه وإرسـاء قواعده الثابتة التي لا تتزعزع .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن خطابه تعالى لرسوله بقوله (وشاورهم في الأمر) لم يكن من قبيل حاجة الرسول ε إلى المشاورة ، فهو غني عنها بما رُزق من اختياره للرسالة ، وبما عُـرِفَ عنه من رجاحة العقل وحصافة الرأي وبُعد النظر ، وإنما كان توجيهه لمشاورة أصحابه والاستماع إلى رأيهم لإشراكهم في المسئولية وتدريبهم على استعمال الشورى في كل أمورهم ، وهذا من قبيل تعليم الناس وإرشادهم إلى أمْثَل الطرق التي يجب أن يتبعوها في شؤون الدنيا وليكون الرسـول ε أسوة لهم في كل ما يأتون وما يدعون .

فالشورى نظام مفروض ، وعلم على دولة الإسلام وأمة الإسلام ، ولهذا فدولة الإسلام : تُسمي دولة أو أمة الشورى (3)

ونلاحظ أن هناك شورى وقفت على طلب النبي الكريم (أي أن الرسول ε هو الذي سأل الناس أن يشيروا عليه) وكان ذلك في غزوة أُحد عندما سمع رسول الله ε بتحرك المشركين من قـريش

---

1 ــ الآية ٣٨ سورة الشورى .

2 ــ الآية ١٥٩ سورة آل عمران .

3 ــ محمد سليم العوا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ــ١٠٨.

وأتباعها والتوجه للمدينة لأخذ أهلها على غرة ، فقال النبي ε لأصحابه : أشيروا عليَ ماذا أصنع ؟ ، فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا إليهم لنلقاهم ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ما غَلَبَنَا عدو قـط أتانا في ديارنا ، فكيف وأنت فينا ؟ ، فدعا رسول الله ε عبد الله بن أبى سلول ولم يدعه قط قبلها ، فقال : يا رسول الله أخرج بنا إلى هذه الأكلب ، واستشار الرسـول رأس المنـافقين ولـم يهمـل استشارته ، ثم بعد ذلك دعا رسول الله بدرعه فلبسها ، فلما رأوه قد لبس سلاحه نـدموا وقـالوا : بئس ما صنعنا نُشير على رسول الله والوحي يأتيه ، فقاموا واعتذروا إليه فقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال الرسول ε : لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته (أي الدرع) فيضعها حتى يقاتل)([1]) ، وهذا أعظم درس في تطبيق الشورى حيث نزل الرسول ε على رأي أصحابه .

وهناك شورى جاءته من بعض الصحابة ابتداء من غير طلب مثل ما أشار به الحباب بن المنذر عندما طلب من الرسول ε في بداية غزوة بدر ، كما شاور الرسول ε أصحابه قبـل التنفيـذ فـي إعطاء ثلث ثمار المدينة إلى غطفان ، فكان الرسول ε في هذا الموقف وهو رسـول الله ورئـيس الدولة والزعيم السياسي والقائد العسكري يعزم أمراً تراءى له فيه مصلحة المسـلمين ،حتـى إذا اقترب من الإبرام استشار أهل الحقوق فاستمع إلى حججهم ، فلما ساغ منطقها ورأى قوتها عـدل عن رأيه ولم يبرم ما عزم عليه([2]) ، كما شاور النبي ε أصحابه في موضوع الأسرى وكان هنـاك رأيان فأخذ النبي ε برأي أبي بكر رضي الله عنه ، وهكذا من يدرس السيرة النبوية يجـد كيـف أن المجتمع العربي قام على أساس تطبيق مبدأ الشورى ــ وخصوصاً في وقت الحرب ــ التـي هـي دعامة قوية في نشر الأمن القومي وإرساء قواعد الاستقرار؟! .

وهناك من الأسانيد النبوية في شأن الشورى : حديث عمر رضي الله عنه في قصة بدر وفيه : واستشار رسول الله ε أبا بكر ، وعلياً ، وعمراً - رضي الله عنهم جميعاً : فعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ : (حَدَّثَنِي سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ε إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ε الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ ، قَالَ أَبُو

---

[1] ــ رواه الطبري .

[2] ــ راجع : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي مرجع سابق ، ص ٦٣ــ٦٩ .

زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأُسَارَى؟ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، قُلْتُ : لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ ، نَسِيبًا لِعُمَرَ ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ : " وأنزل الله تعالي في ذلك آيات مبينات : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "الآية٦٧ سورة الأنفال).([1])

وعن أنس رضي الله عنه قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في أسرى يوم بدر فقال : " إن الله قد أمكنكم منهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله اضرب أعناقهم . قال :" فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم عاد عليه السلام . فقال : " يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس " . فقال عمر مثل ذلك فأعرض عنه عليه السلام . ثم عاد عليه السلام فقال مثل ذلك . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله نري أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان من الغم ثم عفا عنهم وقبل منهم الفداء ، وأنزل الله لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "الآية٥٨ سورة الأنفال.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : "ما تقولون في هؤلاء الأسري ؟ " قال فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! قومك وأهلك واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحه رضي الله عنه : يا رسول الله ! انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر

[1] ـــ رواه الإمام مسلم في صحيحه حديث ٣٣٠٩ .

، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه - رضي الله عنهم . فخرج عليهم فقال : (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : " فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [إبراهيم ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسي عليه الصلاة والسلام قال : " إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " [المائدة : ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه الصلاة والسلام قال : "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " [نوح : ٢٦] ، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه الصلاة والسلام قال : " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ " [يونس : ٨٨] ، أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله فقلت : يا رسول الله ε ! ، إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت ، قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال : إلا سهيل بن بيضاء ، قال : فأنزل الله :" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [الأنفال :٧٠] (١).

وعن الزهري قال لما اشتد علي الناس البلاء بعث رسول الله ε إلي عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائداً غطفان ، واتفق معهما على إعطائهما ثلث ثمار المدينة علي أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجري بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة . فلما أراد رسول الله ε أن يفعل ذلك بعث إلي السعدين ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أهذا أمر تحبه فنصنعه أم هو أمرٌ أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم هو شيئ تصنعه لنا ؟ ، فقال : بل شيء أصنعه لكم ؛ والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلي أمر ما . فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد كنا وهؤلاء علي الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك ، وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ε : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا(٢).

[1] ــ أخرجه الإمام أحمد ، حياة الصحابة جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ورواه الترمذي والحاكم والإمام أحمد ، المرجع السابق ص ٣١ .

[2] ــ أخرجه ابن إسحاق ، المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث إلي رسول الله ε فقال : ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال : حتى أستأمر السعود : سعد بن عبادة ، وسعد ابن معاذ رضي الله عنهما - يعني يشاورهما . فقالا : لا والله ما أعطينا المدينة من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام . فرجع إلى الحارث فأخبره . فقال :غدرت يا محمد ، وعند الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث الغطفاني إلي رسول الله ε فقال : يا محمد ! شاطرنا تمر المدينة . فقال : حتى استأمر السعود ، فبعث إلي سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود رضي الله عنهم فقال : إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد . فقالوا : يا رسول الله ! أوحي من السماء ، فالتسليم لأمر الله ، أو عن رأيك وهواك ، فرأينا نتبع هواك ورأيك ، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا ، فوالله لقد رأيتنا وإياهم علي سواء ، ما ينالون منا تمرة إلا شراء أو قري . فقال رسول الله ε : هو ذا ، تسمعون ما يقولون ، قالوا : غدرت يا محمد([1]) .

كما استشار الرسول بعد حصاره الطائف لمدة خمسة عشر يوما دون أن ينال منهم ، فسأل نوفل بن معاوية الديلي وقال : يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ، فقال : يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضيرك ، فرفع الرسول ε عنهم الحصار وارتحل المسلمون وجاء أهل الطائف مسلمين بعد ذلك ([2])٠

ولعل أبلغ دليل على أخلاق النبي الرفيعة في المشاورة في الحرب هي وصية سيدنا أبوبكر خليفة رسول الله إلى عمرو بن العاص ، فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص أن رسول الله ε شاور في الحرب فعليك به ([3]) ...

فالشورى كانت من أهم أخلاق النبي ε في الحروب ، مما يعطي بُعداً إنسانياً وأخلاقيا للحرب ، لأننا نعرف أن أهم شيء في عالمنا المعاصر الاستبداد أثناء الحرب ، فلا صوت يعلو على صوت المعركة ، ولكن النبي الكريم والرحمة المهداة من رب العالمين إلى البشرية جمعاء ε يعطينا المثل والقدوة في التشاور والمشاورة للوصول إلى أرشد الأمور بعيداً عن الغل والحقد والتنكيل .

ب ـ عدم محاربة إلا الأعداء ، وعدم التعرض للنساء والأطفال والمسنين وعدم قطع الأشجار ، وهذا خُلق عام للنبي ε في جميع الحروب ، وسلكه النبي ε ليدلل لنا

---

[1] ـ رواه البزار ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

[2] ـ رواه للطبري ٠

[3] ـ أخرجه الطبرانى ، المرجع السابق ص ٣٤ .

على أن الحرب ليست غاية ولا حتى وسيلة ، ولكنها ضرورة للدفاع عن النفس والعقيدة والوطن ، فالحرب مكروهة في الإسلام ، ولكن تفرض ــ إذا وجبت علينا ــ بأخلاقيات ألا نتعرض لغير المحاربين أثناء وبعد المعركة ، فللجميع الأمان التام وقت السلم ووقت الحرب فلا تحده حدود ، فلقد أعطى الإسلام هذه الفئات من المدنيين الأمن والأمان في وقت السلم وفي وقت الحرب ، فمن سنة النبي ε أنه أوصانا وشدد على حمايتهم أثناء الحرب ، فعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε قَالَ : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(١) ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ــ خليفة رسول الله ε ــ يدعو لعدم تعرض المحاربين ، للمدنيين غير المشاركين في الحرب، أثناء الحرب وبعدها الحرب نهائيا ، بل قدمها سيدنا أبو بكر في وصيته فأعطاها الأولوية في الأمان وعدم التعرض لها وهذه قمَّة الإنسانية واحترام خصوصية المدنيين في الإسلام ، فإنه يروى عن يحي بن سعيد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد بعث الجيوش إلى الشام وبعث يزيد بن أبي سفيان أميراً وأوصاه (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل) (٢)..

وهذا الأمر بعدم التعرض للمدنيين وعدم التدمير والفتك هو قمة أخلاق النبي ε وآدابه في جميع حروبه وغزواته ، وأوصى الصحابة بذلك .

ت ــ عدم التمثيل بالأعداء ، من الجنود أو القتلى ، لأن الإسلام دين رحمة ، فمهما عمل الأعداء من أعمال منافية للأخلاق ، فلا يجب أن نجاريهم في ذلك ، فلا نُمثل بالجثث ولا نتفانى في قتل الأعداء والتنكيل بهم ، ولا نجهز على جريح بالقتل ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ، التي علمنا إياها رسول الله ε أثناء الحروب ، فيقر الإسلام النصر أو الشهادة للمحاربين المسلمين ، وبالنسبة للمحاربين من الأعداء فقد أعطاهم الإسلام حقوقاً إنسانية سامية جليلة تؤكد على كرامة الإنسان ولا تعمل على إذلاله حتى ولو انهزم في حرب ، ومن هذه الحقوق :

ث ــ الموجهة وعدم الطعن من الظهر حق ، لأن الحق في الإسلام له مكانة عظيمة ، وإذا كانت الحرب خدعة والخدعة مباحة في الحرب لأن كل فريق له الحق في رسم استراتيجيته في

[1] ــ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

[2] ــ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربيــة ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

أرض المعركة ، ومع ذلك ، فإن الإسلام من قيمه النبيلة ، أن تكون المواجهة هي الأساس عند المسلمين ، والله سبحانه يقول لقائدهم : (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ([1]) ، إذا فإن فمن حق المحارب ضد الإسلام وجيوشه ألا نغدر به ونطعنه في ظهره ، بل لابد من مواجهته وجهاً لوجه ، ومقاتلته حتى النهاية ، بل وعلى المسلمين أن يُخَيِّروا المحاصرين بين قبول الإسلام أو الاستسلام دون قتال ، رحمة بهم ، وذلك قبل شن الهجوم عليهم ، واقتحام حصونهم ، وعدم قتل الأطفال وغير القادرين عن الاشتراك في الحرب ، ولايجوز الإتلاف أو إبادة أية مصادر للرزق ([2]) ، ولا تبدأ الجيوش الإسلامية بالقتال حتى يُعتدى عليها مصداقاً لقول الحق : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)([3]) .

ولقد حرّم الإسلام تحريماً قاطعاً التمثيل بالقتلى وإحراق جثث الأعداء بالنار ، لأن النار لا يُعَذِبْ بها إلا الله ، ولأن الإنسان له حقوق بعد موته وهي دفنه وترك الأمر لله عز وجل ، نعم ، فالله هو الذي سيحاسب عباده ، ويجب أن نحترم خلقه حتى في مماتهم ، وذلك مصداقاً للتوجيهات النبوية الشريفة لسيد الخلق أجمعين ε ، فعن مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ الأَسْلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε أَمَّرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ قَالَ : (فَخَرَجْتُ فِيهَا وَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلاَنًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :إِنْ وَجَدْتُمْ فُلاَنًا فَاقْتُلُوهُ وَلا تُحْرِقُوهُ فَإِنَّهُ لا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ)([4]) .كما أن الإسلام لم يُجِزْ استخدام الأسلحة الفتاكة التي تلحق الأذى الأكبر بالمحاربين الأعداء (مقام الأسلحة النووية والكيميائية والحارقة والأسلحة الجرثومية الآن)، وهي في زمن النبي ε كانت السهام المسمومة والمنجنيق والعُراوات وإلقاء النيران على العدو ، لأنها من جهة ضد آداب وأخلاقيات الإسلام التي تمنع الإسراف في القتل ، ومن جهة أخرى حرق جنود الأعداء ، وقد نهانا الإسلام عن ذلك ، كما أن المنجنيق ينتج عنه إحراق وتدمير هائل ، فهو لا يستخدم إلا في حالة الضرورة الحربية القصوى ، وقياساً على ذلك نتفق مع القائلين بتحريم كافة أنواع الأسلحة ، التي تنطوي على العدوان والإسراف الذي تمنعهما الشريعة الإسلامية خاصة أسلحة الدمار الشامل مثل : الأسلحة الحارقة ([5]) كالقنابل والنابالم والأسلحة الجرثومية والكيميائية والنووية ، وهي الأسلحة الأشد فتكاً في التاريخ ، والتي لا تُفَرِقْ بين مدني ومحارب ، وبين جندى أو طفلاً أو امرأة أو شيخا كبير ، أو غير ذلك ممن ليس لهم ذنباً في القتال ...

---

[1] ــ الآية ٦٢ سورة الأنفال .

[2] ــ راجع :مراد هوفمان ، الإسلام كبديل ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ــ٢٣٧ .

[3] ــ الآية ١٩٠ سورة البقرة .

[4] ــ رواه أبوداوود حديث رقم ٢٢٩٩ ، ورواه أحمد .

[5] ــ راجع : جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني : تقديم أحمد فتحي سرور ، مرجع سابق ، ص٧٤ــ٧٥ .

فالحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية لا الحرب الهجومية العدوانية ، لقول الله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (1) ، ولذلك يُقيدُ الإســلام الحرب بمقياسين هما : العدل والتقوى ، بمعنى التزام حدود الله فلا بَغْيَ ولا إسراف ورعاية حُرمة الدماء والأعراض والكرامة الإنسانية ، فلا اغتيال بغير مواجهة ، ولا تمثيل بجثة ، ولا إهدار لدم أسير ، وعدم المعاملة بالمثل في انتهاك الحرمات (2).

نعم ... فمن أهم قواعد القانون الإسلامي في عدم الاعتداء أنه لا يجوز توجيه أعمال الحرب والقتال إلا إلى من صار من الأعداء غير مقدور عليه ، قال الله الحق سبحانه : (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً) (3) ، ففي حالة استسلام العدو أو عجزه تتوقف أعمال القتال فوراً ، ولا يتم الاعتداء على الجرحى أو المصابين ، وكذلك يمتنع على المسلمين التمثيل بالقتلى ، ويُحَرِم الإسلام حمل الرؤوس إلى الولاة ، ويعتبرها من أعمال البغي ، ويأمرنا الإسلام بدفن الجثث وعدم تركها معرضة للتشويه ، قال الرسول ε في حديث رويَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ε قَالَ في حديث يدعو للخلق الحميد : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)(4) ...

وكذلك يمنع الإسلام قتل الأعداء بالتجويع أو التعطيش حتى إذا كان الأعداء يفعلون ذلك ، كما يمنع الإسلام الغدر في الحرب ، ويميز بين الحيلة والغدر ، فيجوز استخدام الحيلة بشرط ألا تنقض عهد أو أمان أو ميثاق ، كما يمنع الإسلام الإبادة الجماعية ، ولا يجوز أن يُفسدَ جيش الإسلام في الأرض ويقوم بالتخريب أو قطع الأشجار أو عقر الحيوان ، كما بيننا من قبل .. هذا هو المنهج الإسلامي والنبوي الشريف الإنساني العظيم في الحرب...

ج ـ الاهتمام بأمور الأسرى وعدم التخلص منهم بالقتل وإعطائهم حقهم في الحياة ، وابتعاد المسلمون عن استرقاق الأسرى ، لأنه لم يرد نص إسلامي قرآني ، أوحتى

---

1 ـ الآية ١٩٤ سورة البقرة .

2 ـ راجع : محمد كامل حته ، القيم الدينية والمجتمع ، مرجع سابق ، ص٢٢٧ـ٢٣٣ .

3 ـ الآية ٩٠ سورة النساء .

4 ـ رواه الترمذي ١٣٢٩ ومسلم ٣٦١٥ والدارمي ١٨٨١ وأحمد ١٦٤٩٠ وابن ماجه ٣١٦١ وأبـو داود ٢٤٣٢ والنسائي ٤٣٢٩ .

دليل واضح في السنة على استرقاق الأسرى([1]) ، فطالما استسلم الأسرى لا يجوز إهانتهم ، لأنهم بشر ، فلا شك أنه سيقع أسرى من المسلمين ومن أعدائهم ، ومعاملة المسلمين للأسرى من الأعداء يدل بجلاء على أن الإسلام دين البر والرحمة والرفق والقسطاس المستقيم والقصد والوقوف عند الحدود من غير تجاوز ولا تعد ، ولم لا ....؟؟!! ورسول الله ε يقول : (استوصوا بالأسارى خيراً) ([2]) ، وفي هذا الحديث الشريف لنبي الله ε خلق قويم وأدب عظيم ، فالاستيصاء أي قبول الوصية ، والمعنى افعلوا بالأسرى معروفاً ولا تعذبوهم بشد الوثاق فوق الحاجة وأطعموهم واسقوهم ، وهذا خلق عظيم من نبي الله ([3]) ...

ومن حقوق الأسير أثناء الحرب : نجد الكثير والكثير ، فالإسلام دين رحمة وعدل حتى في أحلك المواقف في الحرب ، لا يدعو إلى الانتقام وسفك الدماء ، بل يأمر بحُسن معاملة الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين ، فمن سُنن الحرب أن يكون هناك قاتل ومقتول وأسير ومأسور ، ولكن ما سيميز الإسلام هو سماحته في معاملة الأسرى ، فلا ينبغي للمسلمين أن يلحقوا بهم التعذيب أو الأذى أو يعذبونهم بضرب أو جوع أو عطش ، أو تركهم في الشمس أو البرد أو لسعهم بالنار المُحرقة أو تكميم أفواههم أو آذانهم أو أعينهم ووضعهم في أقفاص الحيوانات ، بل يجب أن يعاملوهم برفق ورحمة وإطعام وترغيب في الإسلام ، فلقد قال الله سبحانه تعالى في صفات الأبرار : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)([4]) ، وهذه الآية جاءت حين أمر رسول الله ε صحابته يوم بدر أن يُكرموا الأُسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم في الغذاء ، ولكن حبس الأسير في الإسلام سياسة لإستبانة المصلحة ، فيمكن لإمام المسلمين حبس الأسرى حتى يرى فيهم وجه المصلحة : فإما أن يقبل منهم الفداء بالمال ، أو يبادلهم بأسرى المسلمين ، أو يبقوا لتحقيق منفعة للمسلمين ، سواء التعليم أو الخدمات المختلفة ، أو أن يطلق سراحهم عفواً منه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)([5]) ، والحكمة من الأسر هو كسر شوكة العدو ودفع شره بإبعاده عن ساحة القتال لمنع أذاه ، فالغاية منه إذن هي الاحتراز والتحفظ وليس الانتقام ([6]) ...

---

[1] ــ محمود رزق محمود ، الأسرى في صدر الإسلام : دراسة تاريخية ، في دورية التاريخ والمستقبل ، المنيا ، كلية الآداب قسم التاريخ ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٩٩م ، ص١٨٦ــ١٨٧.

[2] ــ رواه الطبراني بإسناد حسن .

[3] ــ راجع : الإسلام دين الرفق ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، المكتب الفني لنشر الدعوة الإسلامية ، سلسلة الدين والحياة ، ١٩٨٨ ، ١٢٦ــ١٣٨ .

[4] ــ سورة الانسان:الآية رقم٨ .

[5] ــ سورة محمد: من الآية ٤ .

[6] ــ راجع : عمرو جمال ، تحقيق المصلحة شرط لحبس الأسير في الإسلام ، القاهرة ، جريدة الأهرام ، ١٣ مارس ٢٠٠٧ ، ص ٣٣ .

فلقد كان الروم ، ومن قبلهم الأشوريون والفراعنة ، يفقأون عيني الأسير بمسامير ، ويسلخون جلودهم ويطعمونهم للكلاب ، حتى كان الأسير يتمنى الموت على هذه الحياة ، إلى أن جاء نبي الرحمة ع ، فأوصى بالأسرى خيراً ، فهو نبي الرحمة ، وهو الرحمة المهداة من رب العالمين للبشر أجمعين ، وقصة تمامة بن آثال خير شاهد على رحمة المصطفى ع بالأسرى ، فقد كان هذا الأسير سيد بني حنيفة ، ووقع في الأسر ، فربطوه في سارية المسجد ، وكان النبي ع يمر عليه كل يوم يسأله عن حاله ، وثمامة يعرض على رسول الله ع الفداء بالمال ، إلى أن أطلقه رسول الله ع وعفا عنه ، فذهب إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم رجع إلى النبي ع وأعلن إسلامه ، فالمعاملة الحسنة من المسلمين ، وعلى رأسهم النبي ع للأسير هي التي قادته إلى الإسلام ، فعن قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (فُكُّوا الْعَانِيَ ــ يَعْنِي الأَسِيرَــ وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ)([1]).

ولقد تبرأ رسول الله من فعل خالد بن الوليد حين أمر أصحابه في قتل الأسرى ، فلقد بَعَثَ النَّبِيُّ ع خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : صَبَأْنَا صَبَأْنَا ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ع فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ع يَدَهُ فَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ ــ مَرَّتَيْنِ)([2])..

ودعانا رسول الله ع بالاهتمام بإطعام الأسير وعدم تجويعه أو تركه يموت جوعاً : فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ ع أنه قَالَ : (أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ قَالَ سُفْيَانُ وَالْعَانِي الأَسِيرُ)([3])

بل دعانا رسول الله أن نشفق على كل أسير ، وأن نرحمه ، فعَنِ الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ النَّبِيَّ ع أُتِيَ بِأَسِيرٍ فَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ع :(عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ)([4]).

ودعانا النبي لاحترام ديانة الأسير وعقيدته والحفاظ على أسراره وإنفاذ وصيته ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الأَسِيرِ يُوصِي قَالَ :(أَجِزْ لَهُ وَصِيَّتَهُ مَا دَامَ عَلَى دِينِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْ دِينِهِ)([5])

[1] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٨١٩ .
[2] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٩٩٤ ، ورواه النسائي ٥٣١٠ وأحمد ٦٠٩٣ ..
[3] ــ رواه البخاري ٤٩٥٤ وأبي داود ٢٦٩٩ وأحمد..
[4] ــ رواه أحمد حديث رقم ١٥٠٣٥ .
[5] ــ رواه الدارمي حديث رقم ٢٩٦٢ .

والإسلام يوصي أتباعه أن يعاملوا الأسرى معاملة حسنة في كل شيء ولا يساء إليه حتى تضع الحرب أوزارها ، فيوصينا الرسول ε بعدم قتل الأسير وعدم الإساءة إليه رغم قيام أعداء المسلمين بفعل ذلك في أسرى المسلمين الذين وقعوا تحت أيديهم ، ولكن الإسلام ورسول الله ε لا يقابل السيئة بالسيئة والمعاملة بالمثل ، : فقد حدثنا أبو هُرَيْرَةَ قَالَ : (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ε عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ ولا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا ، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ وَابْنُ دَثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ وَاللَّهِ لا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي فِي هَؤُلاءِ لأُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَى ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى ، فَقَتَلُوهُ فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ : أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ ، قَالَتْ : فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ، مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ : لَوْلا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهُمَا اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا :

مَا أُبَالِي حِـــينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَـأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَـــالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ : فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ε أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ

بَدْرٍ ، فَبُعِثَ اللهُ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا)([1]) .

هذا ولقد أكد الحق سبحانه وتعالي في الحض على الإحسان للأسير وإطعامه ومعاملته معاملة حسنة فقال الله سبحانه : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) ([2]) . وقال عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ([3])..

حـ ـ يوصي الإسلام بضرورة إعلان الحرب قبل البدء في القتال والكفَّ عن القتال فوراً إذا كفَّ الأعداء عنه والاستجابة إلى السلم إن لاحت بارقة أمل فيه فوراً ، كما بَيَّنَتْ الآية الكريمة : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)([4]) ، وعدم استمرار الحرب وتوقفها فور تحقيق أهدافها شرط أقره الإسلام ، لأن الحرب ليست غاية ، وأن مساوئها لا تعد ولا حصى ، ولذلك إذا قامت يجب ايقافها فوراً .([5])

لذلك ، حين أغار جيش الدولة الإسلامية بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي على مدينة صفدة من أعمال سمرقند بفارس ، ولم يَقُمْ بدعوتهم للإسلام ، شكوا وضجوا بالشكوى وشكوى لعمر بن الخطاب أن قتيبة غدر بهم وظلمهم وأخذ بلادهم دون أن يبصرهم بشروط الإسلام، فكتب عمر للوالي هناك سليمان بن أبي السرى([6]) :إن أهل سمرقند قد شكوا ظلماً أصابهم وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم ، فأخرج العرب من معسكرهم ، وردهم إلى ما كانوا عليه قبل أن يظهر عليهم قتيبة ، ولقد نفذَّ الوالي أمر الخليفة ، وحكم القاضي لأهل صفد بخروج الجيوش الإسلامية من أرضهم ، لأنهم دخلوها بصورة غير مشروعة لا يقرها الإسلام ، ومن بعد ذلك يجوز لقتيبة أن يقوم بمنابذتهم على سواء ، ويعرض عليهم شروط الإسلام فيكون صلحاً جديداً أو حرب مشروعة ، فقال أهل صفد متفقين على رأي واحد : بل نرضى بما كان ولا نريد حرباً ، نظراً لما وجدوه من قوانين الإسلام العادلة حتى في الحرب ...

[1] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم٢٨١٨ .
[2] ــ الآية ٨ سورة الإنسان .
[3] ــ الآية ٧٠ سورة الأنفال .
[4] ــ الآية ٦١ سورة الأنفال .
[5] ــ محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية ، مرجع سابق ، ص٣٥ .
[6] ــ راجع : جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني : تقديم أحمد فتحي سرور ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

خ ــ مشاركة المرأة في الحرب فيما لا يقدر عليه الرجال (دعم معنوي ومساندة فنية في الإسعاف والخدمة) ، فشاطرت المرأة الرجل الحياة سلماً وحرباً والحقوق والواجبات ، وساندته في الحرب وآزرته في السلم ، وجاهدت وتعلمت وعلمت ، فهناك المجاهدات اللامعات مثل خولة بنت الأزور التي سماها التاريخ فارسة الصحراء ومثل نسيبة بنت كعب التي دافعت عن الرسول ع في غزوة أحد ، حتى أن النبي ع أعلن أنها فعلت مالم يفعله الرجال ، من رواة الحديث الثقات الكثير من النساء مثل الرُبيع بنت معوذ الصحابية الأنصارية التي قامت برواية الكثير من الأحاديث وقالت في دور المرأة المسلمة في الحرب في أيام الرسول ع : (كنا نغزو مع رسول الله ع ونسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) ([1]).

د ــ عدم التعرض لمن لا يحارب حتى لو كان قادراً على الحرب ، وهذه هي قمة أخلاق النبي ع ، فإذا دارات الحرب فيراعى حرمة المدنيين والأطفال والشيوخ ، لهذا فالإسلام أعطى حقوقاً كثيرة لحماية المدنيين أثناء الحرب إذا وقعت ، سواء أكانوا مدنيين من المسلمين أو من الأعداء ، فلم يُجزْ الإسلام إلا احترامهم ومعاملتهم معاملة حسنة وطيبة وحمايتهم من أهوال الحرب ، وذلك ضمن آداب الحرب في الإسلام ، التي هذَّبها الإسلام ، والتي تُظهره أنه دين الرحمة والتسامح والإحسان ، لأنه دين سماوي الهدف إنساني الغاية ، وتتجلى في هذا الدين الدوافع الإنسانية الرحيمة ، التي تحكم المسلم في قتاله إذا استنفر له ، واضطر إليه ، ذلك أن الإسلام قَصَرَ القتال على الجيش المحارب دون النساء والأطفال والشيوخ والرهبان ، فقد ورد ذلك في أحاديث نبوية شريفة كثيرة ذكرناها آنفاً ..

ورعاية أهل الذمة شيء ضروري أثناء الحرب ، فلقد أعطاهم الإسلام رعاية كاملة ، فلابد من توفير طعامهم وكسوتهم وحمايتهم وحماية بيوت عبادتهم وحماية أنفسهم والدفاع عنهم حتى إذا هم رفضوا أن يحاربوا في صفوف المسلمين ، مع إلزامهم بدفع الجزية التي تقرر على غير المسلمين في البلاد التي يفتحها المسلمون .([2])

ويجب على المسلمين احترام المعاهدات التي وافقوا عليها قبل الحرب أو أثناءها وتوضع للتطبيق فوراً ، ولا يجوز نقضها حماية للمدنيين ، وكذلك معاهدات التحالف بين المسلمين وغيرهم ، فإن هذا الاتفاق وإبرام المعاهدات من حقوق الشعوب ، مصداقاً لقول الله الحق سبحانه : (وَأَوْفُواْ

[1] ــ أخرجه البخاري والنسائي .

[2] ــ راجع : محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية ، مرجع سابق ، ص٣٣ ــ ٣٥.

بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (١) ...

وقوله عز وجل : (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) (٢) .

وكل هذه الحقوق للمدنين من المحاربين بشرط عدم مشاركتهم في الحرب ، ويجب عليهم أن يلتزموا بما يقرره الحاكم عليهم ، والخضوع لتعليماته في حالة الحرب ، وعدم تعويق المحاربين ، ونشر الإحباط في صفوفهم ، أو العمل على إضعاف الروح المعنوية لجيش الإسلام ، والامتناع التام عن التعامل مع العدو ، أو الاتصال به أو مراسلته ...

وكل تلك القواعد تُعطي حقوقاً أكثر بكثير من الحقوق التي أعطتها القوانين والمعاهدات والإعلانات الدولية الحديثة في العالم المعاصر ، والتي حددت بعض الفئات التي تُحمَى بموجب القانون الدولي الإنساني بموقف اتفاقية جنيف الخاصة بالفئات المحمية أثناء القتال (٣).

ذ ــ جمع رسول الله ع بين كل مباديء وأخلاقيات الحروب فيمن سبقه وفيمن عقبه حتى يومنا هذا ، فجمع رسول الله فن إدارة الحرب : التي أقرتها الأكاديميات العسكرية الحديثة وتحاول تطبيقها ، ولكن رسول الله ع سبقهم إليها بأكثر من ١٤ قرناً من الزمان ، وجاء تطبيق رسول الله لها ع بأخلاقياته الإنسانية العالية ، مصداقاً لقول رب العزة : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤) ، فجمع مباديء الحرب كلها من(٥) : الحشد وهو يعني جمع أكبر قوة ممكنة في مواجهة العدو ، وإدخار القوى لاستخدامها طبقاً لظروف سير المعارك ، والمباغتة أو المفاجأة بشرط الإنذار والتعريف ، فالمباغتة في المفهوم الإسلامي لا تعني سوى امتلاك أسباب بدء المعركة ، والهجوم كخير وسيلة للدفاع ولكسب السيطرة النفسية والمادية على أرض المعركة ، وخفة الحركة أي القدرة على المناورة والحركة والانتقال من موقف لآخر ، والسلامة للقوات وحماية خطوط إمداداتها ومواصلاتها واتخاذ الحيطة ضد مباغتتها ، والتعاون وتوحيد الهدف والتضامن من أجل الوصول للهدف ، والمطاردة أي تتبع المهزوم للقضاء على خطره حتى لا يعود من جديد ليحارب ، ولم يكن

---

1 ــ الآية ٩١ سورة النحل .

2 ــ الآية ٣٤ سورة الإسراء .

3 ــ ونلاحظ أيضاً أن تلك القوانين والاتفاقيات والمعاهدات الدولية لا تحترم أثناء القتال من المقاتلين غير المسلمين ، تحت دعاوى عديدة منها ضرورات الحرب ، راجع : شريف عتلم ، محاضرات في القانون للدولى الإنساني ، القاهرة ، المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٣ ، ط ٣ ، ص٨٣ وما بعدها ..

4 ــ سورة القلم:الآية رقم ٤ .

5 ــ للحصول على تفاصيل تلك الإدارة للحرب راجع : محمد فرج : فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٥٥ــ١٨٣ .

رسول الله يفعل هذه الأخيرة ، ولذلك كر العدو في أُحد واستطاع قلب ميزان المعركة ، ولكن رسول الله ε كان يقصد عدم قتل المنهزمين أملاً في إسلامهم كما فعل مع ملك الطائف في حنين ، وكما فعل مع زعماء قريش وغيرهم .فكانت حروب الرسول أخلاقية إنسانية بحته ، لأن المقصد ليس الدماء ولكن الدفاع والعقيدة ....،

وهناك من يعلن أن النبي ε كان يعمل بمباديء الحرب كلها ، وهي مباديء أخلاقية سامية ، فكانت قوانين الحرب قوانين خاصة للسمو والترقي ، فكان قانون الحرب الإسلامي لرسول الله ε يعطي واجبات أثناء المعركة ، فكانت تصور طبيعة المعركة أو الحرب على أنه نوع من الجهاد ضد المعتدين أو الظالمين ، بما يضفي عليه مفهوم عصا الأستاذ الذي يؤدب التلميذ المتمرد ليوقظ أعصابه حتى يستوعب الدرس الذي ينقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ومن الحضيض الذي يتردى فيه بعصيانه إلى السمو الذي يكتسبه بالعلم والإيمان...

ومن هذه الواجبات التي كان النبي الكريم يفعلها دائماً ([1]) : تعبئة الجيش وترتيبه ، الزحف المنظم ، الصبر والثبات ، الدعاء ، كلمة السر ، عدم التشاجر ، الاستجابة لمن طلب الأمان ، رعاية أسر المجاهدين ..

ر ــ ومن أهم الأخلاقيات العامة الحميدة لرسول الله ε تكريم المقاتلين المسلمين وإعلاء شأنهم ورعاية أسرهم ورعاية المصابين وأسر الشهداء ، لأن هؤلاء هم العمود الفقري لبناء الدولة ، وأساس راسخ منةأسس التضحية والفداء ، وتتجلى هنا سمو أخلاق النبي الكريم ε ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : (عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ε فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ : مَنْ عَادَ مَرِيضًا ، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ)([2])، وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُ مَعَنَا)([3]) ، وعن بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ قال : حَدَّثَنِي ابْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε قَــالَ : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)([4])، وعن رِشْدِينُ عَنْ زَبَّانَ عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ε : أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْطَلَقَ زَوْجِي غَازِيًا وَكُنْتُ أَقْتَدِي بِصَلَاتِهِ إِذَا صَلَّى وَبِفِعْلِهِ كُلِّهِ فَأَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُبَلِّغُنِي عَمَلَهُ حَتَّى يَرْجِعَ ؟ ، فَقَالَ لَهَا : أَتَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقُومِي وَلَا تَقْعُدِي وَتَصُومِي وَلَا تُفْطِرِي وَتَذْكُرِي اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا تَفْتُرِي حَتَّى يَرْجِعَ ، قَالَتْ: مَا أُطِيقُ هَذَا

[1] ــ رؤوف شلبي ، الجهاد في سبيل الله : منهج وتطبيق ، القاهرة ، الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة الحادية عشرة ، الكتاب السادس ، الجزء الأول ، ص ١٤٣ .

[2] ــ رواه أحمد حديث رقم ٢١٠٧٩ ، ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه .

[3] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٢١٠٢٨ .

[4] ــ رواه أحمد٢٠٦٩٢ وأبو داود وابن ماجه ورواه البخاري ومسلم والدارمي .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ طُوِّقْتِيهِ مَا بَلَغْتَ الْعُشْرَ مِنْ عَمَلِهِ حَتَّى يَرْجِعَ)([1]) ، وعن يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنهم عَنِ النَّبِيِّ ع أنه قَالَ : (مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ([2]) ، وعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع قَالَ : (ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)([3]) ، فياعظمة أخلاق الرسول في تكريم المقاتلين .

وكان الرسول ع يدعو للمقاتلين المسلمين حتى يعينهم الله على جهادهم في حربهم مع الأعداء ، والدعاء للمجاهدين وللمحاربين سنة عن النبي ع ، وهو خلق كريم منه ، فعن ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ع إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ : (انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ – يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ)([4])، وكان يدعو لهم بصيغ كثيرة لأن دعاء النبي ع مستجاب ، فعن عَبْدِ اللَّهِ الْخَطْمِيِّ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ع إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ قَالَ: (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ)([5])، وعن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ع وَيَقُولُ : (اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ)([6])...فيعلمنا رسول الله ع في هذا الحديث أدباً مهذباً أن يطلب من الله عز وجل أن يحفظ على المجاهدين فيه دينهم وما يتركه المجاهد من الآل والمال والأعمال الصالحة .

والتضامن الإسلامي في المجتمع الإسلامي يزداد تماسكاً وتعاوناً أيام الحرب ، والنفقة والرعاية لأهل المقاتلين وأسرهم مقررة بالحديث الشريف الذي سقناه من قبل ، فمن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا ([7]) .. وهذا سمو أخلاقي من رسول الله ع قبل وأثناء وبعد الحرب...

[1] – رواه أحمد حديث رقم ١٥٠٨٠ .
[2] – رواه ابن ماجه ٢٧٥٢ وأبو داود والترمذي والدارمي .
[3] – رواه أبوداود في سننه حديث رقم ٢١٣٣ .
[4] – رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٢٢٦٩ .
[5] – رواه أبو داود حديث رقم ٢٢٣٤ .
[6] – رواه الترمذي حديث رقم ٣٣٦٤ .
[7] – رؤوف شلبي ، الجهاد في الإسلام ، المرجع السابق ، ص١٦٣–١٦٤ .

ز ــ هناك أخلاق عامة دعانا رسول الله ε إلى ممارستها في الحرب ، ومنها : الخدعة في الحرب ، والاقتصاد في الذخيرة ، والكذب إذا كان ضروريا لخدمة المعركة العسكرية لأن كل كذب فيه فائدة أو دفع مضرة عن الجيش الإسلامي أثناء المعركة فهو مُباح عسكرياً من وجهة نظر ٱسلام ، فعن أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ : (أَيُّهَا النَّاسُ : مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ ، كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إلا ثَلاثَ خِصَالٍ : رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا)(١) ، وقتل المحاربات من النساء جائز طالما تشترك في القتال ضد المسلمين ، والإفطار حتى في رمضان ، وصلاة الخوف ، أما الأخلاق التي لا يجوز الإتيان بها في الحرب فهي : المُثلة ، وقتل الرهبان والصناع والشيوخ والأطفال والضعفاء والنساء في البيوت ، والغلول فالغلو محرم على العسكري المسلم ، ورفع الصوت لأنه علامة على تحركهم ودليل على زحفهم وهو ضد الكتمان ، ففي الحديث الشريف : (إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة)(٢) ، والغدر فهو قبيح في الإسلام ، وهو بغيض أثناء القتال ، والفرار من الزحف فهو من السبع الموبقات (٣).

س ــ ومن المباديء الأخلاقية العامة التي كان رسول الله ε يأخذ بها في زمن الحرب وأثناء الحرب ، نستطيع أن نوجز بعضاً من هذه الأخلاقيات العامة فيما يلي:(٤)

• الاستعداد الدائم للدفاع عن الوطن ، مصداقاً لقول الحق سبحانه : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (٥)

• الإخلاص للوطن : مصداقاً لقول الحق : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (٦) ، وقول الحق سبحانه : (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

---

[1] ــ رواه أحمد ٢٦٢٨٩ .

[2] ــ رواه الطبراني في الكبير .

[3] ــ راجع : المرجع السابق ، ص ١٦٥ــ١٨١.

[4] ــ راجع : محمد عبد القادر حاتم ، الأخلاق في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأعمال الفكرية ، ٢٠٠٣م ، ص ١٢٠ــ١٣٦ .

[5] ــ سورة الأنفال:الآية ٦٠ .

[6] ــ سورة الممتحنة:الآية الأولى .

عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ([1])

• رد الظلم ونصرة الحق : مصداقاً لقول الله سبحانه : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) ([2])

• التحقق من صحة المعلومات الحربية عن العدو حتى لا نظلم ، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) ([3])

• معاملة الأعداء في حالة السلم معاملة حسنة : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ([4])

• معاملة غير المسلمين في الداخل والخارج أثناء الحرب وأثناء السلم وفي كل الأوقات طالما لم يقاتلون المسلمين : مصداقا لقول الله سبحانه : (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ([5]) ، وقول الحق عز وجل : (إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً) ([6])

• الدفاع الشرعي حق عن النفس والمال والأهل والوطن والعقيدة والدين ، مصداقاً لقول الحق سبحانه : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً) ([7])

[1] ـ سورة المجادلة:الآية ٢٢ .
[2] ـ سورة الحج:الآيتان ٣٩ــ٤٠ .
[3] ـ سورة النساء:الآية ٩٤ .
[4] ـ سورة العنكبوت:الآية ٤٦ .
[5] ـ سورة الممتحنة:الآية ٨ .
[6] ـ سورة النساء:الآية رقم ٩٠ .
[7] ـ سورة النساء:الآية ٩١ .

• نصرة المظلومين واجب على كل مسلم ، ومحاربة الظلم والبغي والعدوان من أخلاق المسلمين ومن أخلاق المسلمين ، مصداقاً لقول الحق : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) (١)

• الثبات في الميدان من أهم أخلاق المسلم في الحرب فلا فر ولا هزيمة ولا انكسار ، مصداقاً لقول رب العزة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) (٢)

• الوحدة والثبات والطاعة في أثناء الحرب من أهم أخلاق المسلم عند الحرب ، كقول رب العزة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٣)

• الصبر في الميدان والمثابرة وعدم اليأس ، مصداقاً لقول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٤) ، وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ)(٥)

• الدعوة القَبْلِيَّة قبل القتال ، ثم لا نكون البادئين بالقتال من أهم أخلاقيات المسلم في حربه مع الأعداء : فرسول الله ε يوصي معاذ بن جبل وهو خارج إلى اليمن ليدعو بها للإسلام يقول له (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فإن أَبَوْ فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإن بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، ثم أروهم ذلك ، وقولوا لهم : هل إلى خير من سبيل ، فلئن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت)(٦)

• ومن الأخلاق العامة للمسلم في القتال حُسن استقبال الموت ، فلا جزع ولا يأس ولا قنوط ، مصداقاً لقول ربنا جل في علاه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٧)

---

[1] ــ سورة النساء:الآية ٧٥ .

[2] ــ سورة الأنفال:الآية رقم ١٥ .

[3] ــ سورة الأنفال:الآيتان ٤٥ـ٤٦ .

[4] ــ سورة آل عمران:الآية رقم ٢٠٠ .

[5] ــ رواه أحمد في مسنده رقم ٢٢٤٨٣، ورواه مسلم ٣٤٩٥ ورواه النسائي ٣٠٦٨ .

[6] ــ من وصية الرسول لمعاذ بم جبل ، رواه الطبراني .

[7] ــ سورة آل عمران:الآية ١٥٦ .

• مقابلة مكر الأعداء بمكر أشد منه ، ولكنه مكر الحق والقوة والسبيل إلى الله عز وجل ، فالأعداء يمكرون ولكن بصيرة المسلم أشد مكراً ، وهذا من خلق المسلم أثناء الحرب مصداقا لقول ربنا سبحانه : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ([1])

• من خلق المؤمن والمسلم أثناء الحرب وأثناء السلم هو الإصرار على الحق والتمسك به ، مصداقاً لقول الحق:(فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)([2])

• الاستجابة لدعوة السلم الحقيقية من أخلاق المسلمين في الحرب ، وفي ذلك يدعونا ربنا سبحانه : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ([3])

• الشدة مع الخونة من خلق المسلم أثناء الحرب ، فلقد قال المولى عز وجل : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ([4])

• احترام العهود والمعاهدات والصلح والوفاء بالالتزامات تجاهها من أهم أخلاق المسلمين في السلم والحرب ، مصداقا لقول الله ربنا : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) ([5]) وقوله سبحانه : (وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ([6])، وقوله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([7]) ، فمهادنة غير المسلمين واجبة إذا كانت تقي المسلمين شرور الحرب ويجب الوفاء بعهود المهادنة حتى نهايتها لأن ذلك من خلق المسلمين الرفيع ([8]) ، وهذا الوفاء لابد أن يتم مالم يخالف المهادنين شروط الهدنة ، مهما كان في هذا الصلح أو المهادنة من شروط مجحفة للمسلمين ، لأن الوفاء بالعهود من أخلاق المسلمين .

---

[1] ــ سورة البقرة:الآية ٢١٧ .

[2] ــ سورة محمد:الآية ٣٥ .

[3] ــ سورة الأنفال:الآيتان ٦١ــ٦٢ .

[4] ــ سورة الأنفال:الآية ٥٨ .

[5] ــ سورة النحل:الآية ٩١ .

[6] ــ سورة النحل:الآية رقم٩٥ .

[7] ــ سورة آل عمران:الآية رقم ٧٧ .

[8]ــ راجع : جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ٢٣٧ ، ١٩٨٠ ، ص ٥٤ــ٥٥.

• ومن أخلاق المسلمين عدم إعلان الحرب الشاملة على الأعداء كافة في وقت واحد ، فلا نقاتل إلا من قاتلنا ولا نحارب إلا من حاربنا ، فنهانا الإسلام الحنيف عن الحرب الشاملة : مصداقاً لقول الله سبحانه : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([1]) وقول الحق سبحانه : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)([2])..

ش ــ ومن الأخلاق العامة للحرب في الإسلام والتي دعانا وأكد عليها رسول الله ε الدعاء والتضرع إلى الله قبل وأثناء وبعد الحرب ، فالدعاء هو مخ الغبادة كما يقولون ، الجهاد عبادة ، فلابد من الدعاء عندها ، فكان رسول الله ε يحكم أمر الجهاد من الناحية المادية إحكاماً شديداً دقيقاً ، ثم يأخذ هو والمحاربون في الدعاء والتضرع إلى الله واستنجاز الله وعده ، فهذا الدعاء من خلق النبي ε في كل الحروب التي خاضها ([3]) ، ولم لا ؟!.. فالنبي المصطفى ε هو الذي أخبرنا أن الدعوة لا ترد أثناء البأس أي الحرب ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (اثْنَتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقَالَ : وَوَقْتُ الْمَطَرِ)([4]) ، وأُثبت هنا بعض ماكان النبي ε يدعو به ويعلمه للصحابة فيدعون به قبل القتال وفي أثنائه وبعد النصر : فعن خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ε وَهُوَ فِي قُبَّةٍ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ) فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)([5]) . وفي رواية أخرى عن دعاء يوم بدر : عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : نَظَرَ نَبِيُّ اللَّهِ ε إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ε الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ مِنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ إِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) ، فَأَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ)([6]) ، وعن سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي

[1] ــ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[2] ــ سورة التوبة: من الآية٣٦ .
[3] ــ راجع : عبد الحليم محمود : الجهاد والنصر ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ وما بعدها .
[4] ــ رواه أبو داود حديث رقم ٢١٧٨ ، ورواه الدارمي حديث رقم ٢١٧٨ .
[5] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٦٩٩ ورواه أحمد ٢٨٨٥ . .
[6] ــ رواه الترمذي حديث رقم ٣٠٠٦ .

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ع الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ع ، فَقَالَ : صَدَقْتَ ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأُسَارَى؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ ، قُلْتُ : لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِلَى مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، جِئْتُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ع وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : لَمْ أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ــ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ع ــ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا) فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ) [1]

وعَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِاللَّهِ ــ وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ ــ قَالَ : كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِي اللَّهم عَنْهمَا فَقَرَأْتُهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ

[1] ــ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٠٩ . .

السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)(¹)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِذَا غَزَا قَالَ : (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ)(²)، فبالدعاء تُجاب المطالب والرغبات ، وينصر الله عباده نصراً عزيزاً مؤزراً ، لأننا ندعوا من بيده الأمر كله : جل جلاله وعظم شأنه ، لأننا ندعو خالقنا وبارئنا ومُسَيِّرنا وناصرنا الله عز وجل ، لأننا ندعو الناصر القادر الوهاب الذي يهب لنا التوفيق والنصر في جهادنا ضد الظلم ، فالدعاء والتضرع إلى الله من أخلاق النبي ع العامة عند الحرب وعند مواقف النزال مع الأعداء ...

ص ــ بالرغم من أن المسلمين قد حاربوا مع نبي الله ع العرب المشركين وانتصروا عليهم ، فلم يلتحق النبي ع بالرفيق الأعلى إلا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الإسلام بالأخلاق وبالآداب وبالدعوة ، فلقد كان جنود النبي ع من العرب المسلمين : قليلي العدد ، وفقراء إلى السلاح والقضايا الإدارية ، مقابل أعداء المسلمين من العرب المشركين الذين كانوا : كثيري العدد ، وأغنياء بالسلاح والقضايا الإدارية ، فلقد كان التفوق العَددي والعُددي مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين غلبت الفئة الكثيرة من العرب المشركين بإذن الله وبالعقيدة وبالأخلاق الحميدة العظيمة التي كان عليها المسلمون بقيادة رسول الله ع ، فمن أهم صفات الجندي المسلم الذي تخلق بأخلاق النبي ع ، في أثناء الحروب التي خاضها النبي ع وهي : الحق ، والطاعة ، والصبر والحذر واليقظة ، والمجاهدة في سبيل الله بالنفس والمال (³).

ض ــ وأخيراً ، وليس آخراً ... فإن من أهم أخلاق الحرب في الإسلام ، والأخلاق العامة للنبي المصطفى ع هي العدل للمغلوب ، فالمنهزم في الحرب لا يتم التنكيل به وتدميره وإفنائه من الوجود ، نعم العدل للمغلوب من أسمى القيم التي علمنا إياها رسول الله ع ، فهي خلق سامي كبير في الحروب ، فإذا فتح الله على المسلمين بالنصر فلا تستباح حياة الأعداء لمجرد العداوة أو البغضاء ، ولا يجيز الإسلام فرض الغرامات الباهظة على أهل البلاد المفتوحة ، ولا يجيز الإسلام أيضاً الشطط ولا الظلم في التعامل مع أهلها ، ولا هتك أعراضهم ولا القيام بالحط من كرامتهم الإنسانية ولا تطبيق للعقوبات الجماعية عليهم لذنب يرتكبه أحدهم ، ولا يجوز إجلاؤهم رغماً عنهم إلى بلاد بعيدة ، ولا تسخيرهم للعمل بلا أجر لدى المسلمين ، وقبل ذلك كله لا يجوز

---

[1] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٧٤٤ ورواه مسلم ٣٢٧٦ورواه للدارمي ٢٣٣٣ .

[2] ــ رواه "أبو داود٢٢٦٢ ، ورواه أحمد ١٨١٧٠ .

[3] ــ راجع: محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، مرجع سابق ، ص ٨٥ وما بعدها ، وأيضاً ص٩٤ــ١٠٠ .

إكراههم على عقيدة الإسلام وترك عقائدهم ، والقاعدة أن الحرب في الإسلام إذا وضعت أوزارها عن المقاتلين وانتهت بغلبة المسلمين طبقت أحكام الشرع ، بالعدل ، التي تضمن الأمن والأمان لمن يقيمون بالبلد ، فإذا كانوا من أهل الذمة فإن لهم ما للمسـلمين وعليهم ما عليهم كقاعـدة عامة لا يظلم منهم أحد في نفس أو عرض أو مـال ، وإذا كانوا من غيرهم ودخلوا بلادنا بأمان مكثوا فيه لمصالحهم المشروعة مضمونة أنفسهم وأموالهم على المسلمين ، حتى يعودوا إلى بلادهم سالمين (1) ، فخلق العدل للمغلوب خلق نبوي شريف لرسول الله ε طبقه في غزواته : في بدر وأحد والخندق وفتح مكة وخيبر وكل الحروب التي كان قدوتنا فيها رسول الله ε .

هذه هي الأخلاق العامة للمسلمين أثناء الحرب وما قبلها وما بعدها ، وهي أخلاق علمها رب العزة لرسوله المصطفى ε وعلمها لنا قدوتنا وحبيبنا وسيدنا رسول الله ε من خلال قدوته في الحرب وقيادته للمعارك الإسلامية التي كانت كلها ، مفروضة عليه ولم يسع إليها رسول الله ، فكانت كلها دفاعية ووقائية ، كما سنرى في فصلنا القادم إن شاء الله رب العالمين .

[1] ــ راجع جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية الحرب والسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ــ١٢٥ .

الفصل الثالث

أسمى أخلاقيات الحرب

من خلال التطبيق الفعلي لرسول الله ε

سار النبي الكريم ε في جميع غزواته على المبادىء الأخلاقية ، ولم لا ، فلقد زكاه الله عز وجل من السماء في كتاب يُتلي إلى يوم الدين ، فقال سبحانه : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)([1]) ، وأكد النبي ε ذلك عن نفسه ، أنه لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ)([2])، و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِك أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε : (قَالَ بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاقِ)([3])..

وكانت أخلاقه العالية ε تسمو في زمن الحرب ، كما هي سامية في زمن السلم ، ولذلك سنتحدث هنا عن بعض جوانب تلك الأخلاق الحميدة في زمن الحرب لرسول الله ε ، لأن أخلاقيات النبي ε وسلوكه التطبيقي أثناء الحروب أخلاقيات من نوع فريد ، وهي تطبيق حي للخلق الرفيع والقدوة الطيبة للناس أجمعين ، فلا غلو ولا تفريط في الوقت نفسه ([4])...

ولقد قلنا من قبل إن السلم هو الأساس في المفهوم الإسلامي ، فالسلم هو القاعدة ، والحرب هي حالة استثنائية في جوهر ولُب النظرية الإسلامية ، ولكن إذا قامت الحرب وجب على المسلمين جميعاً التهيؤ لها والاستعداد الجدي لها والاشتراك فيها بالجهاد بالأموال والأنفس ، فلقد قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ([5]) ، ولقد كان النبي ε قرآناً يمشي على الأرض ، وكان ذلك في حالة السلم ، ولكنه كان في حالة الحرب أشد من ذلك ، فلقد كان الرسول ε في الحرب

[1] ــ سورة القلم:الآية رقم ٤ .

[2] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٨٥٩٥ .

[3] ــ رواه مالك .

[4] ــ راجع : محمد محمد الفحام وآخرون ، محمد : نظرة عصرية جديدة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢ ، ص٣٨ وما بعدها ..وراجع ص ١٥٦ــ١٥٩ من نفس المرجع.

[5] ــ سورة التوبة:الآية ١١١ .

أشد حرصاً على تطبيق شرع الله ، وكان أكثر الناس صبراً وخُلقاً ، فلقد كان ذو همة عالية في أثناء المعارك ، وكان يحرص على التمسك بالخلق القويم رغم ويلات الحرب وشدائدها ...

وسنرى هنا بعض المواقف للأخلاقيات السامية لرسول الله ﷺ أثناء الحروب التي خاضها ، وأنا لا أؤرخ للحروب الإسلامية في عهد النبي ﷺ ، ولكني أوجز بكلمة سريعة عن كل حرب سأتحدث عنها ، ثم أباشر بالحديث عن أخلاقيات النبيﷺ وآدابه في تلك الحرب للاقتداء والاتعاظ ...

فإذا كانت الدراسة في الفصل السابق تتحدث عن العموميات في كل الحروب (دراسة رأسية) ، ففي هذا الفصل سنتحدث عن كل حرب وما حدث فيها من أخلاقيات وسمو وآداب ودروس مستفادة علمنا منها النبي ﷺ دروب ومناهج الأخلاقيات وآداب (كدراسة أفقية لأغلب الأحداث الحربية) ، ومنها :

١ ـ في غزوة بدر الكبرى :

كان الرسول ﷺ أشد الناس خوفاً على الإسلام من حرب جحافل الشرك والكفر من قريش ، لكنه خوف المؤمن الذي يلجأ إلى الله ويبتهل إليه : أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يعلي راية الحق والدين ، وليس خوف الجبن من المواجهة العسكرية ، فحرص رسول الله ﷺ في هذه المعركة الأولى أن يُرسي الأساس المبارك والقاعدة الصلبة لبناء مجتمع إسلامي جديد ، فَعَلَّمَ خلال الغزوة أصحابه ، وقام بتزكية نفوسهم ، وحثهم على مكارم الأخلاق ، وأدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة ([1])، وكان من أهم الجوانب الخلقية لرسول الله ﷺ أثناء غزوة بدر مايلي :

• أن رسول الله ﷺ أخذ بالأسباب كلها ، فاجتمع الأنصار بجانب المهاجرين ، ولم يأخذ الأعداء على غِرْةَ ، ثم أخذ الرسول يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريق العيون التي بثها ، حتى علم المسلمون أنهم ما بين التسع مئة والألف ، وأن فيهم عامة زعماء قريش ، فأعطانا النبي ﷺ القدوة بضرورة جمع المعلومات الصحيحة عن الأعداء .

• راح الرسول ﷺ يجأر إلى الله تعالى بالدعاء مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ويقول([2]) : " اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة " وظل يناشد الله متضرعاً وخاشعاً وهو يبسط كفيه إلى السماء ، حتى أشفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، فالتزمه من ورائه ، وقال له : يا رسول الله : أبشر ، فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك ، وأقبل المسلمون أيضاً يستنصرون الله ويستغيثونه ويخلصون له في الضراعة ، وهذا ما يؤكد أن الحرب مكروهة وأن

---

[1] ـ محمد حسني فايد ، قطوف من رياض السيرة المحمدية ، مرجع سابق ، ص ٧٣ وما بعدها .

[2] ـ محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص١٥٨ـ١٥٩ .

اللجوء إلى الله من شيم المسلم أثناء الحرب ، لأن النصر من عند الله تعالى ، ولذلك ، فإن اللجوء على الله بخضوع وخشوع تكون نتيجته النصر ، والتأييد من الله ونصره للمؤمنين المتمسكين بمباديء إيمانهم المخلصين في القيام بمسئوليات دينهم.

• أن الوفاء بالعهود من أهم ما حرص الرسول ع عليه قبل الاشتراك في غزوة بدر ، فإذا كان عهد الرسول وبيعته ع مع أهل يثرب على أن يمنعوا العدو من الوصول إليه في المدينة ، وأن يحموه وأن يُأمِنُوه ، فلم يكن قد أخذ عهدهم على محاربة الأعداء خارج حدود المدينة ، ولذلك كانت مشاورة الأنصار في شأن الحرب وفاءً بمعاهدته إياهم ، وكما حدثنا ابن هشام ([1])(عندما أتي النبي ع خبر مسير قريش إلى المسلمين ، فاستشار من معه من أصحابه ، فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً ، وكان منهم المقداد بن عمرو ، فقد قال : " يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك " ، ولكن النبي ع ظل ينظر إلى القوم ويقول لهم : " أشيروا عليّ أيها الناس ؟ ، فقال له سعد بن معاذ : " والله كأنك تريدنا يا رسول الله " ، قال : أجل ، فقال سعد : " لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك " فَسُرَّ رسول الله ع بكلام سعد ، وقال : " سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ..) ومن خُلق النبي الرفيع ع أنه لم يقل إنه بُشِّرَ بالنصر ، حتى لايتهاون القوم فيتواكلون ، ولكنه قال لهم إحدى الطائفتين : أي النصر أو الشهادة ، وهذا من خلق الإسلام ومن خلق النبي ع ...

• الأخذ بأسباب النصر ، والوقوف بمواقف القوة ، فالحرب خدعة ، ولكن الخدعة في أن نحتاط وننزل المنزل الذي يؤهلنا للنصر ، مثل نزول النبي ع عند أدنى ماء من مياه بدر فتقدم منه الحباب بن المنذر وسأله عن هذا المنزل والمكان : أهو من عند الله أم هي الحرب والرأي والخديعة؟ ، ولما عرف أنها الحرب قال رأيه ، وسَبَّبَ هذا الرأي ، فنزل الرسول ع عليه ، فلقد قال الحباب بن المنذر : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيده؟ ، قال : بل هو الحرب والرأي والمكيدة ، فقال : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب وهم لا يشربون ، فنهض رسول الله ع ، وتحول إلى المكان والرأي اللذين أشار بهما الحباب رضي الله عنه .([2])

---

[1] ــ رواه ابن هشام في سيرته .

[2] ــ روى ابن هشام في سيرته حديث الخباب بن المنذر هذا عن اسحاق عن رجال من بني سلمة ، ورواه الحافظ بن حجر في الإصابةعن ابن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير (راجع الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر ، ج١/ص٣٠٢)

• ولم يأمر النبي ε بالتمثيل بجثث القتلى بعد النصر ، وإنما وقف ε على فم القليب ينادي قتلى المشركين ، ويكلمهم بعدما ماتوا ، بعدما ألقيت جثثهم في هذا القليب ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلقد رويَّ عن أَنَسُ بْنُ مَالِك عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ε أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِه فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَالُوا : مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلا لِبَعْضِ حَاجَتِه ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : يَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ وَيَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ : أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا) (١) . وهذا خلق رفيع لسيدنا رسول الله ε : يعلمنا من خلاله الحياة البرزخية للأموات، ولذلك لابد أن نحترم جثث الموتي ، وندفنهم.

• لم يتتبع نبي الله ورسوله المشركين حينما انهزموا وفروا من ميدان القتال ، ليجهز عليهم ، مع أن ذلك من حقه كمنتصر ، فلقد كان في استطاعته أن يأمر أصحابة بمتابعة الفارين منهم وقتلهم ، ولكن لم يفعل النبي ε ذلك ، لأن المعركة انتهت بنصر كبير وعزير ، من الله سبحانه ، على أهل الشرك والضلال ، وهذا سمو أخلاقي وعفاف دنيوي ، أراد الرسول ε به أن يعظنا ويعلمنا ، أن هؤلاء الفارين يمكن أن يكونوا دعاة سلام بعد ذلك ، لأنهم نجوا من الموت ، ورأوا على رؤوس الأشهاد قوة العقيدة والدين في نفوس ووجوه المؤمنين .

• وعندما طلب الكافرون مهلة للعام القادم في بدر ، وعدهم الرسول بذلك ، وذهب للقائهم في نفس الموعد ، ولكنهم لم يحضروا ، فكان ذلك أبلغ دليل على ترددهم وانكسارهم وخوفهم ورهبتهم من المسلمين (٢).

• التحريم الكامل لتعذيب الأسرى أو التمثيل بالقتلى أو الإحراق بالنار ، وإتلاف الأموال وتخريب الديار .

• الاهتمام بالإعداد المادي والمعنوي لجنود الإسلام ، فلم يشأ النبي ε أن يدخل المعركة دون تهيئة المقاتلين تهيئة مادية ومعنوية ، فغرس فيهم روح المقاتل الصادق المؤمن ، وحرضهم على القتال ودفعهم لعدم الرهبة من قتال المشركين ، وحَمَسَّهم بكلمة وراية المسلمين : أحد .. أحد ، وكان الإذن بالقتال هو كلمة شدوا التي صدرت عن رسول الله ε تنفيذاً للآية القرآنية وللأمر الإلهي :

[1] ـــ رواه البخاري٣٦٧٩ ورواه أحمد ١٥٧٦٦ .

[2] ـــ محمد عيتاني ، النضال المسلح في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢٠٥ـــ٢٠٦

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) ([1]) ، وتوجيه الجهد إلى سادات قريش وزعمائها بقصد استئصالهم جزاءً وفاقاً لما عذبوهم بمكة .([2])

• ومن أخلاق النبي ε في هذه الغزوة ([3]): وحدة الصف وراء القائد في المعركة (قبل المعركة وأثنائها وبعد الانتهاء منها) ، لأن المسلمين أمة واحدة ينصرها الله بالوحدة والالتفاف حول قائدها، وضرورة مشاورة القائد لأعوانه ، بل والنزول على آرائهم إذا تبين أرجحيتها وقوتها وأهميتها ، وكذلك الإعداد الكامل والاستعداد التام للحرب ،ثم الالتجاء إلى الله ، كما أن دور الإيمان في المعركة دور أساسي وكبير .

٢ ــ في غزوة بني قينقاع :

خان اليهود العهد مع رسول الله ، وخالفوا وثيقة المدينة([4]) ، بأن اعتدوا على امرأة عربية مسلمة كانت تبيع وتشتري في سوقهم ، فكشفوا عورتها بحيلة يهودية خبيثة ، ثم قتلوا المسلم الذي دافع عنها ...

ثم أعلنوا تحديهم لرسول الله ε وللمسلمين بأن هزأوا من نصر المسلمين على قريش في بدر ، فقالوا : يا محمد إنك ترى أنا كقومك ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت فرصة ، وإنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس

فحاصرهم الرسول ε مدة من الزمن حتى نزلوا على حكمه ، فأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها ، فخرجوا إلى أذراعات الشام وهلك أكثرهم فيها ([5]) .

ورغم أن الرسول ε كان يستطيع إبادتهم ، لأنهم نقضوا العهد والميثاق مرتين ، بل وسخروا من نصر المسلمين على المشركين وهم أهل كتاب لابد أن يقفوا مع المسلمين ضد أعدائهم ، ولم يحترموا حُرمات المسلمين ، إلا أن الرسول ε رغم غضبه الشديد ، لم يرد أن يبيدهم عن آخرهم ، ولو أن اليهود احترموا ما بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق ، لما وجدوا من المسلمين من يسيء إليهم بكلمة أو يزعجهم في مسكن أو مقام ، ولكنهم أبوا إلا شراً ، فكان مَرَدَّ الشر على نفوسهم .

[1] ــ سورة الأنفال:الآية رقم٦٥ .
[2] ــ محمد فرج ، فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦٧ــ٦٨ .
[3] ــ راجع ، عبد الحليم محمود ، للجهاد والنصر ، مرجع سابق ، ص٦٩ــ٨٥.
[4] ــ رجع : فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٩١ــ٩٥.
[5] ــ راجه : محمد سعيد رمضان البوطي ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ وما بعدها .

٣ ـ في غزوة أُحد :

وهي الغزوة التي بدأت بنصر من الله مؤزراً ، ولكن بعدما خالف الرماة أمر رسول الله ونزلوا للاستيلاء على الغنائم ، فكَرّ عليهم خالد بن الوليد وتبعه عكرمة بفرقهم ، وانقلب الوضع ، وانتصر المشركون على المسلمين ، وكان من أخلاقيات النبي ε في هذه الحرب الضروس :

• ثبات النبي رغم المحنة ورغم الإصابات التي لحقته ورغم الدم الذي نزف منه ، فلقد كان النبي ε ثابتا لا يتزعزع إيمانه رغم انقلاب المعركة عليه ، ورغم تكاثر المشركين حوله يريدون قتله ε ، ولكن هذا الإيمان كان ثابتاً راسخاً قوياً ، فرغم كل ما لحق بالنبي ε ، أعلن للمشركين : لاإله إلا الله محمداً رسول الله ، مع أن الرسول وقع شقه وشج رأسه وكسرت رباعيته وسال الدم غزيراً في وجهه ، ولكن النبي كان ثابتاً كقائد محنك وقدوة جليلة ([1])، فعَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ε وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ε مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلا رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ : انْشُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ ، فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ε يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاثًا) ([2])..

• الصبر والثبات عند المحن والدعاء على الكافرين والمتقهقرين سمة من سمات حرب أحد ، وأخلاقيات النبي في ذلك عديدة ، فلم ييأس النبي ε ، ولم يستسلم ، بل قاوم إشاعة قتله في الحرب بثبات ويقين ([3])، وكل تلك الأشياء من أخلاقيات الحرب عند الرسول الكريم ε ، فلا يأس ولا قنوط ، ولكن عزيمة شديدة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ : غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ε الْمُشْرِكِينَ : لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالا لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاءِ ــ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ــ وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ ــ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ــ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ فَقَالَ : يَا أَخِي مَا فَعَلْتَ أَنَا مَعَكَ فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ ، فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ فَكُنَّا نَقُولُ

---

[1] ــ اتين دينيه وسليمان إبراهيم ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبــد الحلــيم ، بيــروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٣م ، راجع ص ١٩٧ وما بعدها .

[2] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٥٢٧ ، ورواه مسلم ٣٣٧٦

[3] ــ محمود شيث خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، مرجع سابق ، ص١٧٩ــ١٨١.

فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ)، قَالَ يَزِيدُ يَعْنِي هَذِهِ الآيَةَ ، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَاسْمُ عَمِّهِ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ) ([1])

• حماية النساء وحربهم مع رسول الله ε مع الرجال ، فللنساء حق في ذلك ، ولم ألحق في الاشتراك في الحرب والزود عن الإسلام والمسلمين ونبيهم الكريم ε ، كما سبق أن رأينا ، فعَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ في رواية أخرى للحديث الذي يؤكد أهمية مشاركة المرأة في الحروب : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ε وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ε مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ : انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ ، قَالَ : وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ε يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاثًا)([2])

• وكذلك جواز اشتراك الفتيان إذا كانوا أصحاب مهارة حربية ، مع أن القاعدة الإسلامية توجب عدم قتال الفتيان وعدم اشتراكهم في المعارك والحروب ، ولذلك عندما أعاد الرسول كل الفتيان ، ولكن ألح كل من رافع بن خديج وسمرة بن جندب في الاشتراك مع النبي في القتال ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فردهما النبي لصغر سنهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه ، فجاء سمرة بن جندب يقول : فأنا والله أصرع رافعاً ، فأجازه هو أيضاً .

• رغم تأثر الرسول الكريم باستشهاد عمه أسد الله حمزة بن عبد المطلب تأثراً كبيراً ، حيث مُثِّل به ، فبقر بطنه وجدع أنفه وأذناه ، ولكن لم يمثل الرسول بجثث المشركين ، بل كان ثابت الجأش ، فأخذ يدفن الشهداء بدون غسل ودون صلاة ، فأخذ يجمع بين الرجلين من الشهداء في ثوب واحد ، واعتبر نفسه شهيداً عليهم يوم القيامة ، فمن أخلاقه القيادة الحكيمة والتحكم في الأمور والقدرة على إنهاء الحرب بأقل الخسائر([3]) ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّه رَضِي اللَّه عَنْهمَا : (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ε كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا ، قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسِّلْهُمْ)([4]).

---

[1] ــ رواه للترمذي في سننه حديث رقم ٣١٢٥ .

[2] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٧٥٧. .

[3] ــ راجع : فتحي الأبياري ، المحمديات ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، الجزء الأول ، ١٧٨ــ١٨٢، وفيها يتحدث المؤلف عن بعض أخلاقيات النبي وآدابه في غزوة أحد .

[4] ــ رواه البخاري حديث رقم ١٢٦١ ، ورواه أبو داود ٢٧٣١ .

• عودة الرسول بالمسلمين إلى الميدان بسرعة([1]) ، فبعد أن انصرف رسول الله ε وبات في المدينة ليلة واحدة ، وبات المسلمون يداوون جراحهم ، وصلى رسول الله ε صلاة الصبح يوم الأحد ، أمر بلالاً أن ينادي : أن رسول الله ε يأمركم بطلب العدو ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس ، ودعا رسول اللهε بلوائه وهو معقود لم يُحل ، فدفعه إلى على بن أبي طالب ، وخرج القوم وهم ما بين مجروح وموهون ومشجوج ، حتى عسكروا بحمراء الأسد على بعد عشرة أميال من المدينة ، فأوقد المسلمون هناك نيراناً عظيمة حتى تُرى من مكان بعيد وتوهم كثرة أصحابها ، وكان المشركون يتأهبون للرجوع إلى المدينة للقضاء على المسلمين ، فأبلغهم معبد الخزاعي بما رآه من كثرة نار المسلمين ، فدخل الرعب إلى قلوبهم ، وهموا مسرعين إلى مكة ، ولكن الرسول ε وأصحابه أقاموا ثلاث ليال في حمراء الأسد ثم عادوا للمدينة ، وهذه أخلاقيات النبي ε في الحرب ، فلا خوف من العدو ولا جُبْنَ ولا استسلام ، بل قوة يقين وإيمان بنصر الله لا حدود له .

• رغم مخالفة الرماة لأمر الرسول ونزولهم من على الجبل لأخذ الغنائم ، إلا أن من خلق النبي ε تحمل نتائج المعركة ، لأنه القائد ، فالحقيقة أن أخلاق النبي ε في حرب أحد تنم عن براعة عسكرية ، حيث خطط جيداً واستعد جيداً ودرس أرض المعركة جيداً ، ولكن مخالفة الرماة لأوامره ، رغم تأكيده التوصيات والأوامر بعدم النزول من على الجبل في حالة النصر أو حتى في حالة الهزيمة ، فكانت أوامره وتوصياته واضحة ، وأجرى لهم مناورة حية ، ولكن النتيجة السلبية باستعجال هؤلاء الرماة بالنزول لأخذ الغنائم هي السبب في إبطال البراعة العسكرية والتخطيط الحربي الدقيق للنبي ε ([2])، ومع ذلك ، لم يدع الرسول ε عليهم ولم يعاقبهم ، رغم أنه كان مقبلاً على الموت بسبب فعلتهم ، إلا أنه اصطحبهم في حمراء الأسد معه ، لا لشيء إلا أنه عفى عنهم لأن خطئهم لم يكن مقصوداً ، وفي العسكرية الحديثة ، يعتبر هذا الفعل (مخالفة أمر القائد) خيانة عظمى ويوجب إعدام صاحب هذه الفعلة ، ولكن الرسول ε بأخلاقياته الرفيعة لمس عدم القصد في فعلتهم فعفا عنهم .فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) ، فَلَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ε وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ أُفْرِدَ رَسُولُ اللَّهِ ε فِي تِسْعَةٍ سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ عَاشِرُهُمْ ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا رَدَّهُمْ عَنَّا ، قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيْضًا ، قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ رَجُلا رَدَّهُمْ عَنَّا ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَا حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ε لِصَاحِبَيْهِ : مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : اعْلُ هُبَلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : قُولُوا اللَّهُ

[1] ـــ راجع : محمد عيتاني ، النضال المسلح في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢١٢ـــ٢١٣.

[2] ـــ راجع محمد سعيد رمضان البوطي ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ـــ١٨٨ .

أَعْلَى وَأَجَلُّ ، فَقَالُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا عُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : قُولُوا اللَّهُ مَوْلانَا وَالْكَافِرُونَ لا مَوْلَى لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ يَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةَ وَفُلانٌ بِفُلانٍ وَفُلانٌ بِفُلانٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : لا سَوَاءً أَمَّا قَتْلانَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : قَدْ كَانَتْ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لَعَنْ غَيْرِ مَلإٍ مِنَّا مَا أَمَرْتُ وَلا نَهَيْتُ وَلا أَحْبَبْتُ وَلا كَرِهْتُ وَلا سَاءَنِي وَلا سَرَّنِي ، قَالَ : فَنَظَرُوا فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ وَأَخَذَتْ هِنْدُ كَبِدَهُ فَلاكَتْهَا فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْكُلَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : أَأَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، قَالُوا : لا ، قَالَ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةَ النَّارَ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ε حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَجِيءَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَوُضِعَ إِلَى جَنْبِهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَرُفِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَتُرِكَ حَمْزَةُ ، ثُمَّ جِيءَ بِآخَرَ فَوَضَعَهُ إِلَى جَنْبِ حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ وَتُرِكَ حَمْزَةُ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ صَلاةً) ([1])

• من أخلاق النبي أنه أقر أن للحرب ظروفاً خاصة ، ولها سلوكياتها الخاصة ، فلم ينه أبو دجانة عندما استلم السيف من رسول الله ε بحقه في القيادة ، فأخذه وراح يتبختر بين الصفوف ، فما أنكر رسول الله عليه ذلك ، وإنما قال : هذه مشية يكرهها الله إلا في مثل هذا الموضع ، وهذا يدل على استثناء الحرب في بعض الحالات ومنها أن كل مظاهر الكبْر المحرمة في الأحوال العامة تزول حرمتها في حالات الحرب ، فهذه الحالة في ميدان القتال أمر حسن لأنه يرفع المعنويات وليس بمكروه ، لأن مظهر الكبر هنا إنما هو في حقيقته افتخار بعزة الإسلام على أعدائه ، وهو معنى من معاني الحرب النفسية التي تقوي العزائم وترفع المعنويات .

• والخُلق القويم من أصحاب النبي ε يعطينا الدرس والعبرة ، فرغم الموقف وانتصار المشركين وحملهم على المسلمين ، لم يهرب جنود الإسلام ، ولم يفروا من أرض المعركة ، بل التفوا للدفاع عن رسول الله ε في ملحمة أخلاقية وإيمانية فريدة ، نعم فبدون الإيمان لا تكون الأخلاق ، فلقد قام الصحابة رجالاً ونساءً بالتجمع حول رسول الله ε يحمونه بأجسادهم من نبال المشركين وضرباتهم ، يتساقطون الواحد تلو الآخر تحت وابل السهام ، وهم في نشوة عارمة وحرص حريص على حفظ حياة الرسول ε ، لا يبالون بغير ذلك .

• وأهم أخلاق النبي في هذه الموقعة الحربية الهامة أن النصر يكون مع الصبر وإطاعة أوامر القائد الصالح واستهداف القصد الديني المجرد، ولذلك مدحهم الله ، فرغم انكسارهم وهزيمتهم وإصاباتهم وموتاهم ، لم يلبثوا إلا أن استجابوا لدعوة الرسول ε وخرجوا معه يريدون النصر أو الشهادة ، فنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين : (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

[1] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٤١٨٢ .

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) ([1])

٤ ــ أخلاقيات النبي في يوم الرجيع وبئر معونة

(وقعت في السنة الثالثة والرابعة للهجرة)

• يوم الرجيع هو االيوم الذي بعث فيه الرسول ε نفراً من أصحابه وفيهم مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وبعثهم ليعلموا قبائل عُضَل والقارة شؤون هذا الدين ، فتبعوهم بنو لحيان (من هذيل) وأحاطوا بهم ، وقتلوا أميرهم ثم عاهدوهم وأخذوهم ونقضوا العهد والميثاق وباعوا خبيب وزيد بمكة ، فقتل بنو الحارث خبيباً ، وأخفي الله جسده بعد قتله حتى لا يسلم لقريش وقتل بنو أمية زيداً .

• أما بئر معونة ، فلقد قدم ملاعب الأسنة عامر بن مالك على التبي ε فعرض عليه الإسلام فلم يمانع ولم يعارض وطلب رجالاً من المسلمين ليعلموا أهل نجد الدين ، وأعلن أنه يجيرهم من أهل نجد ، فبعث النبي ε سبعين من أصحابه من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، فأحاط بهم عامر بن الطفيل ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم فقتل المسلمون عن آخرهم ، في واقعة غدر وخسة من المشركين ...

• وتأثر النبي ε لمقتل هؤلاء الدعاة الصالحين من أصحابه ، وبقي شهراً يقنت في صلاة الصبح يدعو على قبائل سليم : رعل وذكوان وبني لحيان وعُصية.

وتدل هذه الحوادث على أن المسلمين كلهم مكلفين بالدعوة إلى الله وإلى الإسلام ، وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه ، وكل هؤلاء الدعاة كانوا في سبيل الله .

٥ ــ أخلاقيات النبي ε في الحرب مع بني النضير وإجلائهم من المدينة :

ذهب الرسول ε مع بعض صحابته في شهر ربيع أول من سنة أربع هجرية إلى بني النضير ، وهم من يهود المدينة ، فكلمهم أن يعينوه في دية أحد من تعاهد معهم ، وفقاً لميثاق المدينة ، فأظهروا له يد العون ووافقوه علناً ، ثم حاولوا قتله بإلقاء صخرة عليه من فوق أحد المنازل التي كان الرسول ε وصحابته من المهاجرين والأنصار يقفون بجوار جداره ، فأعلم الله نبيه ، فنهض مسرعاً ، وقال لأصحابه : همت اليهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقمت ، ثم أرسل إليهم أنهم قد

[1] ــ سورة آل عمران: الآيات ١٧٢ــ١٧٤ .

غدروا وأخلفوا العهد وخالفوا ميثاق المدينة ، وأمهلهم عشرة أيام ، فأخذوا يتهيئون للخروج ، ولكن رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول أرسل إليهم بألا يخرجوا وهو وجنوده سيدافعون عنهم ، فعادوا للتحصن في حصنهم ، فأمر الرسول بإعداد العدة لحربهم والسير إليهم ، وسار إليهم ، وحاصرهم ، وخذلهم رأس المنافقين بن سلول ، ولما شدد عليهم الحصار عرضوا عليه أن يخرجوا من المدينة كما أراد ، فوافق رسول الله أن يخرجوا بدمائهم وما حملته الإبل من أموالهم فقط ، وفي ذلك : فعَنْ سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ عَن ابْنِ عَبَّاس فِي قَوْلِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا) قَالَ : (اللِّينَةُ النَّخْلَةُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ قَالَ اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ ، قَالَ : وَأُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخْلِ ، فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ : قَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا وَتَرَكْنَا بَعْضًا فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع : هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ وَهَلْ عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا) الآيَةَ) [1] ، فخرج بنو النضير من المدينة حاملين ما استطاعوا وقسم الرسول ع الغنائم على المهاجرين وبعض الأنصار ، ولم يقابل الرسول في إجلاء بني النضير الخيانة بالخيانة والدمار ، وكان هذا حقه ، ولكن قابله بالهدوء والإجلاء ، لأنهم خانوا العهد والأمانة ، وشرعوا في قتله ع ، وهذه خيانة عظمى ، ولكن رسول الله ع عالج الأمر بحكمة بالغة ، وأجلاهم لأنهم خانوا الله ورسوله ونقضوا العهد والميثاق ، وحاولوا قتل النبي ع وهو إمامهم ورئيس المدينة كلها ، وهذا ما يوجب قتلهم والتنكيل بهم وتدميرهم ، ولكن كان الرسول رؤوفاً رحيماً ع ، فلم يفعل بهم شيئاً إلا إجلاؤهم من المدينة لأنهم أصبحوا خطراً عليها ، وهذه قمة أخلاق النبي ع .

٦ ــ غزوة ذات الرقاع :

وهي بعد مرور شهر ونصف على إجلاء بني النضير ، وسببها الغدر الذي لحق بالدعاة من المسلمين في نجد ، وقتل أهل نجد الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلى الله تعالى ، فقصد الرسول قبائل محارب وبني ثعلب ، وعسكر في مكان بنجد يسمى نخل من أرض غطفان ، فقذف الله في قلوب محارب وبني ثعلب الرعب ، فتفرقوا بعيداً عن المسلمين ، ولم يقع فيها قتال ، وفي هذه الغزوة نجد أخلاقيات الرسول ع في قمة التقشف والعدل ، فلم يقصد إلا حرب من قتل الدعاة ، ولم يكن يجد المسلمين ما يلبسونه في أرجلهم غير بعض الخرق البالية ، فعَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِاللَّه بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ : (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ع فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي ، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ

[1] ــ رواه الترمذي في سننه حديث رقم ٣٢٢٥ .

فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ قَالَ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ) (١) ...

واستن النبي ع في هذه الغزوة صلاة الخوف ، فكان من أخلاقياته هذه الصلاة التي تعني الاستعداد الدائم للعدو حتى في الصلاة ، فعَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ عَمَّنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ع يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ : (أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ) (٢) ...

ومن أخلاقياته في هذه الغزوة أيضاً العفو عن من يسيء إلينا ، فالعفو من شيم الكبار إذا كان هذا العفو لن يؤثر على المجتمع كله ، ففي هذه الغزوة حاول إعرابي قتل النبي ع وهو نائم فكانت معجزة النبي ع أن حماه الله من ذلك الإعرابي ، ولكن الرسول الكريم ع عفا عنه ، فعن سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهم عَنْه أَخْبَرَ : (أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ع يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ ثَلَاثًا ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ)(٣) وفي هذه الغزوة ، تكبد المسلمون المشقة للانتقام من قتل الدعاة ، ومع ذلك لم يدخلوا على المدنيين والأطفال ويسلبوا مال القتلة ، بالرغم من مشروعية ذلك لخيانتهم العهد والميثاق ، بقتل الدعاة الآمنين ، ومع ذلك لم ينتقم رسول الله ع ، وبل أدخل الرعب من الله في قلوب الأعداء ، بالرغم من أن المسلمين لم يجدوا ما يلبسونه في أرجلهم ، ومع ذلك ما ضعفوا ولا استكانوا ، وهذه هي قمة أخلاق نبي الله ع ومعه المسلمين في الحرب .

٧ ــ غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع) :

وهذه الغزوة كانت في شعبان من العام الخامس للهجرة ، وفيها نصر الله جنوده نصراً مؤزراً ، وشارك في هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين لما رأوا اضطراد النصر عند المسلمين ، وكان من أهم أخلاق النبي في هذه الغزوة : عدم الموافقة على قتل رؤوس المنافقين ، عندما طلب عمر بن

[1] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٨١٦ ، ورواه مسلم ٣٣٨٧ .

[2] ــ رواه البخاري ٣٨١٧ ، ورواه أيضا أبو داود ١٠٤٩ وأحمد ٢٢٠٥٥ ومالك ٣٩٤

[3] ــ رواه البخاري ، ورواه مسلم٤٢٣١ وأحمد ١٣٨١٦ ..

الخطاب ذلك لقولهم : لئن رجعنا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فنهر عمر وقال له : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وأمر ε بالرحيل درءا للفتنة ..

ومن أخلاق النبي ε بعد ذلك أن سار بالناس نهاراً وليلاً ثم جزءًا من النهار حتى أنهكهم التعب ، فنزلوا للراحة فناموا على الفور ، ليشغل الناس عن حديث زعيم المنافقين ، منعاً للفتنة ، واتقاء الانقسام ، ثم عفا رسول الله ε عن زعيم المنافقين عبد الله بن سلول ، وقال لابنه : بل نترفق به ونحسن صحابته ما بقي معنا ، وهذه الأخلاق الرفيعة بالعفو عند المقدرة ، ولو على زعيم المنافقين ، وطلبه من ابنه أن يحسن صحابة والده رغم أنه على رأس المنافقين ، فهل هناك خلق أبلغ من ذلك لقائد ولرسول الله ε أثناء الحرب وما بعدها ؟ ؟ !! ، لا ، فإنك ε على خلق عظيم ، في السلم ، وفي الحرب ...

وفي العودة من هذه الغزوة وقعت حادثة الإفك ، ورغم أنها ليست من وقائع الحرب ، إلا أن النبي ε لم يتسرع في طلاق السيدة عائشة ، وإنما صبر حتى نزل أمر السماء ، وفي ذلك نجد خلق عظيم وصبر جميل ، من رسول الله ε ، والأكثر من ذلك ، الأدب الرفيع الذي علمه الله لأبي بكر عندما أمره باستمرار الإنفاق على من كان ينفق عليه ولو كان من أصحاب الإفك.

فالبراعة والحكمة السياسية لرسول الله ε وأخلاقه الحميدة ، وقدوته البارعة في هذه الغزوة ، تعطينا الدلالات والمؤشرات على أنه ε كان على سعة صدر وعفو عند المقدرة وصبر شديد وقوة بأس أشد ، وحُسن تدبير الأمور .

٨ ــ غزوة الخندق (الأحزاب) :

وكانت في شهر شوال سنة خمس هجرية ، وفيها تحالف بنو النضير مع قريش وغطفان وبني فزارة وبني مرة ، وقرروا الهجوم على المدينة في عشرة آلاف مقاتل ، واستشار النبي الكريم ε الصحابة ، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، فعجب النبي الفكرة ، حفر النبي ε مع المسلمين الخندق حول المدينة ، وجاء جيش الأحزاب فلم يستطع دخول المدينة ، وصمد أهل المدينة ، حتى نصرهم الله على الكافرين شر هزيمة ، بأن انسحبوا متفرقين مذلولين هاربين تحت جنح الظلام ورهبة الرياح وتمزق واقتلاع الخيام ، وكان ذلك بعد بضعة عشر يوما من المحاصرة ، التي ضربها المشركون على المسلمين ، فلقد جاءتهم ريح هوجاء مخيفة في ليلة مظلمة باردة ، جاءت فقلبت قدورهم واقتلعت خيامهم وقطعت أوتادهم ([1]) ، وحقاً وصدقا : (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) ([2]) ، وقول الحق سبحانه : (وَمَا

[1] ــ راجع : محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ــ٢١٧ .

[2] ــ سورة آل عمران: الآية ١٢٦ .

جَعَلَهُ اللَّهُ إلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (1)

وفي هذه الغزوة خلق رفيع لسيد المرسلين ونبي الرحمة المهداة ع ، فهو قد شاور أصحابه في جحافل الأعداء التي اجتمعت لتقضي على افسلام والمسلمين ، فاستحسن رأي سلمان الفارسي ، وقام وأصحابه على الفور بالبدء في حفر الخندق حول المدينة(2) ..

وفي هذه الغزوة كان الرسول ع يحفر بنفسه ويحمل التراب على ظهره ولم يشرف فقط كقائد أمة ونبي عظيم ، فأثبت أن التواضع صفة الأنبياء العظام ، وأثبت أن المشاركة الشعبية الجادة واجبة على القائد ، وأثبت أنه نبي الرحمة المهداة ، ونلمس ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة عن غزوة الخندق : فعَنِ الْبَرَاءِ رَضِي اللَّهم عَنْه قَالَ : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ع يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ : لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا ، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا) (3).

وروي عنه أنه دعا على الأحزاب ودعا الله أن ينصره عليهم ، فعن عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِي اللَّهم عَنْه يَقُولُ : (دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ع يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ) (4) .

ودعا رسول الله ع على الأعداء لأنهم شغلوا المسلمين عن صلاة العصر ، وفي هذا خلق عظيم للنبي الكريم ع ، بأنه لا يشغل المؤمن أي شيء عن الصلاة حتى لو كان الجهاد في سبيل الله : فعَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ أَنَّ عَلِيًّا حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ع قَالَ يَوْمَ الأَحْزَابِ : (اللَّهُمَّ امْلأْ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) (5) . فهذه استغاثة وتضرع من رسول الله لرب العالمين لنصر الإسلام والمسلمين ، فحقق الله النصر لهم .

كما أن رسول الله ع استخدم الخديعة في الحرب ، فالحرب خدعة ، فأمر أحد الرجال الذين أسلموا ــ نعيم بن مسعود ــ بعدم إعلان إسلامه ، وبالفعل استطاع الوقيعة بين صفوف المشركين واليهود وشق صفهم وجعلهم يتألبون على بعض واختفت الثقة بينهم وأصبح كل فريق منهم يتهم الآخر بالغدر والخيانة (6)، مما جعل المسلمين ينتصرون عليهم ، وهناك أن رسول الله ع حاول الاتفاق مع غطفان على أن يأتيهم بنصف ثمار المدينة على أن يحموا ظهره ، ولكن بعد الاستشارة ، لم يوقع معهم عهداً.

---

1 ــ سورة الأنفال:الآية ١٠ .

2 ــ راجع : عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر ، مرجع سابق ، ص١٠٧ــ١١٩.

3 ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٦٢٥ ، ورواه مسلم ٣٣٦٥ ، ورواه أحمد ١٧٧٨٠ ورواه الدارمي ٢٣٢٧ .

4 ــ رواه البخاري ٢٧١٦ .

5 ــ رواه الترمذي ٢٩١٠ ، والنص له ، ورواه البخاري ومسلم وأحمد .

6 ــ راجع : أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، للقاهرة ، دار المعارف ،١٩٧٦، ص ٤٢٩ وما بعدها .

فهذه الغزوة أثبتت الخلق الرفيع لرسول الله ع ، فهو يجوع كما يجوع الرعية ، ويكون آخر من يأكل ، وهو يتحمل ما يتحملونه من آلام في سبيل الدفاع عن المدينة ، وهو يستخدم الخديعة الأخلاقية في زلزلة صفوف الأعداء ، ومن قبل كل ذلك ، فهو ينفذ : الحكمة ضالة المؤمن ، في بناء الدفاعات الخندقية حول المدينة ن وهناك العدالة والمساواة في أثناء الحرب ، فلا تفرقة ، ولا ظلم ، فالجميع يتقاسم المحنة وآلامها بشجاعة وقوة وعدم خوف وثقة في النصر من عند الله .

٩ ــ غزوة بني قريظة :

بسبب خيانتهم لميثاق المدينة وتحالفهم مع المشركين ، رغم أنهم يحموا ظهر المدينة ، فعندما رجع الرسول ع من الخندق ووضع السلاح واغتسل ، آتاه جبريل وأخبره بالخروج لطرد الخائنين من بني قريظة ، وفي ذلك أحاديث كثيرة : فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : (كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ : يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ ، قَالَ : أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع قَالَ : مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ ، فَانْطَلَقْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ع أَبَوَيْهِ ، فَقَالَ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) (١) ، و عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ع : لَمَّ يَوْمَ الأَحْزَابِ لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ) (٢) ، فعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ : (رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ع بِالنَّارِ فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَتَرَكَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَحَسَمَهُ أُخْرَى فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَيُسْتَحْيَا نِسَاؤُهُمْ يَسْتَعِينُ بِهِنَّ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع أَصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمُ انْفَتَقَ عِرْقُهُ فَمَاتَ) (٣) ..

وفي هذه الأحاديث النبوية الشريفة ، وغيرها لرسول الله ع كان من خلق النبي اقتطاع دابر الخيانة بالعهود والمواثيق ، فالصلح والأمان لا يمكن أن يكون لمن خان العهود والمواثيق ، ومن خُلق النبي أيضاً ، عدم الانتظار والراحة بعد الجهاد ، لأن الخيانة لا يمكن السكوت عليها ، وكذلك ترك التحكيم ليقول كلمته ، وفي ذلك ، أكد لنا الرسول ع أن اليهود هم الذين يختارون من يحكم

---

[1] ــ رواه البخاري ٣٤٤٢ وأحمد .

[2] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٨١٠ .

[3] ــ رواه الترمذي حديث رقم ١٥٠٨ وأحمد .

عليهم ومن يحكم بينهم وبين المسلمين ، فاختاروا سعد رضي الله عنه ، فحكم بحكم الله ، فلم يحكم عليهم رسول الله ε ، بل تركهم يختارون من يحكم في قضيتهم ، ووضع لنا رسول الله ε القدوة في الاجتهاد في الفروع بعيداً عن الأصول ، وكذلك القيام إكراماً للقادم ، فلقد أمر رسول الله ε الأنصار القيام لسعد بن معاذ وهو راكباً الدابة إكراما له ، وهذا من خلق النبي الرفيع ε .
وفي هذه الغزوة ، كانت أخلاق النبي ε رفيعة وعظيمة وتعطينا المثل والقدوة لكل خير ، وتعطينا الأخلاق الحميدة التي بعث النبي ε ليتممها عند البشرية كلهم ...

١٠ـ صلح الحديبية :

كانت في شهر ذي القعدة آخر سنة ست للهجرة ، وفيها خرج رسول الله ε معتمراً هو وأصحابة ، وقرب الحديبية حبس حابس ناقة رسول الله فبركت ورفضت المسير فعسكر المسلمون ، وجاء وسطاء من قريش فأعلن رسول الله ε أنه لم يأت لقتال ، وإنما لأداء العمرة ، فبدأت الوساطات والاتصالات ، حتى تم توقيع صلح الحديبية ، وفيه برزت الأخلاق السامية لرسول الله ε ، وسعة الأفق ، لأن الصلح ماهو إلا فتح ونصر ، ونلمس ذلك مما يلي :
ـ سعة صدر رسول الله في المفاوضات ، فلم يتمسك بكتابة رسول الله أو نبي الله في الصلح ، لأنه فتح ونصر ، ولأن حجة المشركين أنهم لو عرفوا أنه رسول الله لآمنوا به ، فما كان من رسول الله أنه وافق على ذلك ، ومن سعة الأفق والأخلاقيات العالية لرسول الله ε أنه قبل العودة هذا العام على أن يحضر المسلمون في العام التالي للعمرة والزيارة ، وكذلك لم يسارع النبي بالحرب عندما جاءه خبر قتل عثمان بن عفان ، واخذ البيعة على القتال ، ولكنه كان إشاعة سرعان ما ثبت عدم صحتها ، وفيها خُلق النبي العظيم ε في استشارة زوجته أم سلمة ، ورأيها الصائب في ضرورة خروج رسول الله ε فيحلق وينحر بدنته ليقتدي به الصحابة ، فخرج وفعل ، فامتثل المسلمون ، وقاموا بالنحر والحلق للاقتداء برسول الله ε ، وسعة صدر النبي ε في كتابة العهد أو الصلح بين قريش ورسول الله ، مثل رد المؤمنين من المشركين إلى الكفار ، وهناك خلق أخرى عديدة قدمها لنا رسول الله من خلال صلح الحديبية ([1]) ، ولنقف لحظات مع حديث لرسول الله ε ، فعن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالا : (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ε زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ε إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ وَسَارَ النَّبِيُّ ε حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ:

[1] ـ راجع : مصطفى محمود ، محمد عليه الصلاة وعليه السلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧، ط٣ ، ص ٦٧ وما بعدها .

حلْ حلْ فَألَحَتْ فقَالُوا خلأَت الْقَصْوَاءُ خلأَت الْقَصْوَاءُ ، فقَالَ النَّبيُّ ع : ما خلأَت الْقَصْوَاءُ ومَا ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ ولَكنْ حَبَسَهَا حَابسُ الْفيل ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذي نَفْسي بيَده لا يَسْأَلُوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيهَا حُرُمَات اللَّه إلا أَعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا ، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ ، قَالَ : فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بأَقْصَى الْحُدَيْبيَة عَلَى ثَمَد قَليل الْمَاء يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ ، وَشُكيَ إلَى رَسُول اللَّه ع الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا منْ كنَانَته ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فيه ، فَوَاللَّه مَا زَالَ يَجيشُ لَهُمْ بالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعيُّ في نَفَرٍ منْ قَوْمه منْ خُزَاعَةَ ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْح رَسُول اللَّه ع منْ أَهْل تهَامَةَ ، فَقَالَ : إنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ ميَاه الْحُدَيْبيَة وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافيلُ وَهُمْ مُقَاتلُوكَ وَصَادُّوكَ عَن الْبَيْت ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ع : إنَّا لَمْ نَجئْ لقتَال أَحَد وَلَكنَّا جئْنَا مُعْتَمرينَ وَإنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بهمْ فَإنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْني وَبَيْنَ النَّاس ، فَإنْ أَظْهَرْ فَإنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فيمَا دَخَلَ فيه النَّاسُ فَعَلُوا وَإلا فَقَدْ جَمُّوا ، وَإنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذي نَفْسي بيَده لأُقَاتلَنَّهُمْ عَلَى أَمْري هَذَا حَتَّى تَنْفَردَ سَالفَتي وَلَيُنْفذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ ، فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ ، قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا ، قَالَ : إنَّا قَدْ جئْنَاكُمْ منْ هَذَا الرَّجُل وَسَمعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلا ، فَإنْ شئْتُمْ أَنْ نَعْرضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا ، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ : لا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبرَنَا عَنْهُ بشَيْءٍ ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْي منْهُمْ : هَاتِ مَا سَمعْتَهُ يَقُولُ ، قَالَ : سَمعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ـ فَحَدَّثَهُمْ بمَا قَالَ النَّبيُّ ـ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود فَقَالَ : أَيْ قَوْم أَلَسْتُمْ بالْوَالد ؟ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : أَوَلَسْتُ بالْوَلَد ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهمُوني ؟ ، قَالُوا : لا ، قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جئْتُكُمْ بأَهْلي وَوَلَدي وَمَنْ أَطَاعَني ؟ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَإنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْد اقْبَلُوهَا وَدَعُوني آتيه ، قَالُوا : ائْته ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبيَّ ع ، فَقَالَ النَّبيُّ ع نَحْوًا منْ قَوْله لبُدَيْل ، فَقَالَ عُرْوَةُ عنْدَ ذَلكَ : أَيْ مُحَمَّدُ ، أَرَأَيْتَ إن اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمكَ هَلْ سَمعْتَ بأَحَد منَ الْعَرَب اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ ؟ ، وَإنْ تَكُن الأُخْرَى فَإنِّي وَاللَّه لأَرَى وُجُوهًا وَإنِّي لأَرَى أَوْشَابًا منَ النَّاس خَليقًا أَنْ يَفرُّوا وَيَدَعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ : امْصُصْ ببَظْر اللات ، أَنَحْنُ نَفرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ، فَقَالَ : مَنْ ذَا؟ ، قَالُوا : أَبُو بَكْر ، قَالَ : أَمَا وَالَّذي نَفْسي بيَده لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عنْدي لَمْ أَجْزكَ بهَا لأَجَبْتُكَ ، قَالَ : وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبيَّ ع ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بلحْيَته وَالْمُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائمٌ عَلَى رَأْس النَّبيِّ ع وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْه الْمغْفَرُ ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بيَده إلَى لحْيَة النَّبيِّ ع ضَرَبَ يَدَهُ بنَعْل السَّيْف وَقَالَ لَهُ : أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لحْيَة رَسُول اللَّه ع ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ ، قَالُوا : الْمُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، فَقَالَ : أَيْ غُدَرُ ، أَلَسْتُ أَسْعَى في غَدْرَتكَ ـ وَكَانَ الْمُغيرَةُ صَحبَ قَوْمًا في الْجَاهليَّة فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ ـ فَقَالَ النَّبيُّ ع : أَمَّا الإسْلامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ منْهُ في شَيْءٍ ، ثُمَّ إنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبيِّ ع بعَيْنَيْه ، قَالَ : فَوَاللَّه مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّه ع نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منْهُمْ ، فَدَلَكَ بهَا وَجْهَهُ وَجلْدَهُ ، وَإذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإذَا تَوَضَّأَ

كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِه فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ε مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ : دَعُونِي آتِيه فَقَالُوا ائْتِه فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ε وَأَصْحَابِه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε :هَذَا فُلانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِه قَالَ : رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ : دَعُونِي آتِيه ، فَقَالُوا : ائْتِه ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ε : هَذَا مِكْرَزٌ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ε ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ مَعْمَرٌ : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ε : لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ ، قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِه : فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ε الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ ε : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إِلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ε : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ε : وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ ، قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَذَلِكَ لِقَوْلِه لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ε : عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِه ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ؟ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِه وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِه بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ε : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، قَالَ النَّبِيُّ ε : فَأَجِزْهُ لِي ، قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِه لَكَ ، قَالَ : بَلَى فَافْعَلْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، قَالَ : مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ : أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ ــ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ ــ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ε فَقُلْتُ : أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ :

فلِمَ نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا ؟ إذًا قالَ إنّي رَسُولُ اللّه ولَسْتُ أعْصيه وَهُوَ نَاصري ، قُلْتُ : أولَيْس كُنْتَ تُحَدِّثُنا أنَّا سَنَأتي البَيْتَ فنطوفُ به ، قَالَ : بَلَى ، فَأخْبَرْتُكَ أنَّا نَأتيه العَامَ ، قَالَ : قُلْتُ : لا ، قَالَ : فإنَّكَ آتيه ومُطَّوِّفٌ به ، قَالَ : فَأتَيْتُ أبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : يَا أبَا بَكْرٍ ألَيْسَ هَذا نبيَّ اللّه حقًّا ؟ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : ألَسْنَا عَلى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ ؟ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فلِمَ نُعْطِي الدَّنيَّةَ في ديننا إذًا قَالَ أيُّهَا الرَّجُلُ إنَّهُ لرَسُولُ اللّه ء وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزه فَوَاللّه إنَّهُ عَلَى الحَقِّ ، قُلْتُ : لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أنَّا سَنَأتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ به ؟، قَالَ : بَلَى أفَأخْبَرَكَ أنَّكَ تَأتيه العَامَ ؟ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فإنَّكَ آتيه وَمُطَّوِّفٌ به ، قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لذَلكَ أعْمَالا ، قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكتَاب قَالَ رَسُولُ اللّه ء لأصْحَابه : قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلقُوا ، قَالَ : فَوَاللّه مَا قَامَ منْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلكَ ثَلاثَ مَرَّات ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منْهُمْ أحَدٌ دَخَلَ عَلَى أمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ منَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبيَّ اللّه أتُحبُّ ذَلكَ ؟ .. اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منْهُمْ كَلمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالقَكَ فَيَحْلقَكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحَدًا منْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأوْا ذَلكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ، ثُمَّ جَاءَهُ نسْوَةٌ مُؤْمنَاتٌ فَأنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى (يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذَا جَاءَكُمُ المُؤْمنَاتُ مُهَاجرَات فَامْتَحنُوهُنَّ) حَتَّى بَلَغَ (بعصَمِ الكَوَافرِ) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئذٍ امْرَأتَيْن كَانَتَا لَهُ في الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إحْدَاهُمَا مُعَاويَةُ بْنُ أبي سُفْيَانَ وَالأخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أمَيَّةَ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبيُّ ء إلَى المَدينَة فَجَاءَهُ أبُو بَصيرٍ رَجُلٌ منْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلمٌ ، فَأرْسَلُوا في طَلَبه رَجُلَيْن ، فَقَالُوا : العَهْدَ الَّذي جَعَلْتَ لَنَا ، فَدَفَعَهُ إلَى الرَّجُلَيْن ، فَخَرَجَا به حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَة ، فَنَزَلُوا يَأكُلُونَ منْ تَمْرٍ لَهُمْ ، فَقَالَ أبُو بَصيرٍ لأحَد الرَّجُلَيْن : وَاللّه إنّي لأرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ ، فَقَالَ : أجَلْ وَاللّه إنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ به ثُمَّ جَرَّبْتُ ، فَقَالَ أبُو بَصيرٍ : أرني أنْظُرْ إلَيْه ؟ ، فَأمْكَنَهُ منْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَّ الآخَرُ ، حَتَّى أتَى المَدينَةَ ، فَدَخَلَ المَسْجدَ يَعْدُو ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ء حينَ رَآهُ : لَقَدْ رَأى هَذَا ذُعْرًا ، فَلَمَّا انْتَهَى إلَى النَّبيِّ ء قَالَ : قُتلَ وَاللّه صَاحبي وَإنّي لَمَقْتُولٌ ، فَجَاءَ أبُو بَصيرٍ فَقَالَ : يَا نَبيَّ اللّه قَدْ وَاللّه أوْفَى اللّهُ ذمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَني إلَيْهمْ ثُمَّ أنْجَاني اللّهُ منْهُمْ ، قَالَ النَّبيُّ ء : وَيْلُ أمّه مسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أحَدٌ ، فَلَمَّا سَمعَ ذَلكَ عَرَفَ أنَّهُ سَيَرُدُّهُ إلَيْهمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أتَى سيفَ البَحْرِ ، قَالَ : وَيَنْفَلتُ منْهُمْ أبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحقَ بأبي بَصيرٍ فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ منْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أسْلَمَ إلا لَحقَ بأبي بَصيرٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ منْهُمْ عصَابَةٌ ، فَوَاللّه مَا يَسْمَعُونَ بعيرٍ خَرَجَتْ لقُرَيْشٍ إلَى الشَّأم إلا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأخَذُوا أمْوَالَهُمْ فَأرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إلَى النَّبيِّ ء تُنَاشدُهُ باللّه وَالرَّحمِ : لَمَّا أرْسَلَ فَمَنْ أتَاهُ فَهُوَ آمنٌ ، فَأرْسَلَ النَّبيُّ ء إلَيْهمْ فَأنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذي كَفَّ أيْديَهُمْ عَنْكُمْ وَأيْديَكُمْ عَنْهُمْ ببَطْنِ مَكَّةَ منْ بَعْد أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهمْ) حَتَّى بَلَغَ (الحَميَّةَ حَميَّةَ الجَاهليَّة) وَكَانَتْ حَميَّتُهُمْ أنَّهُمْ لَمْ يُقرُّوا أنَّهُ نَبيُّ اللّه وَلَمْ يُقرُّوا ب : بسْم اللّه الرَّحْمَن الرَّحيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْت قَالَ أبُو عَبْد اللّه (مَعَرَّةٌ) العُرُّ الجَرَبُ (تَزَيَّلُوا

) تَمَيَّزُوا وَحَمَيْتُ الْقَوْمَ مَنَعْتُهُمْ حمايَةً وَأَحْمَيْتُ الْحمَى جَعَلْتُهُ حمًى لا يُدْخَلُ وَأَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً ، وَقَالَ عُقَيْلٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ عُرْوَةُ : فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ ، وَبَلَغَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ ، وَحَكَمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ لا يُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ أَنَّ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ قَرِيبَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ وَابْنَةَ جَرْوَلٍ الْخُزَاعِيِّ فَتَزَوَّجَ قَرِيبَةَ مُعَاوِيَةُ وَتَزَوَّجَ الأُخْرَى أَبُو جَهْمٍ فَلَمَّا أَبَى الْكُفَّارُ أَنْ يُقِرُّوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ) وَالْعَقْبُ مَا يُؤَدِّي الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ هَاجَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى مَنْ ذَهَبَ لَهُ زَوْجٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا أَنْفَقَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ اللائِي هَاجَرْنَ وَمَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيمَانِهَا ، وَبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا بَصِيرِ بْنَ أَسِيدٍ الثَّقَفِيَّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ε مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا فِي الْمُدَّةِ فَكَتَبَ الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ إِلَى النَّبِيِّ ε يَسْأَلُهُ أَبَا بَصِيرٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ) ([1])، وهذا الحديث يحكي قصة الحديبية من أولها لآخرها ، ويحكي سعة صدر وخُلق النبي ε ، وصبره ومثابرته ومشاورته ، فهو حديث طويل ولكنه شامل جامع ...

ومن أخلاق النبي ε في الحديبية :الصبر على الصحابة ، مثل صبره على عمر بن الخطاب وإفهامه أن الأمر فتح ، ولذلك ، فالنبي ε يعطينا المثل والقدوة في الصبر وسعة الصدر ([2])، وذلك قبل نزول إذا جاء نصر الله والفتح في نفس اليوم ، لتؤكد أن الصلح فتح مبين ، ومن الأخلاق الحميدة لنبي الله ε هو عدم الخوف من الهدنة مع الأعداء حتى نتفرغ لما هو أهم : الدعوة إلى الله وترتيب البيت من الداخل ، فكان الفتح مقدمة لفتح مكة ، ومن أهمية الصلح أن الناس أمن بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، وكذلك فن التفاوض من أجل الهدف الأسمى ألا وهو النصر المبين ، فالتقط المسلمون أنفاسهم ، واستعادوا قوتهم ونظموا صفوفهم حتى إذا أخل الكفار بعهدهم ، كان الفتح المبين ، فالفتح الأول هو دخول مكة للرسول ε ومن معه من المسلمين في عمرة القضاء في العام التالي ، والتي تغنى عبد الله بن رواحه واصفاً أخلاق النبي ε ونصر الله له على المشركين حين يقولوهو يأخذ بزمام ناقة النبي ε ([3]):

خلو بني الكفــار عن سبيله   خلو فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمــن بقـــيله   أعرف حق الله في قـــبوله
نحن قتلناكم على تأويـــله   كمـــا قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهــل الخليل عن خليله

[1] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٥٢٩ ، وهناك رواية طويلة لأحمد في مسنده حديث رقم ١٨١٥٢ ، وحديث رقم ١٨١٦٦ .
[2] ــ محمود شيث خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، مرجع سابق ، ص١٨٨ــ١٨٩.
[3] ــ الشريف نايف بن هاشم الدعيس ، الرسول ε والشعر ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ــ ١٤٥ .

والفتح الثاني كان فتح مكة المبين العظيم ..

ومن خلق النبي العظيم ع كذلك جواز تأجيل السنن مثل العمرة والزيارة عاماً أو عامين ، نعم ، فالصلح أهم من الاعتمار الآن ، لأنه نصر من الله ، وفتح مبين للمستقبل .

١١ـ غزوة خيبر :

ومن أخلاق النبي الكريم في غزوة خيبر أنه ترك الأرض لمن يزرعها ، فليست مهمة المسلمين الاستيلاء على الأراضي من أصحابها وزراعتها ، نعم ، فرغم نصر الله للمسلمين في خيبر ، إلا أن الرسول ع لم يأسرهم ولم يستولى على بلادهم ، ولم يخرجهم من دينهم ، ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام ، بل كانت خلق النبي ع خلق رفيع ، عندما عفا عن المرأة التي قدمت له الشاة المسمومة ، ونرى تلك الأخلاق العظيمة من خلال الأحاديث النبوية الشريفة لرسول الله ع : فعن إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : (.......... حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع قَالَ فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ : تَاللَّهِ لَوْلا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا ، فَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع مَنْ هَذَا ؟ ، قَالَ : أَنَا عَامِرٌ ، قَالَ : غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ ، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ع لإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلا اسْتُشْهِدَ ، قَالَ : فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْلا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ : خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ ، وَيَقُولُ : قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ ، قَالَ : وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ فَقَالَ: قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ قَالَ : فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، وَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ع يَقُولُونَ بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ع وَأَنَا أَبْكِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : مَنْ قَالَ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : قُلْتُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ ، قَالَ : كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ فَقَالَ : لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ع فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ : قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ ، قَالَ : فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ) ([1])...

---

[1] ــ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٧٢ ورواه أحمد برواية أخرى حديث رقم١٥٩٤١ .

وعن جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ : (أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ع خَيْبَرَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَأَنَّ ابْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ الْمَزَارِعَ كَانَتْ تُكْرَى عَلَى شَيْءٍ سَمَّاهُ نَافِعٌ لا أَحْفَظُهُ) ([1])، وعن عُبَيْدُاللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع أَعْطَى خَيْبَرَ الْيَهُودَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا خَرَجَ مِنْهَا) ([2]) ، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ... و زَادَ فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الأَنْصَارِيُّ فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ قَالَتْ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ع فَقُتِلَتْ ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي)([3]) .وعن شُعْبَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ : (أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ع بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ع فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ قَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ ، قَالَ أَوْ قَالَ عَلَيَّ قَالَ قَالُوا : أَلا نَقْتُلُهَا ، قَالَ : لا ، قَالَ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ع) ([4])

١٢ ــ أخلاق النبي ع في كتبه ورسله للملوك والقبائل :

كانت هناك حرباً خفية بين المسلمين والإسلام ، وبين من حولهم من الممالك والبلدان ، فكانت البلاد تتسمع بتوجس وحيطة أخبار الإسلام ، وكان المسلمون يتشوقون لنشر الإسلام لمشارق الأرض ومغاربها ، وهنا ، وبعد صلح الحديبية ، الذي نشر الهدوء والهدنة بين المسلمين وأهل مكة ، بدأ الإسلام يعلو وينتشر ، فجاءت الوفود من القبائل العربية لتري وتطلع على الإسلام ، وتشهد بأن الرسول حق ، وأن الإسلام حق ، ولكن كان لرسول الله ع كلمة أخرى ، فأراد أن يُطلع قادة الدول حوله بالإسلام ، فكتب للملوك رسائل نقشها بختمه الشريف ([5]) وعليه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، كل كلمة في سطر ، وكتب الكتب للنجاشي ملك الحبشة ، الذي أسلم ، ولملك الروم ، ولكسرى ملك الفرس ، ولعظيم بصرى ولكثير من الأمراء العرب المتفرقين في مختلف المناطق ،

---

[1] ــ رواه البخاري ٢١٢٤ .

[2] ــ رواه البخاري ٢١٦٣ .

[3] ــ رواه أبوداود ٣٩١٢ ، والنص له ، ورواه الدارمي حديث رقم ٦٧ .

[4] ــ رواه مسلم ٤٠٦٠، ورواه أبو داود ٣٩٠٩ .

[5] ــ راجع : محمد حسني فايد ، قطوف من رياض السيرة المحمدية ، مرجع سابق ، ص١١١ وما بعدها .

وكانت أخلاق النبي ظاهرة وبارزة في صياغة هذه الخطابات ([1]) ، وفي أسلوبه : أسلم تسلم ، وفي دعوته للحق من غير تشتت ولا إفراط ، ولنرى بعضا من أحاديث النبي ε في ذلك الأمر : فعن عُبَيْدُاللَّه بْنُ عَبْداللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُود أَنَّ عَبْدَاللَّه بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ : (أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّه ε مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْش فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِه وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِه فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِه ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِه قُلْ : لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّه لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ ، قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ، قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائه مِنْ مَلك ؟ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ ، فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ ، قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ ؟ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِه بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيه ؟ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ ؟ ، قُلْتُ : لا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا ، قَالَ : وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِه الْكَلِمَةِ ، قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ ، قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ ، قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ ، قُلْتُ يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِه شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِه فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائه مِنْ مَلك فَذَكَرْتَ أَنْ لا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائه مِنْ مَلك قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيه وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّه وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُم اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِه بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيه فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَا تُشْرِكُوا بِه شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ

[1] ــ راجع في ذلك : نصر فريد واصل ، محمد رسول الإسلام والسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ١٨٠ / ١٩٧٦م ، ص٧٧ــ٧٩ .

أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ع الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا ، فَقُلْتُ : لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا ، لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلا الْيَهُودُ فَلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ع ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ : اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ : هُمْ يَخْتَتِنُونَ ، فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ع وَأَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ : مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ، وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ) ([1]).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ قَالَ : (لَقِيتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ هِرَقْلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ع بِحِمْصَ ، وَكَانَ جَارًا لِي شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ بَلَغَ الْفَنَدَ أَوْ قَرُبَ ، فَقُلْتُ : أَلا تُخْبِرُنِي عَنْ رِسَالَةِ هِرَقْلَ إِلَى النَّبِيِّ ع وَرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ع إِلَى هِرَقْلَ ؟ ، فَقَالَ : بَلَى ... قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ع تَبُوكَ فَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى هِرَقْلَ ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ع دَعَا قِسِّيسِي الرُّومِ وَبَطَارِقَتَهَا ، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ بَابًا ، فَقَالَ : قَدْ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ ، يَدْعُونِي : إِلَى أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ــ أَوْ عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا وَالأَرْضُ أَرْضُنَا ــ أَوْ نُلْقِيَ إِلَيْهِ الْحَرْبَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ

[1] ــ رواه البخاري حديث رقم ٦ ورواه مسلم ٣٣٢٢ وأحمد ٢٢٥٢ ..

عَرَفْتُمْ فيمَا تَقْرَءُونَ مِنَ الْكُتُبِ لَيَأْخُذَنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ ، فَهَلُمَّ نَتَّبِعْهُ عَلَى دِينِهِ ، أَوْ نُعْطِيهِ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا ، فَنَخَرُوا نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ ، وَقَالُوا : تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَدَعَ النَّصْرَانِيَّةَ ، أَوْ نَكُونَ عَبِيدًا لأَعْرَابِيٍّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ أَفْسَدُوا عَلَيْهِ الرُّومَ، رَفَأَهُمْ وَلَمْ يَكَدْ ، وَقَالَ : إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لَكُمْ لأَعْلَمَ صَلابَتَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ ، ثُمَّ دَعَا رَجُلا مِنْ عَرَبِ تُجِيبَ كَانَ عَلَى نَصَارَى الْعَرَبِ ، فَقَالَ : ادْعُ لِي رَجُلا حَافِظًا لِلْحَدِيثِ عَرَبِيَّ اللِّسَانِ أَبْعَثْهُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِجَوَابِ كِتَابِهِ ، فَجَاءَ بِي ، فَدَفَعَ إِلَيَّ هِرَقْلُ كِتَابًا فَقَالَ : اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ ، فَاحْفَظْ لِي مِنْهُ ثَلاثَ خِصَالٍ : انْظُرْ هَلْ يَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ الَّتِي كَتَبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ ، وَانْظُرْ إِذَا قَرَأَ كِتَابِي فَهَلْ يَذْكُرُ اللَّيْلَ ؟ ، وَانْظُرْ فِي ظَهْرِهِ هَلْ بِهِ شَيْءٌ يَرِيبُكَ .... فَانْطَلَقْتُ بِكِتَابِهِ حَتَّى جِئْتُ تَبُوكَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ مُحْتَبِيًا عَلَى الْمَاءِ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ صَاحِبُكُمْ ؟ ، قِيلَ : هَا هُوَ ذَا ، فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَنَاوَلْتُهُ كِتَابِي ، فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا أَحَدُ تَنُوخَ ، قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الإِسْلامِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ؟ ، قُلْتُ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ لا أَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) : يَا أَخَا تَنُوخَ : إِنِّي كَتَبْتُ بِكِتَابٍ إِلَى كِسْرَى فَمَزَّقَهُ ، وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ وَمُمَزِّقٌ مُلْكَهُ ، وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِصَحِيفَةٍ فَخَرَقَهَا وَاللَّهُ مُخْرِقُهُ وَمُخْرِقٌ مُلْكَهُ ، وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ بِصَحِيفَةٍ فَأَمْسَكَهَا ، فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْسًا مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ، قُلْتُ : هَذِهِ إِحْدَى الثَّلاثَةِ الَّتِي أَوْصَانِي بِهَا صَاحِبِي ، وَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي فَكَتَبْتُهَا فِي جِلْدِ سَيْفِي ، ثُمَّ إِنَّهُ نَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلا عَنْ يَسَارِهِ ، قُلْتُ : مَنْ صَاحِبُ كِتَابِكُمْ الَّذِي يُقْرَأُ لَكُمْ ؟ ، قَالُوا : مُعَاوِيَةُ ، فَإِذَا فِي كِتَابِ صَاحِبِي تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، فَأَيْنَ النَّارُ ، فَقَالَ رَسُولُ ع : سُبْحَانَ اللَّهِ : أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ؟ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي فَكَتَبْتُهُ فِي جِلْدِ سَيْفِي ، فَلَمَّا أَنْ فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِي ، قَالَ : إِنَّ لَكَ حَقًّا وَإِنَّكَ رَسُولٌ ، فَلَوْ وُجِدَتْ عِنْدَنَا جَائِزَةٌ جَوَّزْنَاكَ بِهَا ، إِنَّا سَفْرٌ مُرْمِلُونَ ، قَالَ : فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْ طَائِفَةِ النَّاسِ ، قَالَ : أَنَا أُجَوِّزُهُ ، فَفَتَحَ رَحْلَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَأْتِي بِحُلَّةٍ صَفُورِيَّةٍ فَوَضَعَهَا فِي حَجْرِي، قُلْتُ : مَنْ صَاحِبُ الْجَائِزَةِ ؟ ، قِيلَ لِي : عُثْمَانُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَيُّكُمْ يُنْزِلُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ ، فَقَالَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ : أَنَا ، فَقَامَ الأَنْصَارِيُّ وَقُمْتُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا خَرَجْتُ مِنْ طَائِفَةِ الْمَجْلِسِ نَادَانِي رَسُولُ اللَّهِ ع ... وَقَالَ : تَعَالَ يَا أَخَا تَنُوخَ ؟ ، فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي إِلَيْهِ حَتَّى كُنْتُ قَائِمًا فِي مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَحَلَّ حَبْوَتَهُ عَنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ : هَاهُنَا امْضِ لِمَا أُمِرْتَ لَهُ ، فَجُلْتُ فِي ظَهْرِهِ ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي مَوْضِعِ غُضُونِ الْكَتِفِ مِثْلِ الْحَجْمَةِ الضَّخْمَةِ) ([1]) ، ويا عظمة معنى القوة والصدق في مخاطبة ملوك العالم مخاطبة سلمية ، وبحكمة

[1] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥١٠٠ .

بالغة ، وبدقة متناهية ، من أجل الدعوة إلى دين الله بأخلاق سامية رفيعة وأدب عالي سامي ، يدل على خُلق عظيم لرسول الله ε ....

ونلاحظ أن هذه المرحلة كانت فتحاً عظيماً ، ليس بالسلاح ، ولكن بالخُلق العظيم لسيدنا رسول الله ε ، حيث أسلم في هذه المرحلة الكثير من الصحابة مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم.، وأثبت النبي أن الدعوة التي بعث بها للناس كافة وليست للعرب وحدهم .

١٣ــ غزوة مؤته :

وكانت سنة ثمان للهجرة في شهر جمادي الأولى ، ومؤته قرية على مشارف الشام ، وسببها مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ε إلى ملك بصرى ، فندب الناس للخروج إلى الشام ، وتجمع ثلاثة آلاف مقاتل مسلم خرجوا بها ، وهي سرية وليست غزوة ، لأن رسول الله لم يخرج فيها على رأسها ، ولكنها سمّيت غزوة ، وإنما أمر زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحه ، وكانت معركة شديدة الوطيس حارب فيها مائة ألف من الرومان ، وقتل هؤلاء القادة ، فاختار الناس خالد بن الوليد ، فعمل حيلة أوهم بها الأعداء من الرومان بوصول إمدادات هائلة للمسلمين ، فرهب القوم ولم يحاربوا ، وانسحب خالد راجعاً بجيشه ، وفي هذه الغزوة نجد شجاعة وبسالة الجنود والقادة ، ونجد أن الأخلاق أهم مرة من المكسب في الحرب ، وأن الحرب خدعة فلابد أن نحمي الجنود ولا نبيدهم ، وغيرها من المعاني السامية للحرب ، حتى أن جعفر بن أبي طالب أصيب بنحو خمسين طعنة في هذه الغزوة قبل أن يستشهد ، وهذا دليل على بسالة القادة قبل الجنود ([1]) ، ونستعرض بعضاً من الأدب والأخلاقيات الإسلامية في تلك المعركة ، فعن ابْنَ عُمَرَ : (أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ قَتِيلٌ ، فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ) ([2])، وعن حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللّهم عَنْهما : (أَنَّ النَّبِيَّ ε نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ([3]) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ε مَنْزِلا فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ε : مَنْ هَذَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ فَأَقُولُ : فُلانٌ ؟ ، فَيَقُولُ : نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا ، وَيَقُولُ : مَنْ هَذَا ؟ ، فَأَقُولُ : فُلانٌ ، فَيَقُولُ : بِئْسَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا ، حَتَّى مَرَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا؟ ،

[1] ــ راجع : محمد عيتاني ، النضال المسلح في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ــ٢٢٤.

[2] ــ رواه البخاري٣٩٢٧ .

[3] ــ رواه البخاري ٣٤٧٤ .

فَقُلْتُ : هَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ : نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ) (¹) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ε جَيْشًا اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوِ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ ، فَإِنْ قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَتَى خَبَرُهُمْ النَّبِيَّ ε فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَمْهَلَ ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ ، ادْعُوا لِي ابْنَيْ أَخِي ، قَالَ : فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ ، فَقَالَ : ادْعُوا إِلَيَّ الْحَلَّاقَ ، فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَشَالَهَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ ، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ ، قَالَ فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ ، فَقَالَ : الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (²) ، وهذا يعلمنا أن من يستخدم ذكاوه في حماية المسلمين من القتل يلقبه الله ورسوله بأروع الألقاب ، فلقد لقب خالد بن الوليد بسيف الله المسلول ، لأنه أنقذ المسلمين من كارثة الإبادة أمام مائة ألف جندي من جنود الرومان ..

وعلمنا الرسول ε مشروعية اختيار المسلمين لقائدهم وأميرهم في الحرب ، فرغم ظروف الحرب إلا أن رسول الله ε لم يغلق عليهم باب الديمقراطية ، فعندما استشهد السابقون العظام والمناضلون الكبار الذين أمرهم رسول الله ε اختار المسلمون قائداً محنكاً قريب العهد بالإسلام ، فأحسنوا الاختيار ، فكان خالد بن الوليد هو الذي أنقذهم بالحيلة والذكاء من الوقوع بين مائة ألف مقاتل يتربصون بهم ..

وكان رسول الله ε شديد التأثر باستشهاد القادة ، فنعاهم بين أصحابه وهو يبكي وعيناه تذرفان بالدموع ، وهذا ما يبين مدى شفقته على أصحابه رضوان الله عليهم ، حتى من الحرب تشفق على المسلمين منها يارسول الله ε ، وهذه قمة أخلاق المصطفى ε في الحرب ...

[1] ــ رواه الترمذي ٣٧٨١ .

[2] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٦٥٩ .

ومما يدل على ضراوة الحرب في مؤته ما رواه خالد بن الوليد : فعن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ : (لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ)([1]).

١٤ـ فتح مكة :

وهو الفتح المبين الكبير ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ، بسبب خيانة أهل المكة ومن معهم من المشركين لصلح الحديبية ونصرة قريش وبني بكر على خزاعة حليفة رسول الله ع فنقضوا العهد والميثاق مع المسلمين ، وفي ذلك يقول الشاعر العربي عمرو بن سالم الخزاعي أمام رسول الله ع ([2]):

يارب إني ناشــــــد محمداً   حلف أبيــــــنا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكــــــنا والدا   ثمَّ أســــــلمنا فلم ننــزع يدا
فانصر هداك الله نصــراً أيدا   وادع عباد الله يأتــــوا مددا
فيهم رسول الله قد تجــردا   إن سيم خسفاً وجهـــه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا   إن قريشاً أخلفوك الموعـــدا
ونقضـــــوا ميثاقك المؤكدا   وجعلوا لي في كداء رصـــدا
وزعموا أن لست أدعوا أحدا   وهـــم أذل وأقــل عــــــددا
هم بيتونا بالوتير هجـــــدا   وقتلونا ركـــعاً ســـــجدا

وفي هذه الأبيات يبرز نقض قريش لعهدها مع رسول الله ع مما بشر بفتح مكة ، حيث قال رسول الله ع :

ــ نُصِرْت يا عمرو بن سالم ....

ثم عرض لرسول الله ع عنان من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصرة بني كعب ، فظهر الخلق الرفيع لرسول الله ع بنصرة الحلفاء ، وكانت بشائر فتح مكة المبين .

وعرف أبو سفيان مغبة ذلك ، فسافر للمدينة ليسترضي رسول الله ع ، ولكن رسول الله ع رفض أي شفاعة من أي من المسلمين في ذلك ، أو أي حديث في هذا الموضوع ([3]) ، وأخفى إعداده

---

[1] ــ رواه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٣٩٣٢ .

[2] ــ الشريف نايف بن هاشم الدعيس ، الرسول ع والشعر ، المدينة المنورة ، مطابع الرشيد ، ١٩٩٢م ، ط١ ، ص ١٤٩ــ١٥٠ .

[3] ــ راجع : محمد فرج ، بدر والفتح قمة المعارك الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٦٢ــ٦٥.

لجيش الفتح وتجهزه للحرب ([1])، وخرج ε بجيشه ، ويضم حوالي عشرة آلاف مقاتل ، وكانت حكمة الرسول ε وأخلاقه الفاضلة قد تجلت في ذلك اليوم ، فلم يأمر بقتل أي نفس ، وكان سمحاً عفواً كريما ، إذ قال لقريش كلها : إذهبوا فأنتم الطلقاء ، فلم ينتقم ولم يقتل ولم يشتت ، ولكنه كان عفواً كريما : من دخل داره فهو آمن ، ومن دخل الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبو سفيان فهو آمن ، وكان شديد العفو والكرم عندما قال : اليوم يوم المرحمة ، فأمر قادة الجيوش ألا يقاتلوا إلا من قاتله([2]) ..

وكانت أخلاق الرسول ε في يوم فتح مكة مثالية ، ولذلك رَغِبَ القوم كلهم في الإسلام ، حتى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وآكلة كبد حمزة رضي الله عنه في أحد وأحد أربعة نسوة أُريق دمهم ، عندما آمنت ، رضي بها الإسلام ، ولم يمنع رسول الله ε إسلامها ، لأن العفو والسماحة من شيم رسول الله ε في الحرب قبل السلم ...

وجَسَّدَ الرسولε في فتح مكة الآداب والأخلاق العظيمة ، فلقد ([3]) :

- ساوى بين الناس...
- وهدم عبادة الشرك والأوثان ...
- وأقام الحوار الخالص بين البشر جميعاً ...
- وهدم الطبقية ...
- وأقام العدل ...
- وبث روح الأخوة السليمة بين الناس والمساواة التامة بين الجميع ...
- وأعلن حقوق الناس كاملة ...
- وأكد على أن الناس من طينة واحدة ....

ونقف هنا مع بعض الأحاديث النبوية الشريفة لرسول الله ε والتي تؤكد الأخلاق الرفيعة للنبي الكريم ε في أثناء فتح مكة : فلقد رويً عن عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ε عَامَ الْفَتْحِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ :

[1] ــ راجع القصة كاملة : فتحي الإبياري ، المحمديات ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، الجزء الرابع، ص ٤٠ وما بعدها .

[2] ــ اتين دينيه وسليمان إبراهيم ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص٢٤١ وما بعدها .

[3] ــ راجع في هذه المعاني : محمد بديع شريف ، المساواة في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ، رقم ١٧ ،١٩٧٧ص ٣٢ وما بعدها .

نيرانُ بَني عَمْرو ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلكَ ، فَرآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّه ε فَأَدْرَكُوهُمْ ، فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّه ε ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاس : احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَت الْقَبَائلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبيِّ ε ، تَمُرُّ كَتيبَةً كَتيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَمَرَّتْ كَتيبَةٌ ، قَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذه؟ ، قَالَ : هَذه غفَارُ ، قَالَ : مَا لِي ولغفَارَ ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ قَالَ مثْلَ ذَلكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مثْلَ ذَلكَ ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ مثْلَ ذَلكَ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتيبَةٌ لَمْ يَرَ مثْلَهَا ، قَالَ : مَنْ هَذه ؟ ، قَالَ هَؤُلاء الأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَة الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَار ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائب فيهِمْ رَسُولُ اللَّه ε وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبيِّ ε مَعَ الزُّبَيْر بْنِ الْعَوَّامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّه ε بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، قَالَ ε : مَا قَالَ ؟ ، قَالَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ ε : كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فيه الْكَعْبَةُ ، قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّه ε أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُون ، قَالَ عُرْوَةُ وَأَخْبَرَني نَافعُ بْنُ جُبَيْر بْنِ مُطْعمٍ قَالَ : سَمعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ للزُّبَيْر بْنِ الْعَوَّام يَا أَبَا عَبْداللَّه هَا هُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّه ε أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ ، قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّه ε يَوْمَئذ خَالدَ بْنَ الْوَليد أَنْ يَدْخُلَ منْ أَعْلَى مَكَّةَ منْ كَدَاء ، وَدَخَلَ النَّبيُّ ε منْ كُدَا ، قُتلَ منْ خَيْل خَالد بْن الْوَليد رضي اللهم عنه يَوْمَئذ رَجُلان حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَر وَكُرْزُ بْنُ جابرٍ الْفهْرِيُّ) ([1]) ، وعَنْ عَبْداللَّه بْن مَسْعُود رضي اللهم عنهم قَالَ : (دَخَلَ النَّبيُّ ε مَكَّةَ وَحَوْلَ الْكَعْبَة ثَلاثُ مائَة وَستُّونَ نُصُبًا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بعُود في يَده وَجَعَلَ يَقُولُ (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطلُ) الآيَةَ) ([2]) ، وعَنْ عَبْد اللَّه بْن رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (وَفَدَتْ وُفُودٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَذَلكَ في رَمَضَانَ فَكَانَ يَصْنَعُ بَعْضُنَا لبَعْضٍ الطَّعَامَ ، كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ممَّا يُكْثرُ أَنْ يَدْعُونَا إِلَى رَحْله ، فَقُلْتُ : أَلا أَصْنَعُ طَعَامًا فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى رَحْلي ، فَأَمَرْتُ بطَعَامٍ يُصْنَعُ ، ثُمَّ لَقيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ منَ الْعَشيِّ فَقُلْتُ : الدَّعْوَةُ عنْدي اللَّيْلَةَ ، فَقَالَ : سَبَقْتَني ، قُلْتُ : نَعَمْ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَلا أُعْلمُكُمْ بحَديثٍ منْ حَديثكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار ، ثُمَّ ذَكَرَ فَتْحَ مَكَّةَ فَقَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ε حَتَّى قَدمَ مَكَّةَ فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ وَبَعَثَ خَالدًا عَلَى الْمُجَنِّبَة الأُخْرَى وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّر ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادي وَرَسُولُ اللَّه ε في كَتيبَة ، قَالَ : فَنَظَرَ فَرَآني ، فَقَالَ : أَبُو هُرَيْرَةَ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ : لا يَأْتيني إِلا أَنْصَاريٌّ زَادَ غَيْرُ شَيْبَانَ ، فَقَالَ : اهْتفْ لي بالأَنْصَار ، قَالَ : فَأَطَافُوا به وَوَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا وَأَتْبَاعًا ، فَقَالُوا : نُقَدِّمُ هَؤُلاء فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ وَإِنْ أُصيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذي سُئلْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ε : تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاش قُرَيْش وَأَتْبَاعهمْ ، ثُمَّ قَالَ : بيَدَيْه إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ : حَتَّى تُوَافُوني بالصَّفَا ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا فَمَا شَاءَ أَحَدٌ منَّا

[1] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٩٤٤، ورواه مسلم ٣٣٣٣ والترمذي ٣٠٦٣ وأحمد ٣٤٠٣ .

[2] ــ رواه البخاري ٢٢٩٨ .

أنْ يَقْتُلَ أحدًا إلا قتَلَهُ ، وَمَا أحدٌ مِنْهُمْ يُوجِّهُ إلَيْنَا شيْئًا ، قَالَ : فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَالَتِ الأنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَجَاءَ الْوَحْيُ وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لا يَخْفَى عَلَيْنَا ، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أحدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ε حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ ، فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ ، قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْتُمْ : أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ ، قَالُوا : قَدْ كَانَ ذَاكَ ، قَالَ : كَلا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إلا الضِّنَّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى دَارِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَغْلَقَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ ، قَالَ : وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ε حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ قَالَ : فَأَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ قَالَ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ε قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ وَيَقُولُ (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلا عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ .... وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى : احْصُدُوهُمْ حَصْدًا ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ قَالُوا : قُلْنَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَا اسْمِي إِذًا كَلا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) ([1]).، فيا للخلق العظيم لرسول الله ε ، وهو يفي بعهده للأنصار رغم عودته لأعز البلاد إلى قلبه ، مكة المكرمة ، فلم يتركهم ، بل عاد معهم ، وطمأنهم بأنه لن يترك المدينة ، ولن يمكث بين أهله بمكة ، وهذا سمو أخلاقي رفيع لرسول الله ε ، لأنه عفا عن هواجسهم وظنونهم ...

فكان رسول الله ε في قمة التواضع عند الفتح المبين ، فتح مكة ، فأجار من أجارته أم هانيء بنت أبي طالب ، وطالب بالرحمة في ذلك اليوم ، حتى أن غزوة كهذه الغزوة الكبيرة لم يقتل فيها إلا أربعة وعشرين من قريش وأربعة نفر من هذيل، ولم يكن أحد في هذه الدنيا متواضعاً كما كان رسول الله متواضعاً يوم فتح مكة ، حين رأى ما أكرمه به ربه من الفتح ([2]) ، ولم لا ؟؟!! فرسول الله ε قدوتنا بأخلاقه العظيمة التي تعلن التواضع وليس العلو والفخر والقتل والتدمير ، عند النصر ، وعدم اليأس عند الهزيمة ...

ثم أن أخلاق النبي تستتبع تنفيذ ما أمره به ربه سبحانه ، وهو الحمد والتسبيح والاستغفار وليس الانتقام والقتل والدماء ، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ : (كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ، قَالَ : إِنَّهُ مِمَّنْ

---

[1] ــ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٣١ وأحمد ١٠٥٢٦ .

[2] ــ محمد سعيد البوطي ، فقه السيرة ، مرجع سابق ، ص ٢٦٥ــ٢٦٧.

قَدْ عَلِمْتُمْ ، قَالَ : فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ ، قَالَ :وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي ، فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا نَدْرِي ، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا ، فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ ؟ ، قُلْتُ : لا ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ ، قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ε أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) قَالَ عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ) (¹)، وعن دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ε يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتُهَا (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فَتْحُ مَكَّةَ (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (²)

فأعطانا رسول الله ε بأخلاقه الحميدة المثل والقدوة بأن تكون حالة المسلمين دائماً عبودية مطلقة لله في السراء والضراء ، في الرخاء والشدة ، عند الضعف والقوة ، وليس من شأن المسلمين إطلاقاً أن يتظاهروا بالذل لله تعالى كلما حاقت بهم مصيبة أو كرب ، حتى إذا انكشف الكرب وزال الضر أسكرتهم الفرحة ، بل أسكرهم الطغيان عن كل شيء ، فالمسلم لابد أن يكون في الحرب رؤوفاً رحيما في قوة وفي عزة من الله سبحانه ، ولابد أن يكون متواضعاً ولابد أن يكون سخياً كريما حليماً ، وأن يكون عفواً رحيماً ، فهذا شأن الانتصار عند المسلمين ، فلا ضغينة ولا قتل ولا انتقام ، إلا في حالة الدفاع عن النفس .. فكانت قمة الأخلاق الحميدة ، لرسول الله ε في الحرب ، قد تمثلت في الفتح المبين : فتح مكة ، لأن هذا الفتح هو الصورة الجوهرية للحرب في الإسلام ، فلقد منَّ الله على رسوله ε بهذا الفتح الكبير رداً على إخراجه من مكة مهاجراً وحرب المشركين له حروباً ضروس ، وقتل المسلمين ومنعهم من العمرة ، ومع ذلك : عفا عنهم وأكرمهم ، فدخلوا في دين الله أفواجا...

وكان من أخلاق النبي ε الرفيعة تنفيذ ما أمره الله بأن الله حَرَّمَ مكة ، فعن سَعِيدُ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو ابْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ : (ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ε الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ : حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ε فِيهَا

[1] ــ رواه البخاري ٣٩٥٦ .

[2] ــ رواه مسلم ٧٤٩ وأحمد ٢٩٦١ .

فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَقِيلَ لأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو ، قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ : لا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلا فَارًّا بِدَمٍ وَلا فَارًّا بِخَرْبَةٍ) ([1])، وهذه من أخلاق النبي ع إقامة شعائر الله في الأرض ، لا يخاف من لومة لائم ، ولا يخاف إلا من الذي خلقه سبحانه ، فالأخلاق الرفيعة تتجسد في ذلك الأمر ، ولذلك أكد الرسول ع على ذلك في خطبة فتح مكة ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ع يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى دَرَجَةِ الْكَعْبَةِ : فَحَمِدَ اللَّهَ سبحانه وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلا إِنَّ قَتِيلَ الْعَمْدِ الْخَطَإِ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا شِبْهِ الْعَمْدِ فِيهِ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ مُغَلَّظَةٌ مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِفَةً فِي بُطُونِهَا أَوْلادُهَا) ([2]) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : مُسَدَّدٌ خَطَبَ يَوْمَ الْفَتْحِ بِمَكَّةَ : فَكَبَّرَ ثَلاثًا ، ثُمَّ قَالَ : (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ ـ إِلَى هَاهُنَا حَفِظْتُهُ عَنْ مُسَدَّدٍ ـ ثُمَّ اتَّفَقَا أَلا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُذْكَرُ وَتُدْعَى مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ ، إِلا مَا كَانَ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلا إِنَّ دِيَةَ الْخَطَإِ شِبْهِ الْعَمْدِ مَا كَانَ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِ أَوْلادِهَا) ([3]) ..

فكان فتح مكة قمة في الإسلام وفي الخلق الرفيع الإسلامي والإنساني لرسول الله ع ، لأنه كان الفاصل بين الحق والباطل ، وكان الفتح الذي أعز به الله الإسلام والمسلمين ...

١٥ــ أخلاقيات النبي في غزوة حنين :

وبعد فتح مكة ، وفي شوال سنة ثمان هجرية ، تجمعت هوزان وثقيف من أهل الطائف ، وقد حزنوا لنصر الإسلام والمسلمين ، فخرج إليهم الرسول ع ومعه إثني عشر ألفا من المسلمين ، منهم عشرة آلاف من أهل المدينة وألفين من أهل مكة ، وكان هوزان وثقيف قد كمنوا في وادي حنين بين مكة والطائف ومعهم أولادهم وزوجاتهم وأموالهم ، حتى يدافعوا عنها ، فلما وصل المسلمون إلى وادي حنين ، فهجمت عليهم جنود ثقيف وهوزان فانكشف المسلمون وتقهقر الجنود راجعين ، ولكن الرسول ثبت وصاح : أنا النبي لا كذب ، فعاد المسلمون لساحة القتال وقد حققوا نصراً كبيراً في حنين ، فلقد سأل رَجُلٌ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِي اللَّه عَنْه : أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ ، قَالَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع لَمْ يَفِرَّ ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً ، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا ، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ع فَلَمْ يَفِرَّ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى

---

[1] ــ رواه البخاري ١٠١ ورواه مسلم ٢٤١٣ ، ورواه بصيغ مختلفة أحمد ١٥٧٧٨ والنسائي ٢٨٢٧ .

[2] ــ رواه النسائي ٤٧١٧ ورواه أحمد ١٤٨٤٣ وابن ماجه ٢٦١٨ .

[3] ــ رواه أبو داود ٣٩٤١وأحمد ٤٣٥٥..

بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ ε يَقُولُ :أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ ..أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ) (١)...

وفي رواية أخرى عن عيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ زَكَرِيَّاءَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ : أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ ، فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ε مَا وَلَّى ، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ ، فَانْكَشَفُوا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ε وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ ، قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ ـ يَعْنِي النَّبِيَّ ε) (٢) ، وعن دَاوُدُ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ نَافِعٍ أَبِي غَالِبٍ قَالَ : كُنْتُ فِي سِكَّةِ الْمِرْبَدِ ، فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ مَعَهَا نَاسٌ كَثِيرٌ ، قَالُوا : جَنَازَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَتَبِعْتُهَا ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ كِسَاءٌ رَقِيقٌ عَلَى بُرَيْذِينَتِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ خِرْقَةٌ تَقِيهِ مِنَ الشَّمْسِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الدِّهْقَانُ ؟ ، قَالُوا : هَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، فَلَمَّا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ قَامَ أَنَسٌ فَصَلَّى عَلَيْهَا وَأَنَا خَلْفَهُ ، لا يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ، فَقَامَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ لَمْ يُطِلْ وَلَمْ يُسْرِعْ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقْعُدُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا حَمْزَةَ الْمَرْأَةُ الأَنْصَارِيَّةُ ، فَقَرَّبُوهَا وَعَلَيْهَا نَعْشٌ أَخْضَرُ ، فَقَامَ عِنْدَ عَجِيزَتِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا نَحْوَ صَلاتِهِ عَلَى الرَّجُلِ ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ الْعَلاءُ بْنُ زِيَادٍ يَا أَبَا حَمْزَةَ ، هَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ ε يُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ كَصَلاتِكَ يُكَبِّرُ عَلَيْهَا أَرْبَعًا وَيَقُومُ عِنْدَ رَأْسِ الرَّجُلِ وَعَجِيزَةِ الْمَرْأَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ εقَالَ : نَعَمْ غَزَوْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا ، فَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَتَّى رَأَيْنَا خَيْلَنَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيْنَا فَيَدُقُّنَا وَيَحْطِمُنَا ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَجَعَلَ يُجَاءُ بِهِمْ فَيُبَايِعُونَهُ عَلَى الإِسْلامِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ε : إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا إِنْ جَاءَ اللَّهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مُنْذُ الْيَوْمَ يَحْطِمُنَا لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ε ، وَجِيءَ بِالرَّجُلِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ε ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبْتُ إِلَى اللَّهِ ، فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ε : لا يُبَايِعُهُ لِيَفِيَ الآخَرُ بِنَذْرِهِ ، قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّى لِرَسُولِ اللَّهِ ε لِيَأْمُرَهُ بِقَتْلِهِ ، وَجَعَلَ يَهَابُ رَسُولَ اللَّهِ ε أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ε : أَنَّهُ لا يَصْنَعُ شَيْئًا بَايَعَهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَذْرِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أُمْسِكْ عَنْهُ مُنْذُ الْيَوْمَ إِلا لِتُوفِيَ بِنَذْرِكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا أَوْمَضْتَ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ε : إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِضَ ، فروي قَوْلُ النَّبِيِّ ε : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ نُسِخَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ فِي قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ إِنِّي قَدْ

---

[1] ـ رواه البخاري ٢٦٥٢، ورواه مسلم ٣٣٢٧ وأحمد ١٧٧٤٥ والترمذي ١٦١١ .

[2] ـ رواه مسلم ٣٣٢٦ .

تُبْتُ) (1) ، فيا لعظمة أخلاق النبي وشفقته يوم حنين على كل من يسلم ، فهذه الرحمة والشفقة من أخلاق النبي العظيم ع .

وعن كَثِيرُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ : قَالَ عَبَّاسٌ : (شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ع فَلَمْ نُفَارِقْهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ع عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ع يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ ، قَالَ عَبَّاسٌ : وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ع أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ع ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ ، فَقَالَ عَبَّاسٌ : وَكَانَ رَجُلا صَيِّتًا ، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلادِهَا ، فَقَالُوا : يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ ، قَالَ : فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، قَالَ : ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَقَالُوا : يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ع وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ ، قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ع حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا، وفي رواية قَالَ فَرْوَةُ بْنُ نُعَامَةَ الْجُذَامِيُّ : انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ : حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ قَالَ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ع يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ)(2) ..

وعن مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ : (فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، قَالُوا : فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ع فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ ، فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ع لَهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : إِنَّا لا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ ،

---

1 ـــ رواه أبوداود ٢٧٧٩ .

2 ـــ رواه مسلم ٣٣٢٤ ورواه أحمد ١٦٧٩ . .

فَرَجَعَ النَّاسُ ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ع فَأَخْبَرُوهُ : أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا) (١)...

وكانت أخلاق النبي ع في هذه الغزوة أخلاقاً رفيعة ، تمس الجوهر الإنساني ، ولن لا ..؟؟!! ، فالإسلام دين الإنسانية جمعاء ، وهو يُعظم المباديء الإنسانية ، فها هو رسول الله ع واثق من نفسه ومن قيادته ومن نصر الله له ، فيصيح في جموع الفارين المنهزمين :

ـ أنا النبي لا كذب ...

فيعود المسلمين محققين نصراً كبيراً ...

وها هو ذا ع يمر بإمرأة مقتولة ، فينزعج ويقول :

ـ ما هذا؟ ...

قالوا : إنها إمرأة قتلها خالد وكانت تحاربه ...

فيقول لبعض من حوله :

ـ إدرك خالداً فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو إمرأة أو عسيفا...

فيا نُبل أخلاقك يا رسول الله ، تؤكد على الأسس الرسخة الإنسانية في الحرب ، حتى لو كانت المرأة تقاتل ضد المسلمين ، إنه توكيد حيوي على المباديء الإسلامية الرفيعة ، ويا نبل أخلاقك يانبي الله في الحرب ، عندما أعدت أموال وسبي ثقيف وهوزان إليهم لأنهم سيأتون مسلمين أفواجاً ، ويا عظمة أخلاقك يارسول الرحمة والإنسانية عندما طلب منه بعض المسلمين أن يدعوا على ثقيف ، فقال ع : اللهم اهدهم وأت بهم!! ...

فياعظمة تلك الأخلاق الحميدة ضد العدو في الحرب .... فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ع فَقَالَ : (إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : هَلَكُوا ، فَقَالَ ع : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ ... اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ) (٢) ، فهو ع رفض الدعوة على ثقيف كما رفض الدعاء على دوس ، وقد هدى الله ثقيفاً بعد ذلك بقليل ، فقد جاء وفدهم إلى رسول الله ع بالمدينة لإعلان إسلامهم .

كما تجلت أخلاق النبي في تلك المعارك بالصبر والشجاعة والإقدام وعدم الخوف واصطحاب النساء للجهاد ، فلقد رأي رسول الله ع أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة ، فعرفها وقال : أم سليم ، فقالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله .. أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين

---

[1] ـ رواه البخاري ورواه أحمد ..

[2] ـ رواه أحمد ٧٠١٤ واللفظ له ، ورواه البخاري ومسلم .

يقاتلونك ؟ ، وكان معها خنجر ، فسألها زوجها : ما هذا الخنجر الذي معك يا أم سليم ؟ ، قالت : خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به ([1]) .

فيا عظمة أخلاق النبي في غزوة حنين ، وفي ما قبلها وما بعدها من الغزوات ، إنسانية متدفقة ، وشجاعة نادرة ، وصبر شديد ، وإيمان تام بأن الله سينصره ، ودعوة إلى الحرب النظيفة ، ما دامت الحرب فرضت علينا ، والاتجاه للصلح إن كان هناك اتجاه له عند الأعداء ، وسماحة ويسر وعفو عند المقدرة ، وعدالة ومساواة ، وعدم التعرض للنساء ولا للأطفال ولا للشيوخ ، وعدم التدمير في الحرب بقطع الأشجار والثمار وعدم التعرض للدواب ، وعدم التعرض لغير المحاربين ، وعدم ترويع المدنيين ، ورد الغنائم على أصحابها إذا ما وجد فيهم خيراً دون أن يسلموا ، فلا إكراه على الإسلام ، ورد الأمانات إلى أصحابها ....

فلقد حدث أن رسول الله قد استلف دروعاً وأسلحة من صفوان بن أمية ، وكان يومئذ مشرك ، فطلب منه الرسول ع تلك الدروع والأسلحة ، فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ ، فقال النبي ع بابتسامة وبدون غضب : بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك ، فأعطاه مائة منها بما فيها من السلاح ([2]) ، فأي أمانة في الحروب بعد ذلك ، وكان من الممكن أن يأخذها عنوة ، لأن البلد في ظروف حرب ، ولكنها أمانه ، فأسلم صفوان بعد ذلك لأن الأمانة عادت إليه ...

فيا عظمة أخلاقك يا رسول الله ع عندما قضيت على الوساوس التي اجتاحت الأنصار عقب توزيع الغنائم ، فلقد وسوس لهم الشيطان أن رسول الله ع قد فضل عليهم قومه ، ولكنه جمعهم بمفردهم وألقى عليهم جواباً على هذه الوساوس ليفيض بمعاني الرقة والذوق الرفيع ومشاعر المحبة الشديدة للأنصار ، وهو يفيض في الوقت ذاته بدلائل التألم من أن يُتّهَم من قبل أحَبُ الناس إليه بنسيانهم والإعراض عنهم ، فأحبوه أكثر واختاروا جواره بعيداً عن الغنائم والمال وكنوز الدنيا ، فبادلوه حباً بحب .

وهكذا ، كانت المحبة هي نتائج حروب المسلمين بقيادة رسول الله ع مع أعدائهم ، فهم كانوا يدافعون عن الإسلام وعن رسول الإسلام ، ورسول الله ع كانت أخلاقه فياضة بالخير والحب والكرم والعدل والعفو والمساواة والإقدام والشجاعة والعطف والعطاء والصبر والمثابرة والثبات ورباطة الجأش والعلو والاستغفار والدعاء والشورى والرقة والذوق الرفيع والحنان والأمانة والصدق والمحبة بين جميع المسلمين ، فهم على قلب رجل واحد ...

إنها الأخلاق الرفيعة العالية لسيد الخلق أجمعين ع في الحرب ، كما هي في السلم ، ولم لا ؟؟!! ، ألم يقل ربه عنه إنه رؤوف رحيم : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

[1] ـ محمد سعيد البوطي ، فقه السيرة ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .
[2] ـ رواه ابن اسحاق بسند صحيح .

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (1) ، وألم يقل ربه عنه : أنه على خُلق عظيم : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (2) ، وكان الرسول ε يتميز بالرحمة ويأمر المسلمين بالرحمة ، كما قال الله رب العزة : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (3) ، نعم إن رسول الله ε الرحمة المهداة من الله رب العالمين إلى الناس أجمعين ، قال تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (4) ، وقال سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (5) ، وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (6) ، وقال الله سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (7) ...

والجوانب الأخلاقية والآداب الإنسانية كثيرة ومتعددة في باقي غزوات الرسول ε ، وخصوصاً في فتح الطائف وغزوة تبوك ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ، الذي يؤكد أن أخلاق النبي ε في الحروب سامية وآدابه أثنائها إنسانية نبيلة ، وخُلقه عالي ، وسلوكه سلوك ملائكي طيب ينبض بالحياة الإنسانية الجميلة ، التي كرم بها الله الإنسان أحسن تكريم ..

1 ــ سورة التوبة:الآية١٢٨ .
2 ــ سورة القلم:الآية ٤ .
3 ــ سورة الفتح: من الآية٢٩ .
4 ــ سورة الاسراء:الآية ١٠٥ .
5 ــ سورة الانبياء:الآية ١٠٧ .
6 ــ سورة الفرقان:الآية ٥٦ .
7 ــ سورة سبأ:الآية ٢٨ .

الفصل الرابع
جوانب من الأخلاقيات والآداب
النبوية الشريفة في زمن الحروب

زمن النبي ε كان زمن كله حرب ، لأنه دفاع عن الدين الوليد والدعوة الجديدة الناشئة ، فكانت أخلاقيات النبي ε كلها أخلاقيات زمن الحرب في المجتمع المدني ، ومع ذلك ، فيحق لنا أن نتساءل ونتحاور :

ــ فهل عاش النبي ε حياته كلها طواريء ؟ ..

ــ وهل كمم الأفواه في زمن الحروب ؟ ..

ــ وكل ألغى المعارضة في هذا الوقت الحرج من حياة الأمة الإسلامية منذ هجرته ε حتى وفاته وانتقاله للرفيق الأعلى ε ؟ ...

ــ وهل مارس النبي العظيم ε الديكتاتورية والشمولية تحت شعار : لا صوت يعلو على صوت المعركة ؟ ...

ــ وهل ..؟ ... وهل ...؟؟ ...

كل ذلك سنبحثه في هذا الفصل .. لأن أخلاق النبي الكريم محمد ε في هذا الزمن وفي هذه المرحلة لا تنفصل عن أخلاق الحرب ، لأنه يبني دولة إسلامية ناشئة : فعلى أي خلق بناها ؟ ... وعلى أي أساس أنشأها ؟ ...

١ ــ خُلق الحق يكمل الحرب والجهاد :

قال النبي ε في تأكيده على أن الجهاد المدني لا يقل بأي حال من الأحوال عن الجهاد في المعارك الحربية ، بل فضل الرسول ε الجهاد المدني على الجهاد العسكري ، للتأكيد أن حالة السلم

هي الأصل في المفهوم الإسلامي ، وأن الحروب ضرورة تقتضيها حالة الدفاع عن النفس أو الوطن أو العقيدة ، فلقد قال ع:(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) ([1]).

ــ سأل رجل قد وضع رجله في الغرز رسول الله ع : أي الجهاد أفضل؟ ، فقال رسول الله ع : (كلمة حق عند سلطان جائر)([2]) ، وفي هذا الحديث تأكيد عام على أهمية إبداء الرأي ولو أمام الحاكم ولو كان ظالماً أو جائراً ، ويعدل ذلك بأعظم شيء في الإسلام وهو الجهاد ، مما يؤكد رفعة الإسلام لمنزلة حرية الكلمة وحرية الرأي في كل كبيرة وصغيرة تقع أمامه .

ــ وعن أبي موسي رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله أي المســلمين أفضل ؟ ، قال ع : (من سلم المسلمون من لسانه ويده)([3]) .

ــ وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ع قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع : (إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد)([4]) .

٢ ــ الحرية والمعارضة لها ضرورة قصوى في الحرب وفي السلم:

الحرية بجميع أنواعها كانت ومازالت قاعدة أصيلة من قواعد نظام الحكم في الإسلام ، سواء أكانت حرية فردية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية ، ومادامت هذه القاعدة أصلاً من أصول الإسلام فإن المعارضة نتيجة طبيعية لها ·

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تطبيقاً لقول الحق : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)([5]) ، تعني أن الحاكم مُراقب من كل فرد من أفراد الأمة يُحاسبه على الزلة والهفوة وينبهه إلى الخطأ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلمين ، ولكنه فرض كفايه ، إذا فعله البعض سقط عن الباقين .

كما أن المعارضة في حياة الرسول ع ، كما هو مدون في سيرته الطاهرة ، حافلة بكثير من مواقف المعارضة ، فلقد روي عن سلمان بن ربيعه قال : قال عمر رضي الله عنه : قسم النبي قسماً ، فقلت : يا رسول الله والله لغير هؤلاء أحق به منهم ، فقال : (إنهم خيروني بين أن يسألوني

[1] ــ رواه أبو داود ٤٣٤٤والترمذي ٢١٧٥ وابن ماجه ٤٠١١ وأحمد في مسنده ج٥/٢٥١ .
[2] ــ رواه النسائي بإسناد صحيح (ج٧/١٦١)وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (ج٣/١٦٨)
[3] ــ متفق عليه وأخرجه البخاري ج١ص٥١ــ٥٢ ،ومسلم حديث رقم ٤٢ .
[4] ــ متفق عليه وأخرجه البخاري ج١/ص١٤٥ــ١٤٦ ومسلم ١٦٧٩ .
[5] ــ الآية ١١٠ سورة آل عمران.

بالفحش وبين أن يُبَخلوني ولست بباخل)([1]) ، ويدل على أهمية بحث رأي المعارضة ، وأن المعارضة لها دور في المجتمع الإسلامي ، وموافقة النبي ε لرأي عمر ٠

ومن المعارضة الشديدة ما ظهر بعد صُلح الحديبية ، فهو موقف معارضة واضح في أمر سياسي مُهم ، لأن من خلاله توقفت الحرب بين الرسول ε وبين قريش عشر سنين ، كما ظهرت المعارضة كذلك عقب وفاة النبي ε ، وذلك في اجتماع السقيفة في بني ساعده بالمدينة بين الأنصار والمهاجرين ٠

وهناك مواقف عديدة للمعارضة منها معارضة عمر لأبي بكر ، ومعارضة المرأة لعمر في تحديد المهور ومعارضة طلحة والزبير لعمر وغيرها من المواقف الإسلامية التي تُثبت أن مساحة الحرية السياسية في الإسلام واسعة جداً ، وكانت المعارضة ركناً أساسياً وهاماً من أركان النظام السياسي في الإسلام([2]) ٠

والإسلام أعطي المسلم حرية واسعة ، لأنها مبدأ من مبادئ الإسلام وقيمة من قيمه العظيمة ، وعندما نقرأ قول الحق : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)([3]) ، ويجب أن نعرف على أن الكرامة هي الحرية في المنظور الإسلامي ، فما يوجد شيء أعظم من الحرية ، ذلك أن الحرية روح الحياة وجوهرها وأن حياة بلا حرية تصبح تافهة الشكل والمظهر ورَثّة بلا مضمون، كما أن الإسلام لا يُكلف الإنسان بأحكامه إلا لمن لديه حرية الإرادة وحرية الاختيار ، لقوله عز وجل : (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ)([4]) ...

ولكن الحرية ، وفق المنهج الإسلامي ، ليست مطلقة ولكنها مقيدة بضوابط اجتماعية وإنسانية ، لأن حريـــة الشخص تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين ، لأن كل إنسان يحتل في النظام الإسلامي مكانة رفيعة ، فحرية الإنسان في الإسلام مقيدة بنوعين فقط من القيود :

ــ الأول : لضبط سلوكه حتى لا تنحط ذاته إلى الدُونية التي لا تليق به ، فيفقد كرامته ويفقد تفضيله على الكثير مما خلق الله ..

ــ الثاني : لضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمع الواحد ، ولضبط علاقة الإنسان بالمجتمع والمجتمع بالإنسان والمجتمعات البشرية بعضها ببعض ...

---

[1] ــ رواه مسلم في صحيحه .

[2] ــ راجع : ظافر القاسمي ،نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي مرجع سابق، ص١٠١ ــ ١٠٦ ٠

[3] ــ سورة الإسراء الآية ٧٠ .

[4] ــ الآية ١٥٢ سورة آل عمران .

لأن الحرية إذا منحت للإنسان بغير هذا الضوابط فلابد أن تضيع الحقوق وتعمّ الفوضى وينتشر الظلم والفساد ([1]) .

ولعل من أهم الحريات التي تُظهر ارتباط الحرية بالعدالة في الفكر والفقه الإسلامي هي : حرية القاضي واستقلاله ، وهي من الحريات التي نالتها السلطة القضائية أخيراً من خلال استقلال السلطات ، فالقاضي له كامل الحرية في قضائه في الحياة الإسلامية ، وأن يقضي بما يؤدي إليه اجتهاده ولو كان على خلاف مذهبه ، وليس لأي قاضي أي سُلطان على أي قاضي آخر ، لأن القاضي مهمته الأساسية هي : نشر العدل ورفع الظلم ، فلابد من حرية كاملة تامة له ، وهذا نموذج آخر من الحريات التي كفلها الإسلام ([2])

ولقد قال الشاعر العربي أبو تمام في الحرية([3]) :

سأصرف وجهي من بلاد غدا بها — لساني معقوداً وقلبي مقفلا

وإن صريح الحزم والرأي لامرىء — إذا بلغته الشمس أن يتحولا

ومن أمثلة الحرية : حرية التنقل : ويقصد به حق الشخص في التنقل داخل بلاده أو الخروج منها والعودة إليها دون ثمة قيد إلا المصلحة العامة ، ودعا الإسلام للتنقل لكافة الأغراض السياحية واكتساب الرزق وطلب العلم ، كما أن تقييد السفر يكون عقوبة على ما يقوم به الفرد من فساد في الأرض ليكون جزاؤه تحديد إقامته ومحاصرة آرائه حتى لا ينشر فساده في الإنسانية على الأرض ، فيتأثر به من هو سهل أن يتأثر ، فيعم الفساد من الرأي الفاسد .

ولكن من حق كل فرد أن تكون له حرية الحركة والتنقل من مكان إقامته وإليه ، وله حق الرحلة والهجرة من موطنه والعودة إليه دون ما تضييق عليه أو تعويق له ، قال تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)([4]) ، وقال الله سبحانه وتعالى : (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)([5]) ، وقال الله سبحانه : (قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا) ([6])، كما لا يجوز في الوقت ذاته إجبار شخص على ترك موطنه

---

[1] ـ راجع : سعدي أبو حبيب ،دراسة في منهاج الإسلام السياسي ،مرجع سابق، ص ص ٦٨٣ـ٦٨٧ .

[2] ـ راجع : د. فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

[3] ـ راجع : السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، بيروت ، منشورات المعارف ، بدون تاريخ ، ص ٤٥٥ .

[4] ـ الآية ١٥ سورة الملك .

[5] ـ الآية ١١ سورة الأنعام .

[6] ـ الآية٩٧ سورة النساء .

ولا إبعاده عنه تعسفاً أو دون سبب شرعي ، قال سبحانه : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ)([1]) .

وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ــ بعد أربعة عشر قرنا من تأكيد الإسلام على حرية السفر والتنقل ــ جاء النص الإنساني على أنه يحق للأشخاص التنقل من مكان لآخر والإقامة في مكان ما فحرية السفر والتنقل في الإسلام حرية واسعة وشاملة وتامة حتى للمستضعفين في الأرض ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) ([2]).

وهناك حق الأمن للفرد الذي يساعد في حريته الكاملة : ويقصد بحق الأمن حماية الإنسان في نفسه وماله وعرضه وإضفاء الأمن عليه ومنع الاعتداء عليه وكذلك عدم التحقير من شأنه أو تعذيبه واضطهاده سواء أكان ذلك من أفراد المجتمع أو الدولة ، وبحيث لا يتم ذلك إلا بحكم قضائي ، فحرَّمت الشريعة الإسلامية الاعتداء على أي شخص أخر إلا إذا كان ظالماً ، قال الله سبحانه وتعالى : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)([3])، ويقول الله سبحانه :(... فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)([4]) ، وقول الرسول ε : (كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله)([5]) ، وكذا بقية الحريات كلها مكفولة في هذا الحديث الشريف ٠

وهناك حرية الاعتقاد وهو أسمى الحريات الإسلامية : وهناك في الإسلام حرية كاملة للاعتقاد ، فلقد نادى الإسلام بحرية الاعتقاد في وقت كانت البشرية ترزخ تحت عبودية التقليد في العقيدة والإيمان ...

وكانت الأمم لا تتصور أن حرية الاعتقاد موجودة ، لكن الإسلام أعلن هذا المبدأ صراحة ، قال الله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا)([6]) ، وقال الله سبحانه: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ

---

[1] ــ الآية ٢١٧ سورة البقرة .
[2] ــ الآيةَ ٩٧ سورة النساء .
[3] ــ الآية ١٩٠ سورة البقرة .
[4] ــ الآية ١٩٣ سورة البقرة ٠
[5] ــ رواه ابن ماجه عن أبي هريرة .
[6] ــ الآية ٢٩ سورة الكهف.

استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1] ، وقال عز وجل : (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)[2]

وقال عز وجل : " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[3] ، وقال الله تعالي : " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ "[4] .

ولنقف مواقف من حق الحرية في عهد الرسول ε والتي تبين بجلاء سمو أخلاقه الإنسانية :

فالذين آمنوا بسيدنا محمد ε واتبعوا رسالته أو عاشوا معه في الدولة التي أسسها شعروا أنهم يعيشون في كنف رسالة يحملها رجل عظيم متفان في تطبيق التسامح و المساواة والديمقراطية ، وشعر بكل ذلك من كان تحت إمرته من البشر ، وإذا تأملنا فيما كان لرسول الله ε في قلوب أتباعه من حُبٍ عميق ومكانة سامية وإجلال غير محدود ، لرأينا في الجانب الآخر :

ــ كيف كان يفرق بين مكانته الشخصية ومكانته النبوية الشريفة في معاملاته لهم وتصرفاته وسلوكه معهم؟ ...

ــ وكيف كان يخولهم الحرية التامة في الرأي والتفكير ، بل ويحفزهم على الاختلاف معه في آرائه الصادرة عن مكانته الشخصية ، مع العلم أنهم جميعاً يطيعونه طاعة غير محدودة على كل جوانبه النبوية؟ ..

ــ وهو عندما يعمل شيئاً من الناحية الشخصية يطلب منهم التفكير الحر والاستقلال العقلي وينفخ هذه الروح في نفوس أتباعه ، فيروضهم على أقوم وأسمى المبادئ الديمقراطية ومباديء الحرية الإنسانية الكاملة ، ويعلمهم أبعاد مزاولة الحرية الفكرية تجاه كل إنسان حتى تجاه الرسول ε شخصياً ، فتراه دائماً يقول ε لأصحابه : إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر[5].

وبالإضافة إلى ما سبق الاستشهاد به ، فلنقف ــ في عجالة ــ أمام بعض نماذج ممارسة الحرية في عهد النبي ε وصحابته :

---

[1] ــ الآية ٢٥٦ سورة البقرة .

[2] ــ الآية ٩٩ سورة يونس .

[3] ــ الآية ١٢٥ سورة النحل .

[4] ــ الايه ٢٤ سورة الحجر .

[5] ــ راجع : أبو الأعلى المودودي ، مفاهيم إسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٩٧ ــ ٩٨ .

* وثيقة المدينة المنورة التي كتبها الرسول ε عقب هجرته للمدينة وتأسيس الدولة الإسلامية بها ، والتي أعطت للمسلمين من المهاجرين والأنصار واليهود القاطنين بالمدينة الحقوق والواجبات ومن أهمها :

* حرية الاعتقاد لليهود كما جاء في البند ٢٥ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ..

* كما نصت المادة ٤٧ من هذه الوثيقة على مبدأ الحرية الشخصية (إن من خرج فهــو آمــن ومن قعد فهو آمن بالمدينة) ، لأن الحرية الشخصية في جوهرها هي : حق الأمن أي حق الفــرد في أن يكون آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى ، كما أن له الحرية في أن يروح ويغدو (1)٠

ـ لا يفتن أحد عن دينه : في جميع الكتب التي وجهها الرسول ε إلى القبائل التي أســلمت أو التي عاهدها عبارة واحدة تتردد فيها جميعاً وهي (من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُفــتن عنها وعليه الجزية)(2) ومعنى لا يفتن أي أنه لا يُحمل بالإكراه على الخروج من دينه ، وهذا قمــة الحرية السياسية في عهد النبي ε ٠

ولنقف أيضاً أمام حق الحرية في فكر الخلفاء الراشدين لأنهم مُكملين لسنة النبي ε

فإذا بلغنا عهد الخلفاء الراشدين خاصة ، وهم يعملون بسنة النبي ε ، وجدنا الحريات العامــة بأوسع معانيها بين جميع الطبقات ، وبين الصحابة خاصة وفي جميع الشؤون ...

ولنكتفي بمثال واحد من ذلك : أن أبا بكر رضي الله عنه سوى بين الناس في العطاء يوم تولى الخلافة ، فآتاه عمر يقول له : أتســوي بين من هاجر الهجرتين وصلى القبلتين ومن أســلم عــام الفتح (أي فتح مكة) ، أهو خوف السيف ؟ ، فقال له أبو بكر : إنما عملوا لله وأجورهم علــى الله وإنما الدنيا دار بلاغ ، فقال عمر : لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ، فلما تــولى عمــر الخلافة وضع الديوان وأعطى الفضل للسابقين ثم لمن يلونهم .. وهكذا ٠

1 ـ محمد سليم العوا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥، وأيضاً : راجع : فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ٩٧ـ٩٨ ٠

2 ـ رواه الطبري .

٣ ــ خُلق العدل من أهم أخلاق النبي ع وأساس راسخ للإسلام الحنيف :

العدل هو إقامة الحق ، وهو من القيم الإسلامية العالمية التي تُشيع الطمأنينة في النفوس وتنشر الأمن بين العباد وتُقوي علاقات الأفراد بينهم وبين بعض كما أنها تقوي الثقة بين المحكوم والحاكم ، وفي ظل العدل يزيد الرخاء وتُنمى الثروة ، فلا نتعرض لخلخلة أو اضطراب ، وبه يستقر نظام الحكم لأن المحكوم يمضي إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة الدولة ، وهذه هي وظيفة الأنبياء وأتباعهم ...

لهذا نَهَى الإسلام الحاكم عن أن يقبل هدية ،كذلك الموظف العام الذي يشغل منصباً قياديا، وكذلك القاضي لا يقبلها من أحد لأنه ربما يقف يوما أمامه في قضية فلا يحكم بالحق ويميل إلى الهوى، ومن في هذا المستوى في أي وظيفة في الدولة ، لهذا قال النبي ع ليؤكد هذا العدل : " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول " (١) ، ولقد قال الحق سبحانه وتعالى في ذلك : " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " (٢)

والعدل في المفهوم الإسلامي واجب على الصديق وعلى العدو ، فعندما استشهد عمَ النبي ع حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحد ومثّلَ المشركون بجثته أقسم النبي ع أن يُمثل بسبعين جثة منهم ، فأنزل الله تعالى " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " (٣) وهذا خير مثال للعدل في الإسلام ، حتى مع الأعداء لنا ، وفي أثناء الحرب والقتال والصراع مع الأعداء ، فما بالنا بالعدل مع أخوة الإسلام ؟ .

وعدالة الإسلام إذ تبطل العصبية للعرق وتقضي على تفضيل الطبقات أوبغي فئة بوجه عام على غيرها، ولا تجيز لمعتنقي الإسلام أن يتسلطوا على غيرهم من أتباع سائر الأديان أو الملل الأخرى ، فإن القرآن الكريم قد خاطب رسول الله ع نفسه بما هو حجة ماضية إلى يوم الدين ، فقال سبحانه : (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ . إِلا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) (٤) ،

---

[1] ــ رواه أبو داود .
[2] ــ سورة آل عمران الآية ١٦١ .
[3] ــ الآيات ١٢٦ ،١٢٧ سورة النحل .
[4] ــ الآيات ٢١ــ٢٤ الغاشية٩٩ .

وأيضاً : (.. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) (١) ، وقوله سبحانه :(مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) (٢)

فالعدل يؤدي إلى التحرير الوجداني البشري المطلق : والتحرر الوجداني يكون بالإيمان ، الذي حرر الوجدان البشري تحريراً مطلقاً وكاملاً بعدما كفل في الوقت ذاته حاجات الجسد وضرورات الحياة بحكم الأوضاع وبحكم الضمير وبحكم القانون سواء ، ولقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله ومن الخضوع لأحد غير الله ، فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يميته أو يحييه في الأرض ولا في السماء ، وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع ، والله وحده هو الذي يستطيع والكل سواه عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً ، فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله ، وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله ، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق أو الخوف على المكانة ، لأن هذا شعور خبيث يغض من إحساس الفرد بنفسه ، وقد يدعوه إلى قبول الذل وإلى التنازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه ، ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن يحقق للناس العزة والكرامة وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظة على العدل ، وأن يضمن بذلك كله ، علاوة على التشريع ، عدالة اجتماعية مطلقة ، لا يفرط فيها إنسان ، لهذا كله يعني عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة ، فالحياة بيد الله وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة .

ولذلك ، يحارب الإسلام القيم المادية الطاغية والعادات السيئة حتى يحصل المسلم على حقه في الحرية والعدالة الكاملة ، ويأخذ الإسلام الأمر من وجوهه كلها ومن مناحيه جميعاً ، فينبه على تحرير الوجدان تحريراً مطلقاً لا يقوم على المعنويات فحسب ولا على الاقتصاديات وحدها ، ولكن يقوم عليهما جميعاً لقول الله تعالى " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " (٣) ..

فعلى الإنسان أن يعرف للحياة واقعها وللنفس طاقتها ويستثير في الطبيعة غاية أشواقها وأعلى طاقاتها ، ويدفع بها إلى التحرر الوجداني كاملاً صريحاً ، فبغير التحرر الكامل لن تقوى على مقاومة عوامل الضعف والخضوع والعبودية ، ولن تطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ولن تصبر على تكاليف العدالة حين تمنحها .

---

[1] ــ الآية ٤٥ سورة ق .

[2] ــ الآية ٩٩ سورة المائدة .

[3] ــ الآية ٧٧ سورة القصص .

ونجد أن دولة الإسلام تلتزم بتحقيق العدالة بأوسع معانيها وفي شتى المجالات السياسية والإدارية والقضائية والاجتماعية والدولية ، ويتضمن ذلك حماية الحقوق والحريات العامة والمساواة وممارسة الحكم على الشورى بمعانيها السياسية والفنية :

ــ ففي المجال الاقتصادي تستهدف الدولة الإسلامية في سياستها الاقتصادية تحقيق عمارة الأرض وتحقيق سُبل العيش الكريم لرعاياها مع تحقيق تكافؤ الفرص والعدالة في توزيع ثروات الدولة وخدماتها ، استرشاداً بقوله تعالى : " ..كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ .."[1] ، فالملكية الشرعية مقررة ومصونة في الإسلام ...

ــ ونجد عدالة الإسلام شاملة وتحكم تعاملها مع المسلمين وغير المسلمين في داخل الدولة وخارجها ، وفي العالم كله ، لأنها عدالة كاملة ومطلقة وواسعة ، وإلى هذا أشار الحق سبحانه في قوله: " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "[2] ، فالإسلام لم يستعمل القوة ضد أتباع الأديان السابقة للإسلام وإنما استعمل القوة لصَدّ العدوان ولو صدرت من المسلمين على المسلمين أنفسهم .

ــ كما روي عنه ε " ألا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلا يُرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا "[3] ...

وقد ذكر الفقهاء : (أن أهل الذمة إذا تشاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولم يكفوا عنه ، وإذا تنازعوا في حق وترافعوا فيه إلى حاكمهم لم يمنعوا منه ، فإذا ترافعوا فيه إلى حاكمنا حكم بينهم بما يوجبه دين الإسلام ، وتقام عليهم الحدود إذا آتوها ، ومن نقض منهم عهده أبلغ مأمنه ثم يكون حربياً ، ولأهل العهد والذمة إذا ما دخلوا دار الإسلام فلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم)[4] .

ــ ولقد قررت أول وثيقة سياسية في الإسلام ، والتي تم إعلانها عقب هجرة الرسول ε إلى يثرب ، وإنشاء أول دولة إسلامية بها ، وهي وثيقة تسمى وثيقة المدينة ، والتي كتبها النبي محمد ε بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، وجاء بهذه الوثيقة تعطي عدالة واسعة كاملة و حقوقاً كثيرة متعددة للبشر كافة ومنها مبدأ عدم جواز إقرار

---

[1] ــ الآية ٧ سورة الحشر.

[2] ــ الآية ٨ الممتحنة .

[3] ــ رواه الترمذي ١٣٢٣ ، ورواه بصيغة أخرى ابن ماجه ٢٦٧٧ ، كما رواه أبو داود عن صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ε عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε قَالَ : (أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حديث رقم ٢٦٥٤ .

[4] ــ راجع : عبد الكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، الرياض ، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، بدون تاريخ ، ص ١٩ .

الظلم وإنما إرساء قاعدة العدل بأوسع معانيها الواجب إرساؤها بين المؤمنين وبينهم وبين اليهود من ساكني المدينة ، فنصت المادة ١٣ على " أن المؤمنين المتقين أيديهم على كـــ ل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (أي طلب دفعاً على سبيل الظلم) أو إثماً أو عدواناً ، أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً " كذلك نصت المواد رقم ١٥ ، و١٦ ، ٣٦ ، ٤٧ على إقامة العدل بين الناس ، وهذه الوثيقة تعلى من شأن العدالة في المجتمع السياسي الإسلامي من خلال التطبيق الفعلي لقيمة العدالة ([1]) .

ـــ وعن عطاء قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم . فإذا اجتمعوا قال :"أيها الناس ! إني لم أبعث عمالي ليصيبوا من أبشاركم ، ولا من أموالكم ؛ إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم " . فما قام أحد إلا رجل ، قال ، فقال : يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط . قال : فيم ضربته ؟ قم فاقتص منه . فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . فقال : أنا لا أقيد ، وقد رأيت رسول الله ε يقص من نفسه . قال : فدعنا لنُرضيه . قال : دونكم فأرضوه ، فافتدي منه بمأتي دينار كل سوط بدينارين ([2]).

ـــ وعن أنس رضي الله عليه أن رجلاً من أهل مصر أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! عائذ بك من الظلم ! قال : عذت معاذاً ، قال : سابقت ابن عمرو ابن العاص فسبقته ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلي عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه . فقدم فقال عمر : أين المصري ؟ ، خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر : أضرب ابن الأكرمين . قال أنس : فضرب والله ! لقد ضربه ونحن نحب ضربه ؛ فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه . ثم قال للمصري : اضرب بالصرة علي صلعة عمرو . فقال : يا أمير المؤمنين ! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه . فقال عمر لعمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ، قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني([3]) .

ـــ وعن يزيد بن أبي منصور قال : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عامله علي البحرين ابن الجارود أو ابن أبي الجارود أتي برجل يقال له أدرياس ، قامت عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين ، وأنه قد همَّ أن يلحق بهم فضرب عنقه ، وهو يقول : يا عمراه يا عمراه ! ، فكتب عمر رضي الله عنه إلي عامله ذلك فأمره بالقدوم عليه ؛ فقدم فجلس له عمر ، وبيده حربة . فدخل علي عمر فعلي

---

[1] ـــ راجع نص الوثيقة في ملاحق الدراسة ، وأرقام المواد قد تم وضعها حديثاً للتنظيم فقط ، ولكنها لم ترقم بمواد في الوثيقة الأصلية التي تم النقل عنها ، وراجع أيضاً : فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإســـلام ، مرجـــع سابق ، ص ٩٢ ـــ ٩٧ .

[2] ـــ أخرجه ابن سعد ، المرجع السابق ص ٧٤ .

[3] ـــ أخرجه ابن جرير ، المرجع السابق ص٧٥ .

عمر لحيته بالحربة وهو يقول : أدرياس لبيك ! إدرياس لبيك ! ، وجعل الجارود يقول : يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهمّ أن يلحق بهم . فقال عمر : قتلته على همه وأيّنا لم يهمه لولا أن تكون سنة لقتلتك به[1].

ــ وعن زيد بن وهب قال : خرج عمر رضي الله عنه - ويداه في أذنه - وهو يقول : يا لبيكاه ! يا لبيكاه ! ، قال الناس : ما له ؟ قال : جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهراً حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفناً . فقال أميرهم : اطلبوا لنا رجلاً يعلم غور النهر . فأتي بشيخ فقال : إني أخاف البرد وذلك فى البرد فاكرهه ، فأدخله فلم يلبثه البرد ، فجعل ينادي يا عمراه ! فغرق فكُتب إليه . فأقبل فمكث أياماً معرضاً عنه وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك . ثم قال : ما فعل الرجل الذي قتلته ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! ما تعمدت قتله لم نجد شيئاً يعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا . فقال عمر : لرجل مسلم أحب إلي من كل شئ جئت به ، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك ، فأعط أهله ديته ، واخرج فلا أراك[2] .

ــ وعن جرير أن رجلاً كان مع أبي موسى رضي الله عنهما- فغنموا - مغنماً فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه ، فأبي أن يأخذه إلا جميعه فضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه ! ، فجمع شعره وذهب به إلي عمر رضي الله عنه . فأخرج شعراً من جيبه فضرب به صدر عمر . قال له عمر : مالك ؟ ، فذكر قصته. فكتب عمر إلي أبي موسى - رضي الله عنهما : " سلام عليك ! ..أما بعد ! فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا ، وأني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ من الناس فاقتص منك ، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلأ فاقعد له في خلأ فليقتص منك " .

فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص . فقال الرجل : قد عفوت عنه لله[3].

ــ وعن الحرماوي قال : كتب عمر بن الخطاب إلي فيروز الديلمي رضي الله عنهما :" أما بعد ! فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل ، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم علي بركة الله ، فاغز في سبيل الله " . فقدم فيروز فاستأذن علي عمر ، فأذن له ، فزاحمه فتي من قريش . فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي ، فدخل القرشي علي عمر مستدمي . فقال له عمر : من فعل بك ؟ قال : فيروز ! وهو علي الباب ، فأذن لفيروز بالدخول فدخل . فقال : ما هذا يا فيروز ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! إنا كنا حديث عهد بملك ، وإنك كتبت إلي ولم تكتب إليه ، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له ، فأراد أن يدخل في إذني قبلي ، فكان مني ما قد أخبرك . قال رضي الله عنه : القصاص ! قال فيروز : لابد ؟ ، قال

---

[1] ــ أخرجه ابن جرير ، المرجع السابق ص٧٥ .
[2] ــ أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٥ .
[3] ــ أخرجه البيهقي ، المرجع السابق ص ٧٥ ، ٦٧ .

: لابد . فجثي فيروز علي ركبتيه وتحدث بشيء قال سمعته من رسول الله ε ! ، سمعت رسول الله ε ذات غداة وهو يقول : قتل الليلة الأسود العنسي الكذاب ! قتله العبد الصالح فيروز الديلمي ! أفتراك مقتصاً منه بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ε ! قال الفتي : قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله ε بهذا . فقال فيروز لعمر : أفتري هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره ؟ ، قال : نعم . قال فيروز : فأشهدك أن سيفي وفرسي وثلاثين ألفاً من مالي هبة له . قال : عفوت مأجوراً يا أخا قريش ، وأخذت مالاً([1]) .

ــ وعن عبد الملك بن يعلي الليثي أن بكر بن شداخ الليثي رضي الله عنه - وكان ممن يخدم النبي ε وهو غلام - فلما احتلم جاء إلي النبي ε فقال : يا رسول الله ! إني كنت أدخل علي أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال . فقال النبي ε : اللهم ! صدق قوله ولقنه الظفر . فلما كان في ولاية عمر رضي الله عنه وجد يهودياً قتيلاً فأعظم ذلك عمر وجزع وصعد علي المنبر فقال : أفيما ولاَّني الله واستخلفني يفتك بالرجال ، اذكر الله رجلاً كان عنده علم إلا أعلمني . فقام إليه بكر بن شداخ فقال : أنا به . فقال : الله أكبر بؤت بدمه . فهات المخرج فقال : بلي ! خرج فلان غازياً ووكلني بأهله فجئت فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول :

وأشعث غَرَّهُ الإسلام منِّي ... خَلوتُ بعُرْسه لَيْلَ التَّمَامِ
أبيتُ علي تَرائبها ويُمْسِي ... عَلَى جَرْداءَ لاحقَة الحزامِ
كأن مَجَامِعَ الرَّبلات منْهَا ... فِئَام يَنْهضُونَ إلي فئــــامِ

فصدق عمر رضي الله عنه قوله ، وأبطل دمه بدعاء النبي ε .([2])

ــ وروي أن وفداً من سمرقند وفدوا على عمر بن عبد العزيز ، فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أُخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر وبادي ، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمين([3]).

ــ وروى الطبري في ابتداء أمر القادسية أن ربعي بن عامر دخل على رستم قائد الفرس في مجلسه فبادر القائد الفارسي بسؤال المجاهد المسلم : ما جاء بكم ؟ ، فأجابه المجاهد المسلم على الفور : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام،فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه.

[1] ــ أخرجه ابن عساكر ، المرجع السابق ص ٧٦ .

[2] ــ أخرجه أبو نعيم وابن منده ، المرجع السابق ص ٧٨.

[3] ــ راجع : محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

ــ وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ فذكر الحديث بطوله في قصة خيبر ، وفيه : كان عبد الله ابن رواحه رضي الله عنه يأتيهم كل عام ، فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر . فشكوا إلي رسول الله ع شدة حرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال: يا أعداء الله تطعموني السُحت ؟ ، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَ ولأنتم أبغض إليَ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم ، وحبي إياه علي أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض([1]) .

ــ وعن الحارث بن سويد قال : كان المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنهما –في سرية فحصرهم ، فعزم الأمير أن لا يجشر أحد دابته ، فجشر رجل دابته وهو لم تبلغه العزيمة فضربه ، فرجع الرجل وهو يقول ما رأيت كما لقيت اليوم قط . فمر المقداد فقال : ما شأنك ؟ فذكر له قصته ، فتقلد السيف وانطلق معه حتى انتهي إلي الأمير فقال : أقده من نفسك . فأقاده فعفا الرجل ، فرجع المقداد وهو يقول : لأموتن والإسلام عزيز ([2]) .

هذا خُلق الإسلام ونبي الإسلام ع والخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين ، في إقامة العدل بين الناس سلماً وحرباً ، لأن الإسلام جاء لإقامة العدل بين الناس : ولذلك نجد قول الحبيب المصطفي ع في الحديث الذي رويَ عن عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّــه ع : (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّــه يَــوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ) ([3]) ، فالعدل في الإسلام قيمة عليا في المجتمع لأنه عدل مطلق لا يميل ميزانه بفعل الحب والبغض ولا تغير قواعده المودة ، ولا يتأثر بالقرابــة بــين الأفــراد ولا بالتباغض بين الأقوام ([4]) .. ويقول عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ..)([5]) ، ويقول سبحانه وتعــالى : (إِنَّ اللَّــهَ يَــأْمُرُ بِالْعَــدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ([6]).

٤ ــ خلق الشورى في كل المواقف لرسول الله ع :

والشورى كما رأينا ، لا غني عنها في المجتمع المسلم ، وهي تزيد عن الديمقراطية الحديثة في أنها تجمع بين العامة وأهل الحل والعقد (علماء الأمة وفقهائها) ، فهي تجمع بينهم في قوة وانصياع للوصول إلى أرشد أمور الأمة ، ولن نطيل في ذلك ...

[1] ــ أخرجه البيهقي – المرجع السابق ص ٨٢ .
[2] ــ أخرجه أبو نعيم في الحلية المرجع السابق ص ٨٣ .
[3] ــ أخرجه أحمد ١١٠٩٩ والترمذي ١٢٥٠ .
[4] ــ راجع : سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٤، ص ص ٩٩ ــ ١٠١ ..
[5] ــ سورة النساء: من الآية٥٨ .
[6] ــ الآية ٩٠ سورة النحل ..

فلقد سبق ورأينا هذه الشورى في الأمور العامة لأخلاق النبي ع في الحرب ، ولكن نقف عند مواقف معينة :

ــ حديث عمر رضي الله عنه في قصة بدر وفيه : واستشار رسول الله ع أبا بكر ، وعلياً ، وعمراً - رضي الله عنهم : فعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ :(لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ع إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ع الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، .... فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأُسَارَى؟ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، قُلْتُ : لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ ، نَسِيبًا لِعُمَرَ ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ع إلى مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ع وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ع : " وأنزل الله تعالي : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "الآية٦٧ سورة الأنفال.([1])

ــ وعن أنس رضي الله عنه قال : استشار رسول الله ع الناس في أسرى يوم بدر فقال : " إن الله قد أمكنكم منهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله اضـــرب أعناقهم . قال : " فأعرض عنه رسول الله ع ثم عاد عليه السلام . فقال : " يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس " . فقال عمر مثل ذلك فأعرض عنه عليه السلام . ثم عاد عليه السلام فقال مثل ذلك . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله نري أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ع ما كان من الغم ثم عفا عنهم وقبل منهم الفداء ، وأنزل الله " لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "الآية٥٨ سورة الأنفال.

ــ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ع : "ما تقولون في هؤلاء الأسري ؟ " قال فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! قومك وأهلك واستأن بهم لعل

[1] ــ رواه الإمام مسلم في صحيحه حديث ٣٣٠٩ .

الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحه رضي الله عنه : يا رسول الله ! انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً . فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه - رضي الله عنهم . فخرج عليهم فقال : (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : " فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [إبراهيم ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسي عليه الصلاة والسلام قال : " إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " [المائدة : ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه الصلاة والسلام قال : "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " [نوح : ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه الصلاة والسلام قال : " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ " [يونس : ٨٨] ، أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق . قال عبد الله فقلت : يا رسول الله ! إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت، قال :فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال:إلا سهيل بن بيضاء ، قال : فأنزل الله :" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [الأنفال :٧٠] ([1]).

ـ وعن الزهري قال لما اشتد علي الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلي عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائداً غطفان ، واتفق معهما على إعطائهما ثلث ثمار المدينة علي أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجري بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلي السعدين ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أهذا أمر تحبه فنصنعه أم هو أمرٌ أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم هو شيئ تصنعه لنا ؟ فقال : بل شيء أصنعه لكم ؛ والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلي أمر ما . فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد كنا وهؤلاء علي الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك ، وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة ؛

[1] ــ أخرجه الإمام أحمد ، حياة الصحابة جــ ٢ ، ص ٣٠ ، ورواه للترمذي والحاكم والإمام أحمد ، المرجع السابق ص ٣١ .

والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا([1]).

ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث إلي رسول الله ﷺ فقال : ناصفنا تمر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً ، فقال : حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما - يعني يشاورهما . فقالا : لا والله ما أعطينا المدينة من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام . فرجع إلى الحارث فأخبره . فقال :غدرت يا محمد ، وعند الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الحارث الغطفاني إلي رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ! شاطرنا تمر المدينة . فقال : حتى استأمر السعود ، فبعث إلي سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود رضي الله عنهم فقال : إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد . فقالوا : يا رسول الله ! أوحي من السماء فالتسليم لأمر الله أو عن رأيك وهواك ، فرأينا نتبع هواك ورأيك ، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا ، فوالله لقد رأيتنا وإياهم علي سواء ، ما ينالون منا تمرة إلا شراء أو قري . فقال رسول الله ﷺ : هو ذا ، تسمعون ما يقولون ، قالوا : غدرت يا محمد([2]) . ولم يغدر بالطبع ، لأنه لم يوقع اتفاقية ، ولكنه استشار زعماء الأنصار فأشاروا عليه بذلك ، وهذه قمة أخلاق المصطفي ﷺ وهو خلق الشورى لإرجاع الأمر لأهله والمتخصصين فيه ، لأنه رأي فني وسياسي ...

ــ واستشار الرسول ﷺ بعد حصاره الطائف ، لمدة خمسة عشر يوما دون أن ينال منهم ، فسأل نوفل بن معاوية الديلي وقال : يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ، فقال : يا رسول الله ثعلب في جحر ، إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضيرك ، فرفع الرسول ﷺ عنهم الحصار وارتحل المسلمون ، وجاء أهل الطائف مسلمين بعد ذلك ([3])٠

ــ وعن محمد بن سلام يعني البيكندي قال : عمرو بن معد يكرب له في الجاهلية وقائع وقد أدرك الإسلام ، قدم على النبي ﷺ ،ووجهه عمر بن الخطاب إلي سعد بن أبي وقاص إلي القادسية وكان له هناك بلاءٌ حسن ، كتب عمر إلي سعد : قد وجهت إليك أو أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد - رضي الله عنهم جميعاً - وهو طليحة بن خويلد الأسدي فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً([4]).

---

[1] ــ أخرجه ابن إسحاق ، المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

[2] ــ رواه البزار ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

[3] ــ رواه الطبري ٠

[4] ــ أخرجه الطبراني ، المرجع السابق ص ٣٧ .

وخلق الشورى خُلق عظيم وأدب جم ، فالشورى تكون نافعة للجماعة وللوطن ، وتكون معبرة عن الحرية وعدم الاستبدات ، وتفتح المنافذ للحق والعدل ، فهي مطلوبة ومرغوبه في السلم وفي الحرب ولذلك لم يتركها النبي ε أبداً ...

٥ ـ خُلق النبي العظيم ε في الانتماء والوحدة الوطنية وحب الوطن:

وهذا خلق عظيم للرسول ε أثناء السلم ، لأنها مقدمة ضرورية للتكاتف أثناء الحرب ، فالانتماء والوحدة الوطنية وحب الوطن لا غنى عنهم لكل الأمم في السلم قبل الحرب ، لأنها الأساس لوحدة الصف والتضحية والفداء والصبر والمثابرة ([1])...

ومن أهم عوامل النصر للمسلمين : وحدة الأمة ، فمما لا شك فيه أن الدعوة لوحدة الأمة هي من طبيعة الإسلام ، ومن مبادئه ، ذلك أنها وحدة قائمة على مباديء ومُثُل كريمة ، فالإسلام يدعو إلى وحدة الأمة والانتماء لها بوحدة المباديء التي تنتج في الإسلام وحدة الأمة وتضامنها وتكافلها، فيحق لنا أن نفخر بالإسلام الذي يؤسس للوحدة بين الأشخاص على مباديء من الخير ومن العدل ومن الحق([2]).

ولنقف عند بعض جوانب النبي ε في هذا المجال:

ـ فإذا نظرنا إلى التطبيق العملي لرسول الله ε في أول وثيقة بعد ظهور الدولة الإسلامية الأولى وهي وثيقة المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب، نجد أن المادة الثانية بعد المقدمة (المادة الأولى) تعلن :" أن المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب أمة واحدة من دون الناس "، وهي بذلك حددت الانتماء للأمة الإسلامية كقيمة رئيسية وكأساس للمواطنة في الدولة الإسلامية الجديدة ، بل ولقد أحلت هذه الوثيقة الرابطة الدينية الإسلامية محل الرابطة القبلية ، فعبرت عن المسلمين بأنهم أمة من دون الناس ، وذلك مما يُعلى من شأن الانتماء للدين الإسلامي دون النظر إلى أصول المسلمين القبلية أو النسبية ([3]) ، ففي حديث لرسول الله عن معنى : (أُمَتُكُمْ أُمَةٌ وَاحِدَةٌ) قَالَ : (دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِد)([4])..

---

[1] ـ راجع : سعدي أبو حبيب ، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، جده ، النادي الأدبي والثقافي ، كتاب النادي ، رقم ٦ ، ١٩٨٢م، ص ٥٩ وما بعدها .

[2] ـ راجع : عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر، مرجع سابق ، ص٥٠ـ٥٢.

[3] ـ راجع : د٠ فؤاد عبد المنعم ،، أصول نظام الحكم في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٩٢ ، ص ٩٥ ٠

[4] ـ رواه البخاري ٤٣٧٠ .

ويعطي الشرع الإسلامي للمسلمين شخصية حقوقية واحدة ، فلقد جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ع قَالَ : " الْمَدِينَةُ حَرَمٌ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلا صَرْفٌ ، و أسند عَن الأَعْمَش بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَادَ : وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلا صَرْفٌ "(1) ...

وقال ع في الحديث الذي روي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : " يَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقْصَاهُمْ "(2) .

ولقد أمرنا رسول الله بالالتزام بالجماعة فإن في ذلك خيراً كثيراً ، فقال ع في حديث شريف بعد أن حكى عن دعوة سيدنا يحي بن زكريا : " .... وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَ : رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ، قَالَ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ "(3) ...

وقال ع : " .... أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَحْلِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا ، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ... "(4) ، وقال ع في خطبة الوداع بعرفة: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "(5) ، ولذلك يعلن ابن تيميه أنه كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة.

٦ ــ خُلق الأخوة والمساواة بين البشر من أهم أخلاق النبي ع :

قال رسول الله ع : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(1) ...

1 ــ رواه البخاري ١٧٣٧ ومسلم ٢٤٣٣ واللفظ له والترمذي٢٠٥٥ وأبوداود ١٧٣٩ .

2 ــ رواه الإمام أحمد في مسنده ٦٧١٦ وابن ماجه ٢٦٧٥ واللفظ له .

3 ــ رواه الترمذي في سننه ٢٧٩٠.

4 ــ رواه الإمام أحمد ١٧٢ واللفظ له ورواه الترمذي ٢٠٩١ .

5 ــ رواه البخاري وأحمد والترمذي .

6 ــ رواه البخاري٢٢٦٢ واللفظ له ورواه مسلم ٤٦٧٧والترمذي ١٣٤٦ وأبوداود ٤٢٤٨وأحمد ٥٣٨٨.

وقال ع : " من ذهب في حاجة أخيه فقضيت حاجته كُتبت له حجة وعمرة ، وإن لم تُقض كُتبت له عمرة " (١) ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ولا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، والله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى فقال : " وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (٢) .

وينبغي للمسلم أن يسارع لقضاء حوائج الناس وإغاثة الملهوف ، لأن من قدَّم الخير لأي إنسان كأنما قدَّم الخير لنفسه ، ففي القرآن الكريم يقول الحق: " وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا " (٣) ...

ولهذا ، فإن من فعل ذلك كان له من الله الجزاء الأوفى ، ولما لقضاء حوائج المسلمين من فضل ومنزلة عند الله وعند رسوله ع ، فلقد أخبر الرسول ع أن : (أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على مسلم) (٤) ، وقوله ع : (من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسُرَه بذلك سرَّه الله عز جل يوم القيامة) (٥) ، ولكم لهذا الفعل عند الله تعالى من ثواب عظيم ، وإن ذهب المرء في قضاء حاجة أخيه المسلم ، ولكنها لم تقض فإن الله لن يحرم الساعي من الخير من الثواب ، بل يعطيه الثواب العظيم ، وذلك فضل من الله يؤتيه لمن اهتموا بأمر المسلمين وتألموا لآلامهم وفرحوا لفرحهم ، وليعلم الذين يسعون لقضاء حوائج المسلمين أن التوفيق من الله عز وجل ، وقد منحهم الله تعالى هذه النعمة العظيمة ليردوا المظالم إلى أصحابها ، فإن قصروا في قضاء حوائج المسلمين سَلَبَ الله منهم هذه النعمة وأودعها في غيرهم ، حتى يتحملوا عبء هذه الرسالة ويساعدوا المسلمين بقدر ما يستطيعون ، يقول نبينا ع : " إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه " (٦) ، كما روى عن الرسول ع أنه قال : " من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرِّج عن معسر " (٧) ، ويقول الرسول ع : " إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها مابذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم " (٨) .

ومن أهم ما تقتضيه الأخوة الإسلامية : أن يقدم المسلم النصح لأخيه المسلم ، فإن الدين النصيحة الخالصة ...

---

[1] ــ رواه البيهقي .
[2] ــ الآية٢ سورة المائدة
[3] ــ الآية ٢٠ سورة المزمل .
[4] ــ رواه الطبراني في الأوسط .
[5] ــ روه الطبراني .
[6] ــ رواه الديلمي.
[7] ــ رواه الإمام أحمد في مسنده .
[8] ــ رواه الطبرني في الكبير والأوسط .

ولقد ورد أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن البصري : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين إلى الحسن البصري ، سلام عليك ، أما بعد : فإني ابتليت بأمر عظيم وقد شغلني عن كل ما أنا فيه ، فإن لم يتداركني الله برحمته هلكت ، ولا أرى كيف الخلاص منه ، فعظني بموعظة موجزة لعل الله تعالى أن ينفعني بها ، وأنا أسأل الله التوفيق لما يُحب ويرضى وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برحمته ، والسلام "

فكتب الحسن البصري : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسن بن أبي الحسن إلى عبد الله أمير المؤمنين ، سلام الله عليك ، أما بعد ، فقد فهمت ما كتبت به إليّ ، فاعلم يا أمير المؤمنين أن من اتقى الله تعالى اتقاه الناس ، ومن خاف الله تعالى خافه الناس ، ومن استحيا من الله استحيا منه الناس ، ومن اجترأ على الله اجترأ عليه الناس ، ومن تعجل الأمن أدخل الخوف على نفسه غداً ، ومن تعجل الأمن غداً والنجاة مع الحذر والصبر ملاك الأمر وفيه أعظم الأجر ، فاستعن يا أمير المؤمنين على أمر يُعنك الله تعالى وتوكل عليه يكفك ولا تستعن بغير الله تعالى فيكلك إليه (إلى غير الله) ، يا أمير المؤمنين ، إنك قد أُبتليت بأمر عظيم يتوجه الناس عليك بحوائجهم ، فافتح بابك للضعيف والأرامل ، وما تحب لنفسك فأحبه لهم ، وما تكرهه لنفسك فأكرهه لهم ولا تفعله بهم " وهذا مثال النصيحة الأخوية ولو كانت للحاكم .

وإذا رأينا النصوص الإسلامية على الأخوة نري من خلالها علو قيمة الأخوة في المفهوم الإسلامي ، قال تعالى في الذكر الحكيم : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (١) ، وجاءت هذه الآية الكريمة التي ترفع الأخوة الإيمانية والإسلامية فوق كل قرابة مهما كانت ، قال تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٢) ...

وبهذا المفهوم الإسلامي الرفيع الذي رفع من قيمة الأخوة ، يتحول المسلمون في كافة أرجاء الكون إلى جسد واحد ، ففي حديث شريف للمصطفى ع روي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ع أَنَّهُ قَالَ " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (٣).

كما يؤكد الرسول ع هذا المعنى حينما يقول : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ " (٤) ...

[1] ــ الآية ١٠ من سورة الحجرات .

[2] ــ الآية ٧١ سورة التوبة .

[3] ــ رواه مسلم ٤٦٨٥ وأحمد ١٧٦٥٤ واللفظ لأحمد بن حنبل.

[4] ــ رواه البخاري ٤٥٩ ومسلم ٤٦٨٤ والترمذي ١٨٥١ والنسائي ٢٥١٣ وأحمد ١٨٧٩٩ .

ويقول النبي الكريم ع : " الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ " (1) ...

ومعلوم أن الضيعة هي ما يضيع الإنسان بضياعه كالصناعة والتجارة والزراعة ، فالمؤمن يحوط أخاه ويذب عنه ويحافظ على ماله ولو غائباً ، كما أنه مرآة له يسأله عن حاله ليخبره بما يراه فيه ، فإن الإنسان ربما تخفى عليه بعض عيوبه فيسترشد إليها من خيار أصحابه ، كما ورد عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لحذيفة بن اليمان " هل ترى فيَ شيء من علامات النفاق ، فيقول : لا والله يا أمير المؤمنين .

فما أسمى الأخوة الإسلامية كحق رئيسي من حقوق المجتمع الإسلامي ، ويتمثل هذا السمو في كلمات النبي ع : " مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، إلا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إلا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ " (2) ، بيد أن هذه النصرة التي أو جبها الإسلام لا نظير لها لأنها بالحق وللحق ، فلقد أخبرنا النبي ع ووصانا بذلك : فعن عُبَيْدُاللَّه بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ع : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّه أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ، قَالَ : تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ "(3) ...

وما أسمى هذا المفهوم الإنساني الإسلامي العميق المعاني والمتعدد الوجوه للأخوة الصادقة والرابطة الأخوية العظيمة بين البشر جميعاً (4) .

فبالإخاء تحاب المسلمون عند الهجرة وفي كل مراحل نمو الدولة الإسلامية ، فلقد دعا رسول الله ع إلى التآخي بين المهاجرين والأنصار فتآخي كل واحد من المهاجرين مع واحد من الأنصار ، وربط رسول الله ع بين الأوس والخزرج برباط الأخوة الإسلامية ، فقضى على ما في نفوسهم من عوامل الشقاق وأعاد الألفة بينهم جميعاً ، وبالأخوة وضع النبي الكريم ع أسس التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، ذلك التكافل الذي غدا على الزمن شعيرة إسلامية وعليه قامت الوحدة الدينية التي سوت بين المسلمين وجعلت منهم أمة واحدة لا أثر فيها للشعوبية مهما تعددت دولهم أو اختلفت

---

1 ـ رواه أبو داود ٤٢٧٢ .

2 ـ رواه أبو داود ٤٢٤٠ واللفظ له ، وأحمد ١٥٧٧٣.

3 ـ رواه البخاري ٦٤٣٨ ورواه الترمذي عن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ع قَالَ : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّه نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ) حديث رقم ٢١٨١ ورواه أحمد ١١٥١١ .

4 ـ راجع : سعدي أبو حبيب ، الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، مرجع سابق، ص ٦١، ٦٢ .

حكوماتهم أو للعنصرية مهما تمايزت أصولهم أو اختلفت ذواتهم أو ألوانهم ، فالتكافل الاجتماعي يعني جمع الناس على رباط واحد من كرامة الإنسان وتوفير الحياة الكريمة ٠

ويبلغ الإخاء الإسلامي حد الفريضة، فهو يساعد الأمة على الترابط والتكاتف والإيثار في السلم وفي الحرب ، فلا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وهو إخاء يصل إلى أعلى درجات ومراتب السمو الإنساني إذ يرقى بالإنسان إلى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة ، ويعالج الإخاء الإنساني النقص في المساواة ، فإن الإنسان يحب لأخيه الإنسان ما يحبه لنفسه معناه أن تذوب الأنانية في بوتقة الغيرة والرحمة وأن تتضاءل النزعات الفردية أمام التكافل الاجتماعي ، وتقوم الفردية والجماعية على التوازن الخلقي ووازع الضمير ...

ويقتضي الإخاء الإسلامي :

ـ ألا يكون بين الناس تمايز في الجاه والسلطان أو استعلاء فرد على فرد ...

ـ أو حق لإنسان على إنسان غير ما يوجبه الضمير والخلق ...

ـ كما أن الرحمة كالتواضع والبر من مقومات الإخاء الإسلامي ، فالراحمون يرحمهم الله ، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.. ([1]) ٠

٧ ـ الأمن الاجتماعي خُلق أمرنا رسول الله ع به :

إذا كنا قد خصصنا الفصل القادم للأمن من الأرهاب للشخص وللمجتمع وللوطن ، لأن الحرب ضد الإرهاب لابد أن تكون منظمة ودائمة ، لأنها حرب ضد خفي ومجهول يحاول أن يبث الرعب فينا ، فإنني سأتناول هذه النقطة في عجالة ، وهي الأمن الاجتماعي في السيرة النبوية ، لأنه الدعامة الأساسية للمجتمع في السلم قبل الحرب ...

فالأمن مبدأ هام في حياة الإنسان ، وهو أساس من أسس وجوده ، ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمانه أمنه على حياته فحسب ، فهو كذلك يحتاج الأمن على ممارسة شعائر عقيدته التي يؤمن بها وعلى هويته الفكرية والثقافية وعلى موارد حياته المادية ، وعلى استقراره وسعادته في مسكنه وأولاده ...

كما أن الشعوب تحتاج للأمن الداخلي والخارجي لضمان الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والاستقلال السياسي أيضا، فالأمن سواء أكان داخلياً أو خارجياً ضروري للفرد وللمجتمع ، ولذلك تأصل كمبدأ وكقيمة في نفس الوقت ، فسيادة الأمن وتكامل عناصره في المجتمع

---

[1] ـ راجع : حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، مرجع سابق، ص ص ٧٩ـ٨٢ ٠

حق يدفع الفرد والمجتمع إلى الطمأنينة والاستقرار والتخطيط والعمل للمستقبل ، وهو يمثل في الإسلام عقيدة وشريعة وأصولاً اجتماعية هامة([1]) .

فالإسلام ينظر إلى الأمن بمفهومه الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع ، ولقد وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة ...

بمعنى الأمن الذي يضمن السلامة والاطمئنان النفسي وانتفاء الخوف على حياة الإنسان أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل ، أي ما يشمل أمن الفرد والمجتمع ، في كل وقت وحين وفي كل مكان ([2]).

يقول الله عز وجل عن الأمن داخل الحرم الشريف كمثال للأمن : " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا "([3]) ، ومثل قوله سبحانه وتعالى : " ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ "([4]) ، وقال الله تعالى عن الأمن بمعنى الأمان من الخوف :"لِإِيلافِ قُرَيْشٍ . إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ.فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ.الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ"([5])، بل وجعل الأمن نعمة كبرى يجنيها الإنسان بالإيمان ويجب أن يشكر الله عليها ، قال الله سبحانه : " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ "([6])، وقال عز وجل أيضاً :" وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا "([7]) .

وفي السنة النبوية الشريفة ما يؤكد أهمية الأمن في حياة الإنسان وفي الجماعة التي يعيش فيها وفي وطنه ، يقول حديث للنبي ع روي عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ وآمِنًا فِي سِرْبِهِ وعِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " ([8]) ، وهذا هو المفهوم الشامل للأمن :

ــ الأمن على نفس الإنسان ...

ــ والأمن على مسكنه الذي يقيم فيه فلا يقتحم في أي وقت إلا بإذنه وعلمه وبسبب واضح حتى يضمن الاستقرار ..

---

[1] ــ راجع : اسماعيل عبد الفتاح ، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٦م ، ص ١٦٢ وما بعدها .

[2] ــ راجع : محمد ماهر ، الكفاح ضد الجريمة في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، ١٩٧٢م ، ص١٦ــ٢٠.

[3] ــ الآية ٩٧ سورة آل عمران .

[4] ــ الآية ٩٩ سورة يوسف .

[5] ــ سورة قريش الآيات ١ــ٤ .

[6] ــ الآية ١١٢ سورة النحل .

[7] ــ الآية ٥٥ سورة النور .

[8] ــ رواه ابن ماجه٤١٣١ واللفظ له ورواه الترمذي ٢٢٦٨.

ـ والأمن بأن يضمن كذلك معيشته الكريمة التي تكون سبباً في المحافظة على جسده وسلامة بدنه من العلل ..

ـ والأمن على الرزق ..

ـ والأمن من أي خوف أياً كان ، فالأمن يتعدي أثره المادي إلى آثاره المعنوية والنفسية .. فجعل الرسول الكريم والنبي العظيم ﷺ تحقيق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها ، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه لا يستطيع الانتفاع به إلا إذا كان آمنا على نفسه ورزقه وسكنه ، ولقد دعا الرسول ﷺ إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين ...مثل :

ـ نهى رسول الله ﷺ عن فعل أي شيء يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه ، على اعتبار أن الأمن نعمة من أجل النعم على الإنسان ، فنهي عن أن يروع المسلم أخاه المسلم ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : مَا يُضْحِكُكُمْ ؟! ، فَقَالُوا : لا.. إلا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ!! ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا " ([1]) ...

ـ كما نهي ﷺ عن أن يشهر السلاح من المسلم على أخيه المسلم حتى لو كان مُزاحا وليس حربا أو عدوانا ، ففي حديث نبوي شريف عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامٍ قال : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يروي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال : " قَالَ لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاحِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ " ([2]) ...

ـ كما نهى ﷺ عن أن يخفي الإنسان مالا أو متاعاً لأخيه ولو بقصد الهزار والتسلية وليس بقصد الاستيلاء عليه ، فقد رويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لاعِبًا وَلا جَادًّا ، وَقَالَ سُلَيْمَان بن عبد الرحمن الدمشقي " لَعِبًا وَلا جِدًّا وَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا " ([3]) ، وكان من دعائه ﷺ الذي حَدَّثَنَا به وَكِيعٌ : " والذي رويَ عن ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِيَ ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي ،وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ،قَالَ ـ يَعْنِي الْخَسْفَ"([4]) .

---

[1] ـ رواه أحمد ٢١٩٨٦ وللفظ له ورواه أبوداود ٤٣٥١ والترمذي في سننه .

[2] ـ متفق عليه رواه البخاري ٦٥٤٥ ومسلم ٤٧٤٢.

[3] ـ رواه أبو داود ٤٣٥٠ .

[4] ـ رواه الإمام أحمد ٤٥٥٤ وللفظ له وأبو داود ٤٤١٢وابن ماجه ٣٨٦١.

وفي الوثيقة التي كتبها رسول الله لأهل المدينة والمهاجرين واليهود يوم قيام الدولة الإسلامية ، نصت صراحة على الأمن بمختلف أوجهه وأشكاله ، فقالت الوثيقة " من خرج من المدينة فهو آمن ، ومن قعد بالمدينة آمن ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن برّ واتقى " ...

فالأمن يتحقق في الدولة الإسلامية لجميع المسلمين وغير المسلمين في خروجهم من المدينة وسفرهم إلى أي جهة أو بقائهم ، كل ذلك من غير ظلم ولا إثم ، وهذا هو الأمن العادل ، أي أن الأمن يكون من خلال العدالة الشاملة الكاملة ، فأمن الجميع بالعدل ، على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومسكنهم ...

حتى عند فتح مكة فقد دخلها الرسول ε بعد أن هاجر منها قبل ذلك بثمانية أعوام ، فلقد أعطى الأمان لأهل مكة سواء آمنوا أو لم يؤمنوا ، فقال لهم ε : " نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ " (١) .

كما أن محاولة الإخلال بأمن الفرد والمجتمع عن طريق ارتكاب الجرائم والنهب والسلب وإرهاب الناس ونزع شعورهم بالأمن جزاؤه كبير جدا في الدنيا والآخرة ، وذلك تعظيم من الله لقيمة الأمن والاستقرار ، قال تعالى : " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " الآية (٢) ، فذلك الحد فيه صيانة لأمن الفرد والمجتمع ويكفل حياة الاستقرار ، كما أن فيه زجراً لمن تسول له نفسه على ترويع الآمنين للفرد والمجتمع ٠

فالأمن في الإسلام حق إنساني أصيل وقيمة شاملة تشمل الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الوطني والأمن للدولة والأمن للفرد والمجتمع ، والأمن الثقافي والفكري وأمن المسلم وغير المسلم ، إنه دعوة شاملة وقيمة عليا وحق عظيم للكافة نحو إقامة الأمن في مجتمع يسوده العدل والطمأنينة والاستقرار والحب(٣) ٠

والأمان والأمن قيمة رئيسية وحق إنساني أصيل في الإسلام ليس للمسلمين فقط بل لكل من يعيش على أرض الإسلام ، بل إن الله عز وجل يؤكد على هذا الأمر بالنسبة لكل السابقين من أهل الأديان جميعا ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " (٤)٠

---

[1] ــ رواه أبو داود ٢٦٢٧.

[2] ــ الآية ٣٣ سورة المائدة .

[3] ــ راجع د٠ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمن في حياة للناس وأهميته في الإسلام ، الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٩٩٧م ص ١٧ ، ٢٣ ،٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ وما بعدها ٠

[4] ــ الآية ٦٢ سورة البقرة .

وفي هذا السياق نلاحظ أن العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل القدس قال فيه ما يعني الأمان التام : " أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وأن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم " ...

وهذا العهد يوضح منتهى الأمان لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مما يُعلى من قيمة الأمن([1]) ، وقد استلهم المسلمون ذلك من قول الله سبحانه: " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " ([2]) ...

وهكذا كان حق الأمن والأمان الشامل والواسع لكافة البشرية من المنظور الإسلامي ، وهو الحق الذي يوفر السياج الحقيقي لتطبيق باقي الحقوق الإنسانية الأخرى ، ويوفر الطمأنينة والاستقرار لتماسك المجتمع في زمن الحرب وزمن السلم على السواء ... ...

٨ ـ النصيحة من أخلاق النبي ε :

مجال النصيحة متسع وكبير ، وهي واجبة على المسلمين عامة لقول الله تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ "([3])...

وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رويَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : " إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ... إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ... إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ ε : لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ أَوْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "([4]) ..

[1] ـ راجع : عباس العقاد : الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

[2] ـ الآية ٨ سورة الممتحنة .

[3] ـ الآية ١١٠ سورة آل عمران .

[4] ـ رواه أبو داود ٤٢٩٣ واللفظ له ورواه الدارمي ٢٦٣٦ ومسلم ٨٢ والترمذي ١٨٤٩ والنسائي ٤١٢٦ وأحمد في مسند الشاميين ١٦٣٣٦ .

فهي إذن حق أصيل وقيمة كبيرة في المجتمع ولها حكم كبير فهي في درجة الجهاد ، وهو أعلى درجة في الإسلام ، وفي حياة المسلمين ، وذلك كما جاء في حديث نبوي شريف آخر لرسول الله ع : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " ([1]) ، فالنصيحة من الحقوق الإنسانية والقيم الإسلامية الهامة .

والنصيحة تفرض على كل أفراد الشعب في المفهوم الإسلامي ، فيفرض على كل مجتمع أن يكون فيه فريق يتخصص للدراسة الدينية والاجتماعية ، لتكون مهمته معالجة القضايا بفهم وسماحة ويُسر ، وحتى يسمع كل فرد في المجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء كان ذلك للحاكمين أو المحكومين ، قال تعالى : " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " ([2]) ...

ويقول سبحانه : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " ([3]) ...

و الأمة الإسلامية منحها الله خير تكريم على وجه الأرض ، وذلك لقيامها بهذا العمل الذي يصون المجتمع ويحميه من الفساد والتصدع الخلقي والخلخلة الاجتماعية ...

وبهذا العمل العظيم : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت الأمة الإسلامية خير أمة أُخرجت للناس ، قال الله تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ "([4]) ...

وإذا وجب الجهاد فالنصيحة والتذكير واجبة في جميع الأحيان والأحوال ، فلا تتوقف النصيحة لوجود الجهاد في حد ذاته ، بل إن النصيحة تعتبر جهاداً ، لأن أصحابها هم جند ينفرون للجهاد في سبيل التبشير والإنذار والتبصير ...

والله عز وجل يعلن أن النصيحة كانت للأنبياء من قبل ليُعلي شأنها ، قال تعالى : " أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ "([5]) ، وذلك على لسان نبي الله سيدنا نوح عليه السلام ...

وكذلك على لسان سيدنا هود عليه السلام قال المولى عز وجل : " أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ " ([6]) .

---

[1] ــ رواه النسائي بإسناد صحيح .
[2] ــ الآية ١٠٤ سورة آل عمران .
[3] ــ الآية ١٢٢ سورة التوبة .
[4] ــ الآية ١١٠ سورة آل عمران .
[5] ــ الآية ٦٢ سورة الأعراف .
[6] ــ الآية ٦٨ سورة الأعراف .

٩ ــ التكافل الاجتماعي والتعاون من أخلاق النبي ε :

التعاون والتكافل بين المسلمين فرض فرضه الله ورسوله

وكذلك يكون التكافل الاجتماعي مع الأعداء والذميين ، كنوع من التكامل الإسلامي في بلاد المسلمين وكدليل حي على سمو أخلاق المسلمين ...

فلقد أمرنا رسول الله برعاية كل المواطنين داخل الدولة الإسلامية مسلم أو غير مسلم .. وسواء أكان غير المسلم من أهل كتاب أم لا ؟؟؟...

وفي هذا جاء التوجيه النبوي ، فقال عليه الصلاة والسلام : " من قذف ذميا مد له يوم القيامة ببساط من نار " وقال " من آذى ذميا فقد آذاني " ويقول في موضع آخر في حديث روي عن أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ε عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ε أنه قَالَ : " أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(1) ...

ولذلك ، لا ينسي الفاروق عمر هذه الأحاديث وهو يكتب وصــــاياه لولاته في الأقاليم الإسلامية (أي حكام المسلمين في تلك البلاد) ، فيقول لعمرو بن العاص " إن معك أهل الذمة والعهد .. فاحذر يا عمر أن يكون رسول ε الله خصمك " .

١٠ ــ أخلاقيات النبي ε وآدابه في الحوار وقبول الآخر والتفاهم والتسامح :

فالحوار : قيمة أصيلة في حياتنا ، وهى تعنى أن يسود منطق الحب والتعامل ، بدون حقد أو تعالى ، وهى قيمة تُعلى من البساطة والسمو فوق الهفوات الصغيرة ..

والحوار من أهم قيم التسامح ...والحوار : ببساطة يعنى التجاوب فيما هو مفيد وجاد ، أي أن الحوار هو المواجهة الفكرية المتكافئة التي تُسهم في تعزيز القيم الإنسانية وتوسيع الدائرة الفكرية عند الإنسان ، الحوار مطلوب في حياتنا : بين الإنسان وزميله وبين الطالب ومعلمه وبين الأب وابنه وبين الجميع حتى نصل إلى أرشد الأمور ... والإنسان يبدأ الحوار دائماً بينه وبين نفسه (كبروفة واستعداد) يقول : لو قيل لي كذا أقول كذا .

---

[1] ــ رواه أبوداود ٢٦٥٤ .

أما التفاهم : فهو وسيلة الإنسان الاجتماعية للتعامل مع الآخرين ، من منطلق أن الحياة الاجتماعية تتطلب التعاون والتعاضد المشترك عبر التفاهم بين الناس والأمم والشعوب ...

وعكس التفاهم هو الخلاف ...والتفاهم : يكون مبرهناً على وحدة المجتمع وتماسكه وقوة بنيانه وتعاونه لتحقيق المزيد من التقدم والحضارة ... وتوكيد وحدة الفكر الإنساني ، والتلاقي الإنساني على مبدأ الخير والنهوض بالمجتمعات . قال بعض الحكماء : من تفاهم مع ذي العقول فاز بإدراك المأمول..

وقال الشاعر :

اصف ضميراً لمن تعاشــــره   واسكن إلى ناصح تشاوره
وارض من المرء في مــودته   بما يؤدي إليك ظاهـــره
من يكشف الناس لا يجد أحداً   نصـــح منهم له سرائره
أوشك ألا يدوم وصـــل أخ   في كـــــل زلاته تنافره

أما عن تقبل الآخر : فيعنى ببساطة أن نحترم الآخرين وأن نجلس معهم للحــوار والتفــاهم والتعاون من أجل خير البشرية بصرف النظر عن الجنس والعقيدة والدين والمذهب ...

وتقبل الآخر : شرط من شروط نجاح أي حوار ، فالحوار يتطلب طرفين كل منهما الآخر بالنسبة للثاني ، والآخر يأتي لمجالس الحوار ليأخذ وليعطى ، وعندما يشعر أحد الأطراف أنه جاء ليعطى ولا يأخذ فلا مصلحة له في هذا الحوار .

وكذلك قبول الآخر : يعنى قبول جزء من الحقيقة ، والحوار معه دعوة للاحتكام للعقل والمنطق والفكر السليم للوصول إلى الحقيقة . يقول الشاعر عن تقبل بعضنا البعض في أغنية شعبية عربية جميلة :

حلقــات .. حلقــات   في سبيل الطــيبات
نحن أبنـــاء الحمى   أخوة وأخــــوات
قد تماســـكنا معاً   بقلوب طاهـــرات
نبتغي نَيـــلَ العُلا   بالندى والمكرمات

وعند الحديث عن احترام الخصوصية فحدث ولا حرج ، إن احترام خصوصية الآخرين : من أهم مبادئ الحرية والتى يدعونا إليها الله عز وجل... وتدعونا إليها الانسانية ..

فالحق فى الخصوصية حق من الحقوق الإنسانية الأصلية، واحترام الخصوصية :يعنى حق كــل شخص فى حياة خاصة حرة ومستقلة وآمنة ولا يتدخل أحد فيها ولكنها مضبوطة بقواعد نظم بحيث

لاتتعدى على حريات الآخرين وحقوقهم ..قال الحكماء : " من لم يرغب فى الأخوان بُلـى بالعـدواة والخذلان ، وأن إخوان الصدق من أنفس الذخائر وأفضل العُدد" ، وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وســــل عن قرينه فكــل قرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردى

وقال الفرزدق:

يمضى أخوك فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال الشاعر:

أعذر أخاك على ذنوبه واستر وغطِ على عيوبه

وتقتضي الحرية ضرورة ضبط الانفعالات: فمن أهم قيم المسئولية ضبط الانفعالات...

وتعني أنه لا بد أن يتحكم المرء فى انفعالاته العصبية تجاه المواقف المختلفة والأحداث المتنوعة وتجاه الآخرين وذلك من واقع المسئولية...

وتعادل هذه القيمة : خلق إسلامي عظيم فى حياتنا وهو "كظيم الغيظ" ...فكظم الغيظ يعنى ضبط العواطف والانفعالات ، فكظم الغيظ خُلق إسلامي رفيع دعانا الله عز وجل إليه ورَّغبنا فيه ، في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَـنِ النَّـاسِ وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١) ، ولقد جاء فى الحديث الشريف ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (٢) .

وقال الشاعر:

" اصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهوى السباب"

وقال بعض البلغاء : " ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ولا من شروط الكرم إزالة النعم"...

وكذلك تتطلب الحرية ضبط العوطف :فضبط العواطف: يعنى ألا يتحيز المرء تجاه مصالح أحـد الأقارب أو أحد المقربين بما يتعارض مع الحق والعدل والقانون .

فالعاطفة يجب أن تسمو بالخلق القويم والعدل بحيث لاتتغلب على العقل..

قال بعض الحكماء : "أحسن المكارم عفو المقتدر" ، ولقد جاء فى الحديث الشريف "اذا قـدرت على عدوك فأجعل العفو شكراً للقدرة عليه" ، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها عندما اغتاظـت من خادم لها (لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء)

كان الأحنف شاعراً يهجو ويمدح، وعاده رجل فسبه وأكثر من السباب وهو لا يجيبه، لأنه ضبط عواطفه، فقال الرجل الذى سبه :

---

[1] ــ سورة آل عمران:الآية١٣٤ .

[2] ــ رواه البخاري ٥٦٤٩ ومسلم ٤٧٢٣ وأحمد ٦٩٢١ ومالك ١٤٠٩ .

- والله ما منعه من جوابى إلا هوانى عليه، وأنشد:

نجا بك لؤمك منجى الذباب   صمـــــته مقاديـــــره أن ينـــــالا

وهناك قيمة عظيمة في الإسلام هي : قيمة إفشاء السلام :

فهذه قيمة إسلامية عظيمة ، وهي إفشاء السلام بين المسلمين ، فالمسلم حين يقابل أخاه المسلم عليه بالتسليم بسلام الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، والله عـــز وجل يقول : (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) ([1])، وقال الله سبحانه وتعالى :(وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً)([2]) ، وفي الحديث الشريف إعلاء لإفشـــاء السلام ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ε أنه قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًـــا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُـلُّ مَـنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ) ([3]) ، حتى أن الرســول دعانـــا لإلقاء السلام على الأطفال أيضاً ، فعن أَنَسٍ قَالَ مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ε وَنَحْنُ نَلْعَبُ فَقَالَ : (السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا صِبْيَانُ) ([4]) ، وإفشاء السلام يزيد من الحسنات كما ورد في الحديث المروي عَنْ عِمْـرَانَ بْـنِ حُصَيْنٍ قَالَ : (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ε فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ε : عَشْرٌ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ ، فَقَالَ ε :عِشْرُونَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ ، فَقَالَ ε : ثَلاثُونَ ، وزاد سهل بن معاذ :ـ ثُمَّ أَتَى آخَرُ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ : فَقَالَ : أَرْبَعُونَ ، قَـــالَ : هَكَذَا تَكُونُ الْفَضَائِلُ ـ) ([5]).

ولكن : ما هو السلام ؟ .. هو قيمة رائعة فى حياتنا ، حيث يسود بــه الأمــن والاطمئنـــان والخير والانتاج فى المجتمعات ، بعيدا عن الحروب والصراعات والمحن والحوادث .... فلقد جــاء في الحديث الشريف الذي رواه الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ ، هِيَ الْحَالِقَةُ : حَالِقَةُ الدِّينِ ، لا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّـــذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ) ([6]) .

---

[1] ـ الآية ٨٦ سورة النساء .

[2] ـ سورة النساء: من الآية ٩٤ .

[3] ـ رواه البخاري ٥٧٥٩ .

[4] ـ رواه أحمد ١٢٤٢٩ .

[5] ـ رواه أبوداود ٤٥٢١ والدارمي والترمذي .

[6] ـ أخرجه أحمد ١٣٣٨ .

وننعطف على قبول الآخر: فالآخر: هو لفظ يطلق على كل من يخالفنا فى الرأى أو العقيدة أو المذهب أو الجنسية أو الدين...

وقبول الآخر : لابد أن يسود فى حياتنا ... لأن الآخر هو جزء من كيان المجتمع ومستقبله .. فالمجتمعات تتكون من عقائد مختلفة وأديان متعددة والانسانية تعتمد على جنسيات مختلفة ...

قال الله تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ([1])

وقال الحديث النبوي الشريف الجامع : الذي رويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ) ([2]).

ولا ننسى قيمة الحُب :حُب الله وحب المسلمين والمؤمنين والموحدين قيمة عظيمة في المفهوم الإسلامي ، وهي قيمة أساسية ورئيسية ، لأنه من دونها تنقلب الموازين ويفتقد المجتمع لأهم أركانه وهي البناء والحب ، وحب الله أعظم ما في هذه القيمة الجليلة ، قال الله تعالى في حديثه القدسي (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) ([3])

ولقد دعانا الرسول ع إلى حب الأنصار الذين نصروا الإسلام ونشروا الدين ، فقال في حديثه الشريف عن رب العزة الذي رواه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ع يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ)([4]).

وعن النبي ع قال في حديث روي عن عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع : (لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَقَالَ : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا) ([5]) ، ورويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ فِي مَجْلِسٍ : (أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا ، قَالَ : قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَقَالَ : (أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا) ([6]) ..

وأسمى الحب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى ، فعن خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ) ([7])

---

[1] ــ سورة الممتحنة:الآية ٨ .

[2] ــ رواه مسلم ٨١ وأحمد ٩٣٣٢ وأبوداود ٤٥١٩ والترمذي ٢٦١٢ وابن ماجه ٦٧ .

[3] ــ رواه الترمذي .

[4] ــ أخرجه الترمذي٢٣١٢ وأحمد ٢١٠٦٦ .

[5] ــ رواه البخاري ٣٤٧٦ .

[6] ــ أخرجه أحمد ٦٧٣٨ .

[7] ــ أخرجه أبوداود ٣٩٨٣ وأحمد ٢٠٣٤١ ، والبخاري ومسلم والترمذي في باب الحب في الله .

ومن يحبه الله يحبه الناس ، ففي الحديث الشريف الذي رويَ عن ُهَيْلُ بْنُ أبي صَالِحٍ أنه سَمِعَ أَبَاهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاوَاتِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَيُحَبُّ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا قَالَ : يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاوَاتِ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ ، فَيُوضَعُ لَهُ الْبُغْضُ لأَهْلِ الأَرْضِ ، فَيُبْغَضُ) (1)

ونختم هذه النقطة بقيمة : إسعاد الآخرين : فإسعاد الآخرين جزء لا يتجزأ من الحب الإنساني العميق ، فالحب : قيمة إنسانية غالية وهى تعنى أن نحب الآخرين دون أن ننتظر مقابلا لهذا الحب ، ويقوم الحب الإنساني المتبادل على أساس الأخوة الكاملة الحقيقية بين الناس ، ولذلك يجب أن تحب الأخوة والأقارب والأصدقاء وكل البشرية من أجل ذاتها ولا لغاية أو منفعة .

وإسعاد الآخرين : أحد أجنحة الحب ...... ويعنى أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك ، كما جاء فى الحديث الشريف لرسول الله : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (2) .

١١ ـ أخلاقيات حماية البيئة في ممارسة النبي :

البيئة هي المحيط الحيوي الذي يعيش فيه الإنسان ويحيا من خلاله ...

وحتى البيئة ، فلها حقوق وقت السلم ووقت الحرب ، ولم لا؟ :

ـ ألا يموت الرجل أو المرأة أو الطفل من شربة ماء ملوثة ؟ ..

ـ ألا يؤثر الهواء الملوث على صحة الإنسان ، فيسبب الاعتلال وقد يصل للموت ...

ـ ألا تتؤثر المبيدات على صحة الإنسان والحيوان والنبات ؟ ...

ولذلك كان النهج الإسلامي ، من خلال المنهج النبوي الشريف ، واضحاً وصريحاً ، بأن البيئة النظيفة حق للإنسان في أثناء السلم ، كما هي في أثناء الحرب .. فالحرب تلوث البيئة بالتدمير الشامل ، فتلوث الهواء والمياة والتربة ، وتقتل الحيوان والشجر والنباتات ، فالحرب ضد البيئة النظيفة ، وضد مقومات الحياة السليمة ... ونتحدث هنا عن مؤشرات فقط للخلق البيئي الرفيع للنبي ﷺ العظيم ، الذي أعلى من شأن البيئة النظيفة ...

---

1 ـ رواه أحمد ١٠٢٠٦ ، ورواه البخاري ٢٩٧٠ ورواه مسلم ٤٧٧٢.

2 ـ متفق عليه .

فلحماية مصادر المياة من أي تلوث حفاظاً على صحة الناس ، وحماية لحقوق الناس في المياه النظيفة ، نهي رسول الله ع على عدم التنفس أثناء الشرب من الإناء ، والتنفس خارجه ، حتـى لا تنتقل الميكروبات عبر الزفير فيتلوث الإناء ...

وكذلك نهانا عن الشرب من فم القربة أو السقاء أو تلويث مياه الأنهار والآبار وغيرها ، وكذلك تلوث الطريق وذلك عن طريق التبول في المياه أو النفخ في المياه ، وعن طريق رمي القاذورات في المياه ، أو تلويثها بأي شكل من الإشكال ، أو وقوع أي أذي في الطريق العام ، كحفـر أو إسـاءة استعمال أو تلويث الطريق ، بقذف القاذورات فيه ، أو تخريب الطرق ، أو منع الغير من استعمالها ، كل هذا نهانا عنه الإسلام ليؤكد حقوق المواطن في مياه شرب نظيفة وفي طريق ميسر آمن ([1]).

وجاء ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة :

ــ فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ : (أَنَّ النَّبِيَّ ع نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيـهِ) ([2]) ، وقـال أَبُـو هُرَيْرَةَ رضي الله عن : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ع عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ وَأَنْ يَمْنَعَ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي دَارِهِ) ([3]) ...

ــ وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ع أنه قَالَ :(لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الـدَّائِمِ ثُـمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ) ([4]) ..

ــ وأيضاً عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قَالُ : (سَمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ع يَقُـولُ اتَّقُـوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ .. قِيلَ : مَا الْمَلاعِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ :أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ أَوْ فِي طَرِيقٍ أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ) ([5]) ...

ــ وأيضاً يرويَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ .. قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ) ([6]) ..

كما أن إماطة الأذي عن الطريق العام في الإسلام شعبة من شعب الإيمان ، وإماطة الأذي يعني حماية الطريق من أي تلوث مادي أو معنوي :

---

[1] ــ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، البينة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

[2] ــ رواه الترمذي ١٨١٠ ورواه البخاري ٥١٩٩ومسلم ٣٩٤ والنسائي ٤٨ وأبو داود ٣٢٤٠ وابن ماجة ٣٤١٨ وأحمد ٢١٥٨٨ والدارمي ٢٠٣٠.

[3] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٥١٩٦ .

[4] ــ رواه مسلم في صحيحه رقم ٤٢٤ ورواه للترمذي ٦٣ والنسائي ٥٧ وأحمد ٧٢١٣ وأبو داود ٢٥ وابن ماجه ٣٠٠ .

[5] ــ رواه أحمد في مسنده حديث ٢٥٨٠ وأبو داود ٢٤ وابن ماجه ٣٢٣.

[6] ــ رواه مسلم في صحيحه حديث ٣٩٧ ورواه أحمد في مسنده٨٤٩٨ .

ـ كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو الأَسْوَد الدِّيْلِيّ عَنْ أبي ذَرٍّ أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا إِمَاطَةَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ووَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ: قَالَ عَارِمٌ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ) ([1])..

ـ ورويَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) ([2]) .

ـ الحفاظ على سلامة المجتمع وصحة الناس من الأمراض ، فهذا أهم حقوق الناس في المجتمع : عدم انتشار المرض الذي يكون نتيجة التلوث وانتقال الفيروسات والأمراض بسهولة من بيئة لأخرى ، فطلب منا الإسلام ألا نعرض المجتمع للتلوث ، ونتجنب انتقال العدوى في البيئة ، وهناك جملة من أحاديث النبي ع التي تؤكد حق الإنسان في تجنب العدوى البيئية ، وعدم التعرض للأمراض المختلفة ، ومنها :

ـ ما رواه أبو هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ع : (يَقُولُ لا عَدْوَى ... قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يروي عَنِ النَّبِيِّ ع قَالَ : (لا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ ... فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ أَرَأَيْتَ الإِبِلَ تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ فَيَأْتِيهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ، قَالَ النَّبِيُّ ع فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ)([3]) ...

ـ ويرويَّ عن أَبَو هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أنه قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع :(قَالَ لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ) فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا ؟ ، فَقَالَ فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ) ([4]) ...

ـ وعن سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع : (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ) ([5]) ...

ـ وعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ع : (إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ)([6]) ، ويقول الرسول ع :(طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها)([7]) ..

[1] ـ رواه أحمد حديث ٢٠٥٨٦ .

[2] ـ رواه مسلم ٥١ وأحمد ٨٥٧٠ وللترمذي ٢٥٣٩والنسائي ٤٩١٩ وابن ماجه ٥٦.

[3] ـ رواه البخاري في صحيحه ٥٣٣٠ ورواه مسلم ٤١١٦ وأحمد ٢٢٩٩ وأبو داود ٣٤١٢ .

[4] ـ رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود .

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث في باب الجذام .

[6] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٤١٣٨ .

[7] ـ رواه الطبراني في الأوسط ٢/١١

ـ ويروى عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ε : (الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) (١) ..

ـ وقال أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يرد على سؤال قتادة حول التفل في المسجد : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ε : (يَقُولُ التَّفْلُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) (٢) ..

ـ وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ε أنه قَالَ :(عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ) (٣) ..

ـ وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε رَأَى فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا أَوْ بُصَاقًا أَوْ نُخَامَةً فَحَكَّهُ) (٤) ..

ـ وعن أَبِي بَرْزَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ε عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ ؟ قَالَ : (اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ) (٥) ..

هذه توجيهات إسلامية كريمة من الله عز وجل ورسوله ε إلى أمته ، بل إلى الإنسانية جمعاء ، لتحافظ على البيئة وتحصر المرض في منطقة معينة (وهذا ما نسميه الآن بالحجر الصحي) ، ولقد علَّم الله رسوله ما لم يكن يعلم ، وسبق بذلك كل علماء الإنسانية الذين تعلموا على يديه، وهذه هي الحقوق البيئية التي علَّمها رسول الله ε للإنسانية جمعاء من خلال التوجيهات للإنسان لكي يهتم بالبيئة حتي تعود على البشرية كلها بالنفع ، ولم لا ..؟ ...

فلقد طالبنا الله عز وجل بالنظافة والتنظيف لكل ما حولنا ، وأمر سيدنا إبرهيم وسيدنا إسماعيل بذلك لأن التنظيف والتطهير من سمات الإنسان الفاضل(٦) ، فقال عز وجل : (.. وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (٧) ، والمعنى طهره من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها ، وقس على ذلك دور العلم وأماكن اجتماع الناس ومواضع احتفالاتهم ، فعندما يذهب الإنسان نظيفاً طاهراً ويجد المكان نظيفاً طاهراً ومن جاوره في المكان نظيفاً طاهراً متطيباً ، لاشك أن هذا أدعى إلى بعث السرور في النفس

[1] ـ رواه البخاري ٣٩٨ ومسلم ٨٥٧ والترمذي ٥٢٢ وأحمد ١٢٩٥٢وأبو داود ٤٠٢ والدارمي ١٣٥٩.
[2] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٨٥٨ ورواه أحمد في مسنده حديث ١٢٤٢٤ وأبو داود ٤٠١ .
[3] ـ رواه مسلم ٨٥٩ وأحمد ٢٠٥٦٩ .
[4] ـ رواه البخاري ٣٩٢ ومسلم ٨٥٤ وأحمد ٢٤٠٠١ ومالك ٤١٠ .
[5] ـ رواه مسلم ٤٧٤٧ وأحمد ١٨٩٣٢ وابن ماجه ٣٦٧١ .
[6] ـ راجع : منصور عبيد وآخرين ، حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام ، القاهرة ، الدر المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٧م ، ص ١٣٣ وما بعدها ...
[7] ـ من الآية ١٢٥ سورة البقرة .

والانشراح في الصدر ، وأبعث عى طرد السأم والملل والضجر والفرار من المكان ومن فيه وأيضـاً فيه الوقاية من الأمراض والأوبئة وفيه حفظ الصحة ([1]).

وفي حديث نبوي آخر أن رجلاً سأل أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ : مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ε في الطَّاعُونِ ؟! ، فَقَالَ أُسَامَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : (الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَـى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِـرَارًا مِنْهُ .. و قَالَ أَبُو النَّضْرِ لا يُخْرِجْكُمْ إِلا فِرَارٌ مِنْهُ) ([2]).

بهذه الأحاديث والتوجيهات النبوية الشريفة لسيد الخلق أجمعين ε في المجال البيئـي : سـلماً وحرباً ، بل دعانا لحرب ضروس ضد أي تلوث للبيئة بمختلف أشكالها وعناصرها ومجالاتها ، ونجد أن الإسلام لم يهمل ظاهرة ولا باطنة إلا أوضحها لنا ، نعم ، لأنه دين رب العالمين الـذي ارتضـاه للناس أجمعين في آن وحين إلى يوم الدين ، فكيف لا يكون متكاملا ولقد تعلمناه من سيد الأنبيـاء والمرسلين ؟؟ ...

[1] ــ أحمد السايح وأحمد عوض ،قضايا البيئة من منظور إسلامي،مرجع سابق ، ص٢٠٥.
[2] ــ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٤١٠٨ ورواه أحمد ١٤٩٣ ومالك١٣٩٢ .

الفصل الخامس
أخلاقيات الحرب ضد الإرهاب
في المنهج النبوي الشريف

الأمن مبدأ هام في حياة الإنسان ، وهو أساس من أسس وجوده ، ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمانه لأمنه على حياته فحسب ، فهو كذلك يحتاج إلى أنواع عديدة من الأمن مثل :

ــ الأمن على عقيدته التي يؤمن بها ..

ــ والأمن على هويته الفكرية والثقافية ...

ــ والأمن على موارد حياته المادية ..

ــ والأمن على مسكنه واستقراره فيه وسعادته وأولاده ...

فكما أن الفرد يحتاج إلى الأمن والشعور بالهدوء ، فكذلك الشعوب تحتاج للأمن الداخلي والأمن الخارجي لضمان الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فالأمن سواء أكان داخلياً أو خارجياً ضروري للفرد وللمجتمع ، ولذلك تأصل كمبدأ اجتماعي وكقيمة في نفس الوقت ، فسيادة قيمة الأمن وتكامل عناصره في المجتمع يدفع الفرد والمجتمع إلى الطمأنينة والاستقرار والتخطيط والعمل للمستقبل ، في ظل علاقات دولية قائمة على التعارف والتعاون وتبادل الخبرات •

ولذلك نجد أن الأمن في الإسلام ينظر إليه : بمفهوم كُلي شامل لأنه يمثل :عقيدة وشريعة وأصولاً اجتماعية هامة ، ولأنه يمثل الشكل الطبيعي للحياة الإنسانية في كل زمان ومكان ، والتي لا يمكن أن يحياها الإنسان في ظل أي إرهاب أو عنف ، لأن الإرهاب والعنف هما نقيضا الأمن والأمان في كل زمان ومكان ...

كما أن التطرف هو شيء مقيت في الإسلام ، لأن الإسلام دين الوسطية الاعتدال ..

والتطرف ما هو إلا التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر ..

وأن من دلائل التطرف هو التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود وننكر الآراء المخالفة ، وبالتالي يصل التعصب إلى التطرف والتشدد والتحجر وإلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به ، وكذلك التشدد في غير محله ، والغلظة والخشونة ، وسوء الظن بالناس ، حتى يبلغ التطرف غايته بالسقوط في هاوية تكفير الآخرين وبالتي يُسقط عصمة الآخرين ويستبيح دمائهم

وأموالهم ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، وهذا قمة التطرف والنكوث بأمن المجتمع والناس والوطن والجميع ([1]) ...

وهذا كله يتنافى مع الأمن الشامل والحرية والسماحة التي أمرنا بها الإسلام الحنيف ...

١ ـ الإسلام ونظرة متكاملة للأمن بصفة عامة :

الإسلام ينظر إلى الأمن بمفهومه الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع ، ولقد وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة :

ـ بمعنى الأمن الذي يضمن السلامة والاطمئنان النفسي ...

ـ وانتفاء الخوف على حياة الإنسان ...

ـ أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل ، أي ما يشمل أمن الفرد والمجتمع والوطن ...

يقول الله عز وجل عن الأمن داخل الحرم الشريف كمثال للأمن العام لكل البشر : " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا " ([2]) ، ومثل قوله سبحانه : " فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ " ([3]) ، وقال الله تعالى عن الأمن بمعنى الأمان من الخوف " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ " ([4]) . بل وجعل الله الأمن نعمة كبرى يجنيها الإنسان بالإيمان ويجب أن يشكر الله عليها ، قال الله سبحانه: " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ " ([5]) ، وقال عز من قائل أيضاً " وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " ([6]) .

وفي السنة النبوية الشريفة ما يؤكد أهمية الأمن في حياة الإنسان وفي الجماعة التي يعيش فيها ، يقول ع : " من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافاً في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له

---

[1] ـ راجع المؤلف القيم : يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجمود والطرف ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة ، شوال ١٤٠٢ هـ ، ط١ ، وتناول هذا الموضوع بالتفصيل في ص٣٩ـ٥٦ ..

[2] ـ الآية ٩٧ سورة آل عمران .

[3] ـ الآية ٩٩ سورة يوسف .

[4] ـ سورة قريش الآيات ١ـ٤ .

[5] ـ الآية ١١٢ سورة النحل .

[6] ـ الآية ٥٥ سورة النور .

الدنيا - ([1]) ، وهذا هو المفهوم الشامل للأمن ، الأمن على نفس الإنسان وعلى سلامة بدنه من العلل والأمن على الرزق ، فجعل الرسول الكريم والنبي العظيم تحقيق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها ، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه لا يستطيع الانتفاع به إلا إذا كان آمنا على نفسه وفي مسكنه وعلى رزقه وحياته ...

ولقد دعا الرسول ε إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين ونهى ــ في الوقت نفسه ــ عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه ، على اعتبار أن الأمن نعمة من أَجَلّ نعم الله على الإنسان ..

وبث الرعب في الجماعة شيء مقيت يحرمه الإسلام تحريماً تاماً ، فلقد أناطت الشريعة الإسلامية بجمهور المؤمنين واجب الكفاح ضد ظاهرة الإجرام والعبث بالأمن والهدوء والاستقرار ، وهذا الواجب يشمل :

ــ منع الجريمة قبل وقوعها ...

ــ وضبطها ...

ــ وإنزال العقوبة عل الجاني بعد ارتكابها ، وهذه مسؤولية المجتمع كله ([2]) ...

ونلاحظ أن القرآن الكريم شدَّدَ على ذلك في قوله عز وجل : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)([3]) ، وقوله سبحانه : (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)([4]) .

وهذه الآيات الكريمة تدل على مدي ما أمرنا به الإسلام من منع الجريمة العقاب عليها وعدم ترويع الآمنين وضرورة استتباب الأمن والسلام والحُب بين الناس .

٢ ــ الإسلام ومقاومته لكافة صور العنف والإرهاب :

الأمن نعمة يسبغها الله على الإنسان الشاكر لله ، وفي جو الأمن والأمان يعمل الإنسان وينتج ويُعَمِّر ويُبْدِع ...

[1] ــ رواه البخاري والترمذي وابن ماجه والطبراني .

[2] ــ محمد ماهر ، الكفاح ضد الجريمة في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف الإسلام ، الكتاب الثاني والسبعون ، يوليو ١٩٧٢م ، ص١١ــ١٣ .

[3] ــ الآية ٩ سورة الحجرات .

[4] ــ الآيتان ٣٣ ، ٣٤ من سورة المائدة .

لهذا فإننا نجد أن الإسلام أعلى من قيمة الأمن كقيمة وكمفهوم وكمبدأ وجعله حقاً للناس أجمعين ...

ونهي الإسلام عن الإرهاب بكافة صوره وأشكاله ، بدءًا من مجرد ترويع الآمنين أو تخويفهم أو حتى مجرد إدخال الخوف عليهم من عبث العابثين ، ومن أمثلة النهي عن الإرهاب :

ـ نهي الإسلام عن أن يروع المسلم أخاه المسلم ، فقال رسول الله ε " لا يحل لمسلم أن يُرَوِع مسلماً " ([1]) ...

ـ كما نهي عن أن يشهر السلاح من المسلم على أخيه المسلم حتى لو كان مازحاً وليس حرباً أو عدواناً ، فقال : " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار " ([2]) ...

ـ كذلك نهى عن أن يخفي الإنسان مالا أو متاعاً لأخيه ولو بقصد الهزار والتسلية وليس بقصد الاستيلاء عليه ، قال ε : " لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً " ([3]) ...

ـ وكان من دعائه ε : " اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي " ([4])٠

ـ وفي وثيقة المدينة التي كتبها رسول الله لأهل المدينة والمهاجرين واليهود في بدء قيام الدولة الإسلامية ، نصت صراحة على الأمن بمختلف أوجهه وأشكاله ، فالأمن يتحقق في الدولة الإسلامية لجميع المسلمين وغير المسلمين في خروجهم وبقائهم من غير ظلم ولا إثم ، وهذا هو الأمن العادل ، أي أن الأمن يكون من خلال العدالة الشاملة الكاملة ، فأمن الجميع بالعدل ، على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم ...

ـ حتى في فتح مكة عندما دخلها الرسول ε بعد أن طرد منها بثمانية أعوام ، فلقد أعطى الأمان لأهل مكة سواء دخلوا في الإسلام أو لم يدخلوا فيه ، فقال لهم : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " ([5]).

ـ كما أن محاولة الإخلال بأمن الفرد والمجتمع عن طريق ارتكاب الجرائم والنهب والسلب وإرهاب الناس ونزع شعورهم بالأمن جزاؤه عظيم جدا في الدنيا والآخرة ، وهذا العقاب تعظيم من الله لقيمة الأمن والاستقرار ، قال تعالى : " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

---

[1] ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .

[2] ـ متفق عليه .

[3] ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .

[4] ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم .

[5] ـ رواه أبو داود .

الأَرْضِ فَسَادًا أن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " ([1]) ...

فذلك العقاب يكفل الأمن للفرد والمجتمع ، لأنه حد قاطع فاصل قوي يستحقه كل من يُروع حياة الآمنين ويُنغص عليهم أمنهم ويهدد استقرارهم...

فالأمن في الإسلام قيمة شاملة تشمل الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الوطني والأمن للدولة والأمن للفرد والأمن للمجتمع ، والأمن الثقافي والفكري ، وأمن المسلم وغير المسلم ، فالأمن دعوة إسلامية شاملة وقيمة عليا ، نحو إقامة السلام الدائم والأسرة المستقرة والمجتمع الآمن ([2]) .

والأمان والأمن قيمة رئيسية في الإسلام ليس للمسلمين فقط ، بل لكل من يعيش على أرض الإسلام ، بل يؤكد الله عز وجل على هذا الأمر بالنسبة لكل السابقين من أهل الأديان جميعا قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " ([3]) .

وفي هذا السياق نلاحظ أن العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل القدس قال فيه ما يعني الأمان التام : " أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار على أحد منهم ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وأن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم " وهذا العهد يوضح منتهى الأمان لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مما يُعلى من قيمة الأمن..([4])

٣ ــ مقاومة الإسلام لأسباب الإرهاب واستئصال جذوره :

يتطلب الأمن الاجتماعي البعد عن الإرهاب بكافة صوره ، ولهذا كانت : النصيحة في الإسلام قيمة ومبدأ مفروض على كل مسلم ومسلمة ، ومن أهم أسس النصيحة في الإسلام الرفق واللين ،

---

1 ــ الآية ٣٣ سورة المائدة .

2 ــ راجع د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٩٩٧م ص ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ .

3 ــ الآية ٦٢ سورة البقرة .

4 ــ راجع:عباس العقاد ،الديمقراطية في الإسلام،القاهرة ،دار المعارف ، ١٩٧١م ، ط٤، ١٢٠ ــ ١٢١.

والرفق في ديننا مطلوب في كل أمر يؤدي إلى عواقب سيئة ، لأن كل أمر جانبه الرفق فهو غير إنساني ، وبين ذلك ما روي عن رسولنا الكريم ε : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه) ([1]) ، ويقول ε : (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) ([2]) ، وبين الرسول ε أن الذي فقد الرفق فقد كل الخير فقال ε : (من يحرم الرفق يحرم الخير) ([3])٠

فمن يقدم النصيحة إلى غيره فعليه أن يقدمها بالرفق واللين ، فإن الأمور لا تؤخذ بالشدة وكذلك القلوب تنفر من الغلظة ، ولا تعي أي شيء من المتشددين أصحاب الأعصاب المشدودة والحناجر المُنفرة ، وإنما تُملك القلوب بالرفق واللين والحلم وسعة الصدر ...

فالله عز وجل يقول في كتابه القرآن الكريم، موجهاً خطابه للنبي الكريم ε مبيناً أثر الرحمة وسعة الصدر وأثر ذلك في الناس : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ...)([4]) ..

فالفظاظة والغلظة تبعد الناس عن الناصح وتجعلهم يرفضون نصيحته ويردونها عليه ، وفي ذلك مخالفة لسنة الرسول ε في الرفق واللين في كل أمور النصح والإرشاد ، فالنفوس تأبى الغلظة والشدة وترتاح للرفق واللين ، وما نجح الدعاة في عملهم إلا بالرفق واللين ، وما انتشر الإسلام في قارات الأرض إلا بهذا الأسلوب..

ولقد أعطى الإسلام نموذجاً حياً للرفق والبعد عن التعصب الأعمى والإرهاب ، فدعانا كمسلمين إلى التسامح بلا تعصب ، فأمر الله عز وجل المسلمين ودعاهم إلى التسامح والسماحة وسعة الصدر مع الجميع ، من المسلمين ومن المشركين ، من الأصدقاء ومن الأعداء ، فأعطي الإسلام بهذه النظرة ، لقيمة التسامح بُعدا كبيراً جعلها بعد ذلك حقيقة دينية وأخلاقية وفكرية ، بل وصى بها لتكون سلوكاً حياً وتطبيقاً يمارس في حياة المسلم اليومية٠ ([5])

فعندما أنزل الله تعالى قوله عن صفات المؤمنين : (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) ([6]) ، كانت بداية التسامح الإسلامي، وأعطى الإسلام نموذجاً حياً للتسامح والبُعد عن التعصب للمسلم عندما نبَّه الله عز وجل على المسلين بالتسامح مع المشركين حتى يسمعوا القرآن والدعوة إليه ثم يكونوا في أمن ويعاملوا

[1] ـ رواه مسلم وأحمد وأبو داود .
[2] ـ رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .
[3] ـ رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه .
[4] ـ الآية١٥٩ سورة آل عمران .
[5] ـ راجع :د٠ محمد جابر الأنصاري ، مفهوم التسامح في الثقافة العربية والإسلامية ، في ، كتاب تربية التسامح وضرورات التكافل الاجتماعي ، الكويت ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ، الكتاب السنوي العاشر ١٩٩٤/١٩٩٥، ص ٤٥ ، ٤٦ ٠
[6] ـ الآية ٢٩ سورة الفتح .

برفق إلى أن يبلغوا مأمنهم ، ونقرأ ذلك في قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) ([1]) ..

وكانت حياة الرسول ع ، وهو المثل والقدوة ، كلها تسامح ، فمن سامح الناس في الدنيا يـأمر الله بسماحته عن ذنوبه في الآخرة ، وعندما نقول : (السمح رباح) أي المساهلة في الأشياء تُربح صاحبه ، وفي حديث نبوي عن ابن عباس رضي الله عنهما : (اسمح يُسْمَح لك) ([2]) ،أي سَـهِل يسّهل لك وعليك، فقيمة التسامح قيمة إسلامية أصيلة وتعني السخاء والجود واللين في المعاملات ، فهو كرم نفسي ينبع من النفس المؤمنة ، وهو قيمة سياسية واجتماعية عظيمة في حياة المسـلم ، وصدق رسول الله ع في حديث نبوي رواه جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) ([3]) ..

ولابد أن نعرف أن التسامح لا يكون في حد من حدود الله ، ولا يؤدي لظلم بين أو يجور علـى حقوق الآخرين ، إلا برضاهم وموافقتهم ، لأن التسامح لابد وأن يكون خالصاً لوجـه الله تعـالى ، فمفهوم التسامح هو قابلية الفرد للتطبيق العملي لمعنى الالتزام واحترام معتقدات وعادات ومشاعر الآخرين كبشر ، بصرف النظر عن لونهم وانتماءاتهم العرقية ([4]) ..

ولذلك نجد أن حقيقة الإسلام وحقيقة دعوته للأمن الشامل والحيـاة المسـتقرة ، بعيـداً عـن منغصات العنف والإرهاب ، هوأسلوب يؤدي إلى الاستقرار والأمان والحب والتسامح ...

أما الإرهاب فما هو إلا نقيض للأمن بكل صوره وأشكالة ، فالإرهاب يستنفر الجهود لمحاربته فيبعدنا عن معرفة عدونا الحقيقي ، بعكس دعوة الإسلام الشاملة للأمن والسلام ، فليس في الإسلام تطرف بل دين الاعتدال والوسطية الرائعة ...

وليس في الإسلام تعصب بل مجادلة بالحسنى ومقارعة الحجة بالحجة بعيداً عن السب واللعن والجريح والمساس بالعقيدة ، لأن الدين لله ولابد للمسلم أن يؤمن بعد الله ورسوله بأنبياء الله جميعاً ورسله وكتبه السماوية كلها ...

ولذلك يدعو الإسلام المسلمين إلى المجادلة بالتي هي أحسن مـن أجـل التعـاون والتعاضـد الإنساني لخير البشر جميعا ، وكذلك يدعو إلى الاقتداء برسول الله ع الذي لم يكن في يوم فظاً غليظ القلب بل كان بشوشاً متسامحاً ٠٠إن دعوة الإسلام للأمن والأمان ونبذ العنف والتطرف والإرهـاب دعوة شاملة متكاملة ...

---

[1] ـ الآية ٦ سورة التوبة .

[2] ـ رواه أحمد بن حنبل .

[3] ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٣٤ .

[4] ـ رجاء أبو علام ، تنمية الوعي لمفهوم السلام والتسامح لدي الأطفال ، المرجع السابق ، ص ١٤٢.

فالإسلام لا يعرف الإرهاب مطلقاً ، بأي صورة من الصور ، بل يشجبه ويمقته ويحاربه ، وحكمه حرام عند الله ، يُعذب بالخزي في الدنيا ، وبالنار في الآخرة ، لكل من يمتهنه ويتخذه أسلوب حياته ، وهذا مما يدل على أن الإسلام أدرك خطورة الإرهاب في كافة صوره ، أو حتى في حالته البسيطة وهي مجرد تخويف أو ترويع الآمنين ([1]) ..

٤ ــ الإسلام ودعوته لمكافحة الإرهاب بشكل شامل :

الإسلام دين أمن وسلام ، لذلك فهو يحث أتباعه على مكافحة الإرهاب بكافة صوره ، ومقت كل أساليبه ، وخصوصاً إرهاب وترويع الآمنين المدنيين ، حتى الكافرين منهم لا يمكن أن نُـروعَهم أو أن نُرهبهم ، قال الله تبارك تعالى : (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ([2]) .

والإسلام دين المحبة الشاملة والرحمة الواسعة والإحسان والعطف على الجار والتكافل الاجتماعي الذي يسود نظام الأسرة والمجتمع ، لأن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يروعه ولا يخيفه ، لأن العبادات التي شرعها الله سبحانه وتعالى على الناس لا نستطيع أن نقوم بأدائها إلا في جو يسوده الأمن والسلام ، ونبتعد فيه عن العنف والمشاحنات والتطرف والإرهاب ...

ولذلك كانت رسالة الإسلام رحمة للعالمين والنبي ε بُعث رحمة للعالمين وصدق الله العظيم : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ([3]) ، وهذا النص يجعل الأمن هو السائد والإرهاب هو المنبوذ ، لأن الراحمين يرحمهم الرحمن ، أما التطرف والإرهاب فيجب مقاومته بشدة ([4]) .

بل طلب الله من الناس أن يكون لسانهم طيباً وأفعالهم طيبة، وأن يسعوا لفعل الخير ويبتعدوا عن الشر : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ([5]) ، ويقول الرسول ε : (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر) ([6]) ، والرسول ε يقول : (من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله

---

[1] ــ منصور الرفاعي عبيد،الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة قضايا إسلامية ، ١٩٨٧م ، ص٣٣ وما بعدها.

[2] ــ الآية ٨ سورة الممتحنة .

[3] ــ الآية ١٠٧ سورة الأنبياء .

[4] ــ إبراهيم نافع ، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٤م ، ص ٢٩-٣٢ .

[5] ــ الآية ٣٤ سورة فصلت .

[6] ــ رواه البخاري .

منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) ([1]) ، وترويع أهل المدينة بمجرد الإخافة مثال فقط على عدم ترويع الآمنين في كل مكان ، وعن النعمان بن بشير قال : (كنا مع رسول الله ε في مسير ، فخفف رجل مع راحلة ، فأخذ الرجل سهما من كنانته فانتبه الرجل ففزع ، فقال رسول الله : لا يحل لمسلم أن يُرَوِعَ مسلما) ([2])...

بل حثنا القرآن الكريم على ترك الجدل المتسم بالتعصب واللجاجة والتطرف ، والذي يعمل على عدم الانصياع إلى الحق مع الآخرين لأن الجدل يؤدي إلى الخصام والتقاطع والتطرف وربما يؤدي للإرهاب سواء كان إرهاباً فكريا أو تصفية جسدية ، قال الله تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..) ([3]) ، وقال سبحانه : (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ([4]) .

هذه هي دعوة الإسلام الخالدة لنبذ التطرف ومحاربة الإرهاب ومقاومة الديكتاتورية والجدال ورفض الترويع وتحريم إراقة الدماء ، كحق أصيل ، كفله الإسلام ، للناس أجمعين ، في شتى أنحاء الأرض ....:

- لأن استخدام القوة في الإسلام ليس للعدوان ولا للإرهاب لكل الآخرين ...
- بل على النقيض من ذلك فهو للدفاع عنهم وعن مقدساتهم وعن عقائدهم ...
- فالإسلام يأمرنا بنبذ الإرهاب ومحاربته نهائياً ([5]) ...
- وفي المقابل حماية جميع بيوت العبادة لكل الأديان السماوية : اليهودية والمسيحية والإسلام ، كما قال ربنا سبحانه : (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)([6]) ...
- فالعنف والإرهاب ليس له علاقة بالإسلام من قريب ولا بعيد ، لأن الإسلام دين الرحمة ودين السلام والحوار والتعارف والتعاون والتحضر أيضا.

من هنا ...

نجد أن الإسلام يدعو لمكافحة الإرهاب بشكل شامل ومتكامل ، نعم ... لأن محاربة الإرهاب بشكل جزئي لا يؤدي لاقتلاعه من جذوره ويظل خطراً علينا ...ولذلك ، لابد وأن يتكاتف الجميع :

---

[1] ــ رواه أحمد بن حنبل .

[2] ــ رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

[3] ــ الآية ٤٦ سورة العنكبوت.

[4] ــ الآية ١٤٨ سورة النساء .

[5] ــ راجع : عبد الصبور مرزوق ، رسائل إلى عقل الغرب وضميره : عالمية الإسلام وإنسانيته ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ــ٢١٦ ، وأيضاً ص ٢٤٩ــ٢٥٠.

[6] ــ سورة الحج: من الآية٤٠ .

شعوباً وأفراداً ، أمماً ودولاً وجماعات ، منظمات دولية وإقليمية وحكومات ، كل أتباع الأديان والرسالات ، ولذلك سنرى منهجاً في مهاية هذا الفصل من أجل شمولية الدعوة لمكافحة الإرهاب على أرض الواقع الذي نعيش فيه ، في العصر الحالي ، انطلاقاً من المفهوم الإسلامي الذي رأيناه وعلمناه في هذا الفصل (رؤية عصرية بمنهج إسلامي) ...

٥ ـ الدعائم الإسلامية لتأمين المجتمع من الإرهاب والعنف والتطرف :

عكس كل ما يروجه الغرب ، فإنه الإسلام ، كما رأينا ، كان أبرز من تصدى للعنف والتطرف والإرهاب ، بل وساهم في خطوات لتأمين المجتمع من الانحراف والإرهاب نظرا لعالمية الإسلام وتكامل الفكر والمجتمع في منهجه ، ومن الدعائم الإسلامية لتأمين المجتمعات من التطرف والإرهاب والانحراف نجد ما يلي :[1]

ـ قرر الإسلام وحده الفكر وترابطه بجميع عناصره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية ، وقرر في ذات الوقت وحدة المجتمع بجميع عناصر أقويائه وضعفائه وفقرائه وأغنيائه ، وبذلك حمى أساس المجتمع من التطرف والإرهاب ٠

ـ اعترف الإسلام بالرغبات الحسية للإنسان ودعا إلى تحقيقها عن الطريق الطبيعي والمشروع فحمى المجتمع من آفة التمزق النفسي ، وبذلك سد منفذ هام من منافذ العنف والإرهاب الذي يبدأ بالرغبات الحسية ٠

ـ ربط الإسلام بين الروح والمادة في الفكر ، كما ربط بين الدنيا والآخرة ، فحرر المسلمين من انفصام الشخصية أو انحرافها .

ـ ربط الإسلام بين الإيمان والعمل وبين الفكرة والتطبيق ، مما مهد لارتباط وثيق بين العلم والعمل وصولا للحياة المنتجة الإيجابية لكافة أفراد المجتمع .

ـ إقرار الإسلام لمبدأ البعث والجزاء كان دعامة المسئولية الفردية في الحياة الدنيا ، والتأكيد على أنه لا يمكن أن يمر شر بدون عقاب .

ـ يقرر الإسلام بقوة وحسم أن الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، مما ينشر الثقة ويدفع باليأس من نفوس المسلمين .

---

[1] ـ راجع : أنور الجندي : عالمية الإسلام ، القاهرة ،دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، العدد ٤٢٦ ، ١٩٧٧م ،صـ٩٠ – ٩٤ ، وأيضا محمد ماهر ، الكفاح ضد الجريمة في الإسلام ، مرجع سابق ، ٧٧ـ٨٣.

ــ ألغى الإسلام فكرة أن هناك صراعاً بين الجسم والروح ، وهى التي تمهد لانفصام الشخصية والعنف ، بل أكد أنهما متكاملان .

ــ قرر الإسلام المسئولية والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة في كافة الأعمال والمعارف والمال والقوة والعبادة .

ــ دعا المسلمين على اتخاذ العلم النافع والأخذ بأحسن العلم دون شطط أو تطرف .

ــ هاجم الإسلام الخرافات والسحر والكهانة فطرد الأوهام والمعتقدات الباطلة .

ــ أنكر الإسلام العنصرية أو الامتياز الفردي القائم على الدماء والأعراق ، ووضع مقياسا واحد هو التقوى والعمل الصالح .

ــ وضع الإسلام القدوة الحسنة ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ــ قرر الإسلام الارتباط بين الأخلاق وأدوات الإنسان وحياته بعيدا عن الإثارة .

ــ دعا الإسلام إلى التربية والتهذيب الخلقي حتى لا يصبح العلم سلاح ذو حدين للهدم والتدمير بل للبناء والتعمير .

ــ الحرية التي جاء بها الإسلام حرية منضبطة بالعدالة الإنسانية والمجتمعية على مستوى الفرد والمجتمع ، وتسعى هذه الحرية إلى تحرير العقل الإسلامي من اللهث وراء المادة فقط ، بل هي حرية مسئولة أمام الإنسانية كلها .

ــ الجميع في الإسلام يستحقون الاحترام والتقدير بقدر ما يتحلون به من صفات طيبة كالعقل والعلم والعمل والخلق .

بهذه الدعائم ، وبمنطق إنساني معتدل ، يصلح لكل زمان ومكان ، يكون الإسلام قد أغلق كل منافذ التطرف والجهل والعنف والإرهاب والعدوان ، بل ويكون قد دعا إلى المجتمع المثالي بلا عنف ولا تطرف ولا إرهاب .

٦ ــ المبادئ الإسلامية لمقاومة الإرهاب في أثناء الحرب :

إذا كان الإسلام قد حدد بداية وسائل وأساليب نشر الدعوة الإسلامية في كافة المجتمعات ، عن طريق ٣ وسائل هي[1] :

[1] ــ راجع حامد سليمان : ألغام في طريق الصحوة الإسلامية ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٩٠ ، صـ١٥٣ – ١٥٤ . وأيضا : يوسف القرضاوى ، الصحوة الإسلامية بين الجمهور والتطرف ، قطر ، كتاب الأمة – رقم ٢ ، شوال ١٤٠٢ هـ ، صـ ١٢٩ وما بعدها . وأيضا عبد الله بن عبد المحسن التركي : الأمن في حياة الناس ، مرجع سابق صـ ١٢١ – ١٢٣ .

ـ اللين والرحمة ، مصداقاً لقوله سبحانه : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ([1])

ـ واحترام حرية الإنسان في اختيار عقيدته ، مصداقاً لقول الله سبحانه : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:٩٩)

ـ وعدم إجبار أو إرهاب الناس على الدخول في الدين ، مصداقا لقول الحق سبحانه : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (هود:٢٨)

فإن الإسلام قد دعا إلى عدم ترويع المدنيين وحذر الناس من القوة حتى على الحيوان ، وفى أثناء الحروب كان الإسلام يُحَرِمُ على الجيوش الإسلامية :

ـ قتل الشيوخ والنساء والأطفال ..

ـ انتهاك الأعراض ..

ـ قتال رجال عُزل من السلاح ..

ـ دهس النبات أو اقتلاع الأشجار والنخيل ..

ـ ترويع القرى والمدن الآمنة ...

ـ إرهاب الناس وإكراههم بالسلاح لدخول الدين ...

ـ جمع ضرائب مرهقة لظروف البلاد المفتوحة ...

ـ عدم الإحسان إلى أهل البلاد التي يتم فتحها وإلى الأسرى من هذه البلاد ، وعدم معاملة الأسرى بالحسنى .

من هنا فإن لا إرهاب ولا ترويع في الإسلام ، ولو جاء من محض عود صغير من الحطب ، ولو كان ذلك في الحروب الإسلامية النظيفة من كل تجاوزات ، لأن الإسلام منذ البداية دعوة ضد العنف ، بل هو دعوة ضد كل أنواع الإرهاب ، ولو كان في أثناء المعارك الحربية ، لأنه دعوة شاملة لمقاومة الإرهاب حتى في الحرب .

---

[1] ـ سورة آل عمران:الآية ١٥٩ .

٧ ــ خطوط دولية عريضة لمواجهة الإرهاب :

هناك العديد من الدراسات التي تنادى بمواجهة الإرهاب من منطلقات مختلفة سياسية أو اقتصادية أو أيدلوجية ، وعلى المستوى الداخلي وعلى المستوى الدولي ، ومن هذه الخطوط التي يمكن إيجازها فيما يلي : ([1])

ــ التحديد الدولي للعنف والإرهاب بأنه " جريمة ضد الإنسانية " قد يردع الجماعات الإرهابية والمشاركين فيها ويساعد على إجتزاز الإرهاب من جذوره .

ــ تقارب المواقف الدولية حول العنف والإرهاب ضرورة قصوى ، حتى يمكن محاصرة العنف والإرهاب على المستوى الدولي ، لأن هناك تباينا واضحا في مفهوم العنف بين الغرب والشرق وبين الغرب والشرق والعالم الإسلامي .

ولقد آن للدول جميعاً أن تقوم بالتنسيق فيما بينها وتتعاون ، ومن خلال المنظمة الدولية الأمم المتحدة ، للوصول إلى معاهدة دولية لمكافحة الإرهاب تكون أساساً للتعاون الدولي في مكافحة هذه الظاهرة التي تمثل وبالاً على العالم كله وسلامته ، مع ضرورة النص بوضوح على حق الكفاح من أجل الاستقلال للشعوب التي مازالت تقع تحت سطوة الاحتلال الأجنبي ، والتفرقة بين حق الكفاح للشعوب والإرهاب ، وكذلك ضرورة التعاون الأمني الكامل بين دول العالم بعيدا عن المحلية والمصلحة وازدواجية المعايير والأنانية التي تساعد فلول الإرهابيين على إعادة الانتشار والتخطيط لمزيد من العمليات الإرهابية على مستوى العالم مستغلة بعض التسهيلات أحادية الجانب التي تمنحها بعض الدول لهؤلاء الإرهابيين([2]) .

---

[1] ــ إلياس زحلاوى : ترجمة المجتمع والعنف (لمجموعة من المؤلفين) ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، طـ٣ ، ١٩٩٣ م صـ ١٥٠ وما بعدها .

[2] ــ راجع في شأن مقترحان مقاومة الإرهاب والإرهابيين ما لا يتسع المقام لذكره من الكتب والمراجع التالية : موريس إريك وآلان هو ، الإرهاب : التهديد والرد عليه ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١م ، سلسلة الأعمال الفكرية ، ص ١٦٣ ، وأنطونى سكوتي : أمن رجال الأعمال الإرهاب الدولي ، القاهرة ، مركز المعلومات والدارسات ، بدون تاريخ ، صـ ٢٠٥ – ٢٠٨ ، ونبيل أحمد حلمي ، تقديم دراسة استخدام القوة في العلاقات الدولية من منظور القانون الدولي ، القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة دراسات دولية رقم ٢٩ ، ٢٠٠١ م ، صـ٨٥ – ٨٨ ، ومنصور الرفاعى عبيد : موقف الإسلام من العنف ، مرجع سابق ، صـ ٦٨ – ٧٠ ، ومحمد موسى عثمان ، الإرهاب : أبعاده وعلاجه ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م ، ص ٨٣ ، وسهير لطفي ، إشكالية هوية الشباب المسلم بين الفكر والحركة ، في ، كتاب جذور الإرهاب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م، ج١ ، ص ٦٢ـ٦٤ ، ١٢ – هشام الحديدي ، الإرهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ـ٣٩٥ ، وجلال أمين ، العولمة ، مرجع سابق ، ص ٥٠ وما بعدها ، حيث يناقش بالتفاصيل أخطار العولمة في كافة صورها وأثرها على تصاعد الإرهاب والغزو الفكري والثقافي والتجاري في العالم ، وميلاد حنا وآخرين ، صراع الحضارات والبديل الإنساني ، القاهرة ، الأهرام ، مركز

ـ ضرورة حل مشاكل الاحتلال في العالم ، وأهمها في منطقة الشرق الأوسط ، وحل القضية الفلسطينية على وجه الخصوص ..

فالقضية الفلسطينية محور انتشار السلام والأمن في قلب العالم ، لأنها بمثابة نقطة حيوية في انتشار العنف ، من منطلق أن عدم منح الفلسطينيين لحقوقهم الدولية المشروعة يساهم في زيادة العنف والتوتر في الشرق الأوسط كله .

ـ الحث على المقاومة السلبية للمحتل وللغازي كما فعل غاندي ، مما يؤدي إلى عدم العنف وخروج الاحتلال ، هي معادلة قد تكون غير سهلة وغير ميسرة في الوقت الحاضر الذي ينفتح فيه الداخل على الخارج بصورة كبيرة ، ولكنه طريق للخلاص من دعاوى الغرب بالعنف ضد الشعوب التي تريد تقرير مصيرها

ـ توجيه دفة العولمة لتكون أكثر تعبيرا عن الواقع الدولي المعاصر لمنع استغلالها بواسطة متحدى العولمة .

ـ ضرورة التجمع الدولي وإنشاء آلية دولية تابعة للأمم المتحدة لإنهاء التمرد الفوضوي الذي يحدث في العديد من البلدان ، مما يؤثر على الأمن والاستقرار الدولي ، بل ويزيد حدة التطرف والإرهاب في العالم كله .

ـ وضع ضوابط قانونية على النظم الحرة ، لمنع استغلال الإرهابيين لمناخ الحرية بلا قيود والديمقراطية المفتوحة .

ـ حصر ومقاومة النظم الاستبدادية التي تساعد على العنف والتطرف والإرهاب في عالم الحضارة اليوم ، وتشجيع المشاركة السياسية والتعددية في إطار من فهم خصوصيات القوميات والعقائد ، يعنى الشورى الإسلامية هي النظام السائد في الدول الإسلامية وهى نظام ديمقراطي مسئول ، وهكذا .. لأن التعددية والمشاركة ليست مرتبطة بآليات الليبرالية الديمقراطية النيابية وليست النيابية أو الليبرالية الوسيلة الوحيدة للديمقراطية .

ـ تقويم نظام السماوات المفتوحة والفضائيات والإعلام الدولي والإنترنت الذي يساعد على انتشار العنف والإرهاب وإعادة النظر في أهميته الدولية ، بل لابد من استغلال كل هذه الوسائل في نقل التكنولوجيا والتطور والنمو ونشر القيم والمحبة والتسامح ، ويرها من مكونات الحياة الإنسانية الصحيحة .

الدراسات السياسية والاستراتيجية ، سلسلة كراسات استراتيجية ، رقم ٣٠ ، يونيو ٩٥ ، ص ٢٤ــ ٢٧ ، وفواز أ . جرجس : أمريكا والإسلام السياسي : صــ ٤١ حضارات أو تضارب مصالح ، ترجمة سعود عطية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة ٨٤٠ ، ٢٠٠٠ م ، صــ ٢٤- ٢٥ ، ومحمد عبد الكريم نافع ، الأمن القومي ، القاهرة ، دار الشعب ، يونيو ١٩٧٥ ، صــ ١٠٦ – ١٠٨ .

ـ العمل على منع الاحتكار الدولي والقضاء على التبعية الاقتصادية ، لأنها وسيلة أثبتت فشلها وعدم فعاليتها دوليا ، بل لم تساعد في القضاء على العنف والتطرف والإرهاب الذي يأتي من البغض الدولي والشخصي .

ـ قيام الأمم المتحدة بدور رئيسي ومحوري في مكافحة الإرهاب ، لأنه أصبح سمة دولية ولا بد من مواجهته بأسلوب دولي معين عن طريق عقد مؤتمر دولي لمناهضة الإرهاب ، من خلال قمة عالمية ،على نفس نهج انعقاد المؤتمرات المسماة دولية ، مثل المؤتمر الدولي للسكان والمرأة والبيئة والغذاء وقمة الأرض ٠٠٠الخ .

كانت تلك أهم المحاولات الفردية والجماعة لمقاومة ومواجهة الإرهاب على المستوى الداخلي وعلى المستوى الدولي والذي يؤدى إلى إنهاء الإرهاب والعنف والتطرف على المستوى الإنساني ، ولكنها محاولات نظرية لا ترقى إلى التطبيق الذي تتحكم فيه المصالح الدولية والهيمنة والاحتكار من جانب بعض المؤسسات الدولية والقوى والصراعات الدولية مما يزيد من مساحة العنف والتطرف والإرهاب .

٨ ـ حماية المرأة من الإرهاب لأنها من أهم عناصر المجتمع :

ولقد كرّم الإسلام المرأة أيما تكريم وأعطاها حقوقها كاملة منذ فجر الإسلام ، كما رأينا من قبل في الحرب قبل السلم ، فشاطرت الرجل الحياة والحقوق والواجبات ،وساندته في الحرب وآزرته في السلم ، وجاهدت وتعلمت وعلمت ، فهناك المجاهدات اللامعات مثل خولة بنت الأزور التي سماها التاريخ فارسة الصحراء ومثل نسيبة بنت كعب التي دافعت عن الرسول ε في غزوة أحد ، حتى أن النبي ε أعلن أنها فعلت مالم يفعله الرجال ، وصفية بنت عبد المطلب وغيرهن الكثير ، وهناك أول سيدة أعمال في الإسلام السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تعمل بالتجارة ، وهناك عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما كانت تجيد القراءة ، وكانت زوجات رسول الله ε قسيمات عائشة في إذاعة العلم وإفاضة الدين على المسلمين ، هذا وكانت هناك السيدة حفصة رضي الله عنها تجيد الكتابة وغيرها (١) ، من رواة الحديث الثقات الكثير من النساء مثل الرُبيع بنت معوذ الأنصارية التي روت الكثير من الأحاديث وقالت : (كنا نغزو مع رسول الله ε ونسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) (٢).

[1] ـ محمد خالد ، المرأة العاملة : تحديات الواقع والمستقبل ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٩م ، ص٣٨ ـ ٣٩ ، وأيضاً ابن كثير ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ ، ص١٢٠ وما بعدها .

[2] ـ أخرجه البخاري والنسائي .

ـ أما حق المرأة في الحماية من الإرهاب وفي الأمان وقت السلم ووقت الحرب فلا تحده حدود ، فلقد أعطى الإسلام المرأة الأمن والأمان في وقت السلم وفي وقت الحرب ، فمن سنة النبي ε أنه أوصانا وشدد على حماية المرأة أثناء الحرب ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε قَالَ : (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (1) ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ خليفة رسول الله ε ـ يدعو لعدم تعرض المحاربين للمرأة في الحرب نهائيا ، بل قدمها سيدنا أبو بكر في وصيته فأعطاها الأولوية في الأمان وعدم التعرض لها وهذه قمَّة الإنسانية واحترام خصوصية المرأة في الإسلام ، فإنه يروى عن يحي بن سعيد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد بعث الجيوش إلى الشام وبعث يزيد بن أبي سفيان أميراً وأوصاه (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل) (2)..

٩ ـ حق الأطفال في الأمن والأمان والحماية من الإرهاب :

وهذا حق قديم في الإسلام ، فالمسلم كما وصفه النبي ε في الحديث الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) (3) ...

فنحن نجد أن الإسلام أعلَى من الأمن كقيمة وكمفهوم وكمبدأ ، ونهي عن الإرهاب بكافة صوره وأشكاله ، بدءًا من مجرد ترويع الآمنين أو تخويفهم أو حتى مجرد الخوف عليهم من عبث العابثين ، فنهي الإسلام عن أن يروع المسلم أخاه المسلم ، فقال " لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً " (4) ، كما نهي عن أن يشهر السلاح من المسلم على أخيه المسلم حتى لو كان مُزاحا وليس حربا أو عدوانا ، ، لهذا ، فإن الأطفال من أهم حقوقهم في الإسلام أن نؤمنهم ضد الإرهاب وأن نعطيهم حق الحياة في سلام واطمئنان وأمان كامل ...

ومن هنا تنبع أهمية حماية أطفالنا من الإرهاب وضمان أمنهم وسلامتهم ، ولم لا ؟! ....

1 ـ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

2 ـ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

3 ـ رواه الترمذي بلفظه حديث رقم ٢٥٥١، ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والدارمي.

4 ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .

فالأطفال هم الأمل وفلذات الأكباد ولابد أن نضعهم في منظورنا ، من أجل حمايتهم من كافة أنواع العنف والإرهاب والترويع والتطرف : فحماية أطفالنا من الإرهاب وضمان أمنهم وسلامتهم مسئولية تقع على الجميع ...

لأن حماية الأطفال من الإرهاب تعنى حماية المستقبل وحماية الأمل ، وحماية الأطفال من الإرهاب هي حماية مزدوجة ، أي وقاية وأمان من العمليات الإرهابية ...

وعلى الأسرة دور كبير في حماية أطفالهم من الإرهاب لأنهم في المنهج الإسلامي رعاة : الأب راع ، والأم راعية ، وكل راع مسئول عن رعيته ، ولكن هناك دور أيضاً للكبار والأمهات والمعلمات والمشرفات ، لأن الجميع مسئول مسئولية كاملة عن أمن الأطفال وحمايتهم ضد أي إرهاب محتمل ، وذلك بتأمينهم وإزالة الخوف عنهم وتحفيزهم للدفاع عن أنفسهم وغير ذلك من طرق حماية الطفل وأمنه ومنها : ([1])

ــ لابد أن تعلم الأم ويعلم الأب أنه مهما كان المكان الذي يعيشون فيه فإنهما مسئولان عن أمن أطفالهم ، لأنهم مجرد أطفال ، والكبار مسئولون عن تأمين كافة الأنشطة التي يقومون بها ، ولابد أن يعلم الجميع أن الأب أو الأم لن يكونا مع الأطفال طول الوقت ، وبالتالي عليهما تعريف الأطفال بكيفية التصرف في مختلف المواقف ، خاصة تلك المواقف التي تتطلب منهم اتخاذ قرار ما ، من هنا ينبغي عدم إخفاء الحقائق عن الأطفال ...

ــ كما ينبغي أن نناقش معهم الأمور المتعلقة بأمنهم وأمن الأسرة عامة ، ولابد من التأكد من أنهم يتفهمون ويقدرون الحاجة لبرنامج الأمن الشخصي ، ومن ثم فإن تأمين ومتابعة نشاط الأطفال عند الانتقال للمعيشة أو العمل في بلد آخر لا يمثل شيئاً جديداً أو غريباً، وكل ما هنالك أن الأب والأم مطالبان بزيادة الحذر عندما تكون الأسرة في بيئة بها نشاط إرهابي ..

ــ وقد يتطلب الأمر الحد من بعض الأنشطة التي يقوم بها الأطفال ، والنصيحة تكون بمعاملة الأطفال وكأنهم كبار في كل ما يتعلق بأمن الأسرة ، فيمكن شرح أسباب الحد من أنشطة معينة يود الأطفال القيام بها ، لأنهم إذا تفهموا الأمر فسوف ينفذون التعليمات ، أما إذا حدث العكس فقد يراودهم إحساس بأنهم يتعرضون لظلم أو تعسف أو قيود غير ضرورية ، أو قد يرون في تلك القيود مجرد عقاب يوقع عليهم ، ومن هنا ، تأتي الكوارث ، وعلى ذلك ، فإنه من الضروري أن يفهم كل فرد من أفراد الأسرة أن الحياة في بيئة إرهابية ، أو قريبة من موطن إرهابي ، ستكون مختلفة عنها في بيئة عادية ، وأنها تتطلب تضحيات من كل منهم بما فيهم الأطفال ..

---

[1] ــ أنطونى سكوتي : أمن رجال الأعمال الإرهاب الدولي ، القاهرة ، مركز المعلومات والدارسات ، بدون تاريخ ، صـ ٢٠٥ – ٢٠٨ .

ــ وحيث أن الأطفال يَمْضُون معظم وقتهم في المدارس ، فإن علينا أن نجد لهم مدرسة لا تقدم التربية الجيدة فحسب ، وإنما توفر لهم أمناً جيداً كذلك ، وينبغي الاتفاق مع إدارة المدرسة على عدم السماح للتلميذ بمغادرتها ، إلا بعد الاتصال بوالديه أو الشخص الذي يحدده الوالدان لاستلام التلميذ من المدرسة خلال ساعات الدراسة ، وعلى إدارة المدرسة أن تتأكد من شخصية أي إنسان يطلب من خلال التليفون السماح لتلميذ معين بالخروج قبل انتهاء اليوم الدراسي ، وإذا راود الإدارة أي شك ، فعليها ألا تسمح بخروج التلميذ بأي حال من الأحوال ، وإذا خرج التلاميذ في رحلة أو غيرها ، فينبغي أن تقوم إدارة المدرسة بمراقبة الأشخاص، والذين يتسكعون حول المدرسة أو بالقرب منها ، فإذا اشتبهت في أي منهم فينبغي إبلاغ الشرطة فوراً ، على أن تزودهم بأوصاف الشخص المشتبه فيه ..

ــ علي الآباء أن ينصحوا أطفالهم باتخاذ خط السير الذي نراه أكثر أمناً من وإلى البيت والمدرسة ، وأكثر خطوط السير أمناً هو ذلك الذي يَمُر بشوارع مليئة بالناس والأطفال الآخرين ..

ــ ينبغي التعرف على أصدقاء الأطفال ومراجعة خلفياتهم وأسرهم وعائلاتهم ، كما ينبغي أن تخضع أنشطة الأطفال خارج المنزل لنفس الضوابط التي يخضع لها نشاط الكبار خارج المنزل ، إذ يَتَّعَيَّن على الأطفال أن يحذروا الذهاب إلى أماكن ومناطق مجهولة بالنسبة لهم ، خاصة في أوقات معينة من النهار أو الليل ، وكل ذلك يوفر لهم قدراً من الحماية إزاء الهجمات الإرهابية العشوائية ضد الأطفال أو الفتيان ، ومرة أخري ننصح بمراجعة نشاط أطفالك خارج البيت ، وأن تعمل بقوة وحزم على الحد من الأنشطة التي تنطوي على أخطار مختلفة على حياتهم..

ــ ونلاحظ أن الأطفال يملكون ذكاءً وقدرة على التصرف أكبر مما يراه آباؤهم وأمهاتهم فيهم ، فالأطفال في بعض الأحيان يَقْدَرُون على اتخاذ القرار السليم في الوقت السليم ، ويكتسب الأطفال ، بمرور الوقت ، مهارات جديدة تمكنهم من النجاة مما قد يتعرضون له من أخطار ، ولكن المشكلة تكمن في قلة الخبرة وعدم القدرة على التصرف إزاء موقف يواجههم لأول مرة ، ولذلك ، فهناك ضرورة لتزويدهم بما هو ضروري وملائم من المعلومات ، ولابد من منحهم الثقة وجعلهم يثقون في قدرتهم على التصرف السليم ..

ــ لابد من العلم بأنك إذا نجحت في تنفيذ برنامج الأمن الشخصي فإن أطفالك سوف ينعمون بإقامة طيبة أينما كانوا ، وبطفولة سعيدة أيضاً ..

ــ عليك أن تشجع أطفالك على التحدث إليك عن أي مشاكل أو أمور تتعلق بالأمن ، ولا بد من تحذيرهم من الاقتراب من أي سيارة غريبة أو الدخول فيها ، بل يجب تحذيرهم من الخروج مع أي شخص يدعي أنه جاء من طرف الأبوين ليأخذهم من المدرسة أو من عند الأصدقاء ..

ـ لابد من تحذير الأطفال من عدم اللعب في أماكن خالية أو مهجورة ، ولابد من تشجيعهم على اللعب مع أطفال آخرين ..

ـ بالنسبة للأطفال الأكبر سناً ، قد يتركون المنزل وحدهم ولو لفترة وجيزة ، فلابد من متابعة سيرهم ومواعيدهم بدقة للاطمئنان ...

ـ يتم التنبيه على الأطفال بعدم تزويد أي متحدث على التليفون بأية معلومات خاصة عن أسمائهم وعنوان منزلهم ، وعليهم في كل الحالات ألا يخطروا المتحدث بأنهم وحدهم في المنزل ، ومن الأفضل عدم قيام الأطفال بالرد على الهواتف ، إلا إذا كان هناك اتفاق على مكالمة معينة في وقت محدد ...

ـ ابتداء من سن الرابعة أو الخامسة : ينبغي أن يعرف الأطفال كيفية طلب الشرطة تليفونيا لطلب النجدة ، والتأكد من وجود أرقام الطوارئ قريبة من جهاز التليفون في مكان واضح ، ولا يترك الأفراد بمفردهم دون تحديد الشخص الذي يمكنهم الاتصال به في حالات الطوارئ ، واترك لهم رقم تليفونك وتليفون من تثق بهم..

ـ لابد أن يعرف الأطفال الأشخاص المسموح لهم بدخول البيت أثناء غياب الأب أو الأم ، والتأكيد عليهم بعدم دخول الغرباء المنزل لأي أمر كان ..

ـ ضرورة إعداد خطة لمواجهة أي أمر لا يطيب للإنسان التفكير فيه ، مثل اختفاء الطفل أو الطفلة ، ولابد من التنبيه على المدرسة بإخطارك فوراً في حالة عدم حضور طفلك للمدرسة أو تأخره لأي سبب كان ..

ـ وهناك العديد من الإرشادات لحماية الأطفال من الإرهاب([1]) ، ومنها : ترك أبواب غرف الأطفال مفتوحة حتى يمكن سماع أي صوت غير عادي يحدث فيها ، عدم ترك الأطفال الصغار بمفردهم في المنزل ، التنبيه على الأطفال بغلق الأبواب والنوافذ وعدم السماح لأي غريب أو غير معروف لديهم بدخول المنزل نهائياً ، بأي حجة مثل فحص الكهرباء أو المياه أو الهاتف ، إلا بعد موافقة الأب أو الأم ، وتعريف الأطفال للاتصال بالشرطة في حالة وجود أشخاص يحاولون اقتحام المنزل ، أو وجود غرباء يحومون حول المنزل ، وضرورة الإضاءة الجيدة للمنزل ، والتنبيه على الخدم بعدم السماح للغرباء أياً كانوا بدخول المنزل ، والإشراف الكافي من المشرفين على كافة الأنشطة المدرسية ، وتنقل الأطفال في مجموعات أو أفواج أثناء الرحلات والزيارات ، ورفض مرافقة أي غريب أثناء هذه الرحلات ، واستخدام المناطق المخصصة للعب لحماية الأطفال ، والإبلاغ عن الأشخاص الذين يضايقون الأطفال ، توفير تليفونات محمولة للاطمئنان الدائم على الأطفال أثناء

---

[1] ـ راجع : إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، فن التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص ٨٤ـ٨٦ .

الرحلات ، والبُعد عن أماكن المشاجرات والصراعات والمشاحنات والعصابات والمظاهرات والعنف والاضطرابات بأي صورة من الصور ، وغيرها من الوسائل ...

ـ حق الحياه السعيدة : وهذا يسمى حق الحياة وهو مكفول كفالة تامة لجميع المواليد في الإسلام ، فلا يجوز قتل طفل لأنه معوق أو مشوه ، ولا يجوز وأد البنت لأنها أنثى ، بل لا يجوز المساس العمد بالجنين لأنه قتل نفس بغير الحق ، وكذلك يأمرنا الإسلام بعدم قتل الأولاد مظنة الفقر والإنفاق ، فالأولاد نعمة والرزق مكفول من الله فهو سبحانه وتعالى القائل : " وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ "(١) ، ومن حق الأولاد أن ينعموا بحياة جميلة ليس فيها منغصات ، فحق الحياة للجميع ، فطالما وُلِدَ الولد يعطيه الإسلام حق الحياة ، بل طالما تكون الجنين في رحم أمه حُرِّمَ قتله بالإجهاض وخلافه ، ولذلك أكَّد الإسلام على حق الطفل في الحياة .

ومما يُحمد للشريعة الإسلامية أنها لا تعرف التمييز بين قواعد دولية وبين قوانين وقواعد داخلية ، لذلك فإن ما يتقرر للأفراد من حقوق في المجتمع الإسلامي الداخلى يُعد سارياً في علاقة الدول الإسلامية بالدول الأخرى ، وما تقرره الشريعة الإسلامية من حماية للفرد في السلم تسري في الحرب ، ولهذا أكدت الشريعة الإسلامية السمحاء عن حق كل نفس نفخ فيها الروح ولو في أرحام الأمهات في الحياة كمسألة ضرورية ، فأرسى الإسلام حرمة الحياة وحرَّم سلبها ، إلا لأسباب عادلة ، حددها بوضوح كامل ، كما يقول الحق سبحانه : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (٢) ، فقتل النفس في الإسلام لا يجوز إلا بالحق من أجل صيانة النفس وحماية الذات البشرية ونشر السلام والأمن والاطمئنان للناس جميعاً ولأولادهم وللأجيال القادمة بعد الحالية (٣) ...

وهذا الحق حق أصيل بالقرآن والسنة ، قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)(٤) ، وقال الله سبحانه : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)(٥) ، وقال سبحانه وتعالى : (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ

---

[1] ـ الآية ٦ سورة هود .

[2] ـ الآية ٣٢ سورة المائدة .

[3] ـ راجع جعفر عبد السلام ، القانون الدولى الإنساني في الإسلام ، في ، أحمد فتحي سرور ، القانون الدولي الإنساني ، مرجع سابق ،ص٥٥ـ٥٨ .

[4] ـ الآية ٣١ سورة الإسراء .

[5] ـ الآية ١٤٠ سورة الأنعام .

تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ([1]) ...

• كما أن الإسلام أعطى حماية فعلية للأطفال أثناء الحروب ، فَحَرَّمَ قتلهم وحَرَّم تجويعهم والمساس بطعامهم ، والمساس بهم ، وأكدَّ على ضرورة استمرار تعليمهم ، وعدم ازعاجهم أو إهدار حقوقهم ، واعتبر ذلك جريمة في حق شرع الله عز وجل ، وهي جريمة إنسانية ضخمة ، وحاولت البشرية من خلال حقوق الطفل ومن خلال اتفاقيات جنيف شمول الأطفال بالرعاية والحماية أثناء الحروب ، إلا أنه في التطبيق العملى لم تفلح هذه الجهود الدولية في إيقاف نزيف قتل الأطفال أثناء النزاعات المسلحة ([2]) ...

وما زالت الأغلبية الكبيرة من القتلى من الأطفال ، مثل قتلى مدرسة بحر البقر المصرية التي تعرضت لقصف مباشر من قوات العدو الإسرائيلي أثناء حرب الاستنزاف ، ومثل قتل الأطفال في الانتفاضة الفلسطينية ومن بينهم الطفل محمد الدرة المسالم في الأراضي الفلسطينية المحتلة والشهداء من أطفال العراق الذين يتساقطون كل يوم ، بالرغم من المواثيق الدولية في منع إيذاء الأطفال !!!

إن الإسلام جاء بمنظومة متكاملة من الحقوق لكل لإنسان وخصوصاً حقوق الطفل ، بينما جاءت حقوق الأطفال في المواثيق والاتفاقيات الدولية مبعثرة وسطحية وغير متكاملة وغير إلزامية ، ويمكن الفكاك منها بسهولة ، سواء بالتبرير أو الاعتذار عن الأخطاء ، أو التأكيد على أن قتل الأطفال كان دفاعاً عن النفس ..

فالإسلام ، في مجال الطفولة ، كما في بقية الحقوق الإنسانية ، كان حاسماً منتصراً لكل الحقوق ، مؤكداً على ضرورة تقديم الحقوق المتكاملة للطفل ، لأنه لا يستطيع طلب حقوقه ...

ولذلك قدَّسَ الإسلام هذه الحقوق ، وطلب من المُسلم أن يوفرها لكافة الأطفال ، مسلمين وغير مسلمين ، وأثناء الحياة العادية (في حالة السلم) ، أو أثناء الأزمات أو في أثناء الصراعات والحروب والمواجهات العسكرية المختلفة ...

فهذه الحقوق واجبة التنفيذ الفوري للجميع وبدون تأخير أو تفسير ، وهذا جانب مُهم من جوانب عظمة التشريع الإسلامي الإلهي ، الذي أنزله الله تعالى للناس كافة ...

---

[1] ــ من الآية ١٥١ سورة الأنعام .

[2] ــ عامر الزمالي ، حماية الأطفال في حالات النزاع المسلح ، في ، مفيد شهاب (تقديم) دراسات في القانون الدولى الإنساني ، القاهرة ، دار المستقبل العربي وللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م ، ط١ ، راجع ص١٢٥ وما بعدها..

١٠ ــ حقوق المسنين حرباً وسلماً وحمايتهم من الإرهاب :

من حقوق المسنين أثناء الحرب : شَرَّعَ الإسلام للمُسنين حماية كاملة أثناء الحرب ، فَحَمىَ الإسلام المُسنين أثناء الحرب من وحشية المحاربين ، ووضع النبي ε مجموعة من الآداب الحربية التي يجب مراعاتها منها : العناية بالشيوخ وكبار السن ، فعن سليمان بن بريده قال : كان رسول الله ε إذا بعث جيشاً أو سرية دعا صاحبهم فأمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : (اغزو باسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيرا) ([1]) ...وأيضاً في حديث آخر دعانا الرسول ε بعدم الفتك في الحروب بالمسنين ، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِك أَنَّ رَسُولَ اللَّه ε قَالَ : (انْطَلقُوا بِاسْمِ اللَّه وَبِاللَّه وَعَلَى ملَّة رَسُول اللَّه وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانيًا وَلا طفْلا وَلا صَغيرًا وَلا امْرَأَةً ولا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائمَكُمْ وَأَصْلحُوا وَأَحْسنُوا إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الْمُحْسنِينَ) ([2]) .ومن سنة سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ε أنه كان يدعو لعدم تعرض المحاربين للمسنين في الحرب ، فإنه يروى عن يحيي بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش إلى الشام وبعث يزيد بن أبي سفيان أميراً وأوصاه : (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل) ([3]).

فحق المسنين في الأمان التام والاستمتاع بحياتهم بعد وصولهم لهذه السن حق خالص وتام في الشريعة الإسلامية في زمن السلم وزمن الحرب ، وهذا من عظمة الإسلام ..

وأخيراً ، فإن الإسلام ، بعظمة وسمو ورفعة ، حارب الإرهاب حرباً شديداً ، وأمر بقطع كل أسبابها ، وأمر باستئصال جذورها ، وأمر بالعمل ، وبكل الوسائل على محاربة كافة أشكال الإرهاب ، وأمر ببث روح الأمن والطمأنينة في نفوس البشرية جمعاء ، فلا تخويف ولا ترويع ولا تهديد للآمنين ، وأكد على ذلك نبي الله ومصطفاه سيدنا محمد ε ، ولم لا ؟؟ وهو المبعوث رحمة للعالمين من الله رب البشر أجمعين ...

---

1 ــ رواه الطبراني .

2 ــ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

3 ــ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ε ، باعث الضياء والنور والهدى لقلوب البشرية ، أما بعد ،،،

رأينا بعض شمائل رسولنا العظيم محمد بن عبد الله ε وأخلاقه وآدابه في الحرب : قبل الحرب ، وأثناء الحرب ، وبعد الحرب ، فوجدنا هذه الشمائل من قيم سامية وآداب جليلة وخُلق عظيم تغطى الأرض بنورها ، وتهدي البشرية بضيائها ، وتبعث على الأرض جميعها بريح طيب المكارم وأخلاق العظماء ، ولم لا...؟؟!! ، ألم يجمع محمد ε جميع صفات الأنبياء السابقين مثل : رجولة موسى ، ورحمة هارون ، وصبر أيوب ، وجرأة داود ، وعظمة سليمان ، ووداعة يحيى ، وتواضع المسيح ، ومان حاملاً ـ بثبات ويقين ـ لنور الهداية أمام العالمين ، فأرسله ربه سبحانه للعالمين ليكون بشيراً ونذيراً وحاملاً نور الإيمان لقلوب الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فقال سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [1] وقال المولى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)[2] ، وهو الذي يتضرع للمولي عز وجل ليستمر في رزقه بأحسن الأخلاق ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ε : إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَعْمَالِ وَأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلا أَنْتَ ، وَقِنِي سَيِّئَ الأَعْمَالِ وَسَيِّئَ الأَخْلاقِ لا يَقِي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ)[3].

وهذه الشمائل والصفات والأخلاق والآداب لسيدنا وقدوتنا ونبينا محمد ε تحتاج إلى مجلدات وآلاف الصفحات لكي نتحدث عنها ، ولكنني أكتفيت ـ كباحث ـ بعرض أهمها وأظهرها وأعلمها ، حتى يستفيد منها الجميع ، وحتى تكون مناسبة لظروف هذه الدراسة ، ولكني كمسلم يقتدي بسيدنا رسول الله ε أجد نفسي مشتاقاً ومحتاجاً ـ في كل لحظة ـ للاستزادة من هذه الأخلاق المحمدية الكريمة والعظيمة ، لنتخلق بخلق هذا الرسول الكريم ε ، والذي كان يتمثل بأخلاق القرآن في الحرب قبل السلم ......

فهذه الدراسة أبرزت بعض الجوانب الأخلاقية لرسول الله ε في الحرب وفي وقت الحرب وفي زمن الحرب ، وما أحوجنا ـ نحن المسلمون ـ للتمسك بهذه الأخلاقيات لنفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

---

[1] ـ سورة الانبياء:الآية ١٠٧ .

[2] ـ سورة سبأ: من الآية٢٨ .

[3] ـ رواه النسائي ٨٨٦،ورواه للدارمي١٢١٠ ومسلم ١٢٩٠ والترمذي ٣٣٤٣ وأحمد ٦٩١ وأبوداود ٦٤٩ .

وفي هذه الخاتمة ، وبعد أن عرفنا الأخلاق العظيمة لرسول الله ε في الحرب ، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لنقارن بين حقوق الناس أثناء الحرب في الرؤية الإسلامية وكذلك في القوانين الدولية الوضعية (كنظرة تحليلية) :

الحرب في الإسلام لا تقوم إلا عن طريق إحدى الطرق الثلاث التي ذكرناها ، ولذلك فإن الإسلام ينهانا عن العديد من الأعمال إلا في حدود ما قرره ، فمن أهم قواعد القانون الإسلامي في عدم الاعتداء أنه لا يجوز توجيه أعمال القتال إلا إلى من صار من الأعداء غير مقدور عليه ، قال الحق سبحانه :(إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً) ([1]) ، ففي حالة استسلام العدو أو عجزه تتوقف أعمال القتال فوراً ، ولا يتم الاعتداء على الجرحى أو المصابين ، وكذلك يمتنع على المسلمين التمثيل بالقتلى ، ويُحَرِم الإسلام حمل الرؤوس إلى الولاة ، ويعتبرها من أعمال البغي ، ويأمرنا الإسلام بدفن الجثث وعدم تركها معرضة للتشويه ، قال الرسول ε في حديث رويَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ε قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) ([2]) ، وكذلك يمنع الإسلام قتل الأعداء بالتجويع أو التعطيش حتى إذا كان الأعداء يفعلون ذلك ، كما يمنع الإسلام الغدر في الحرب ، ويميز بين الحيلة والغدر ، فيجوز استخدام الحيلة بشرط ألا تنقض عهد أو أمان أو ميثاق ، كما يمنع الإسلام الإبادة الجماعية ، ولا يجوز أن يُفْسِدَ جيش الإسلام في الأرض ويقوم بالتخريب أو قطع الأشجار أو عقر الحيوان ، كما بيننا من قبل .. هذا هو المنهج الإسلامي الإنساني العظيم في الحرب ..

فإذا نظرنا إلى أحدث القوانين الدولية للحرب فإننا سنجد أنها لا ترقي إلى ما وجه الإسلام إليه ، من تنظيم الحرب في الإسلام وحقوق الإنسان أثناء الحرب ، فاتفاقيات لاهاي عن قوانين وأعراض الحرب البرية الموقعة في ١٨ أكتوبر ١٩٠٧ م ، قد جاءت بنذر يسير مما جاء به الإسلام ، حتى أن المادة ٤٢ منها شجعت على احتلال الأراضي وضمها وقتياً وتُعلى مبدأ الغلبة للقوة المسلحة ، فتقول هذه المادة (يعتبر الأقليم محتلا عندما يصبح فعلا خاضعا لسلطة الجيش المعادي ، ولا يمتد الاحتلال إلا إلى الأقاليم التي تقوم فيها السلطة وتكون قادرة على تدعيم نفوذها) ([3]).

كما أن قواعد وسلوك القتال أثناء الحرب التي أرساها القانون الدولي طبقاً لاتفاقيات جنيف مجرد حبر على ورق حيث لم تحترم هذه القواعد أو السلوكيات أثناء القتال لأن لجان الصليب الأحمر

---

[1] ــ الآية ٩٠ سورة النساء .

[2] ــ رواه الترمذي ١٣٢٩ ومسلم ٣٦١٥ والدارمي ١٨٨١ وأحمد ١٦٤٩٠ وابن ماجه ٣١٦١ وأبـــو داود ٢٤٣٢ والنسائي ٤٣٢٩ .

[3] ــ راجع :عز الدين فودة ، قانون الحرب في الفقه الدولي ، القاهرة ، بدون ناشر ، ١٩٨١م ، ص١١ــ١٥ .

لا تبدأ عملها إلا بعد انتهاء القتال ، فهذه القواعد والسلوك والآداب للحرب في الفقه الدولى المعاصر قواعد هشه وغير مطبقة وتعتمد على المبادرات الفردية لاتباعها وهي غير مُتَّبَعة أساساً وإن كانت نصوصها موجودة بالفعل ([1]) .

وفي نفس الوقت أعطت الاتفاقيات والمعاهدات الدولية حق ، يسمى حق صيانة النفس أو الدفاع عن الآلات الإنتاجية والوطن أثناء السلم أو الحرب ، مما يعنى إعطاء حقوق المواجهة والرد بالمثل ، وهو ما يستطيع المواطن بمفرده أثناء الحروب القيام به ، فنجد أن هذا الحق غير ممكن التحقيق أو التطبيق الفعلى ، بل يرتد ليجعل المواطن سلبيا في التعامل مع الأحداث ([2])، ونجد هذا الحق غير متاح في القوانين الدولية مثلما أتاح المنهج الإسلام عدم قتل النفس إلا بالحق ...

وحتى اتفاقية جنيف لمعاملة الأسرى واتفاقية المنازعات المسلحة التي وقعت عام ١٩٤٩ والتي تعتبر سارية حتى الآن ، ويسير عليها العالم كله ، لم تستطع أن تجعل الحرب مُنَظمة ونظيفة كما أرادها الإسلام ، فلقد أبقت على عنصري الاحتلال الحربي من قيام حالة الحرب والعداء المسلح من طرفين واحتلال أراضي أو بعض الأراضي واخضاعها لسيطرة أجنبية مادية وعسكرية ...فحق الحياة أثناء الحروب بالنسبة للمدنيين لم تلتزم به الدول ولا الاتفاقيات الدولية حتى اهتمت به الجمعية العامة في قراريها رقم ١٣١/٤٣لسنة ١٩٨٨م و٤٥/١٠٠ لسمة ١٩٩٠م ، فأكدت فيهما على ضرورة تقديم المساعدة الإنسانية إلى كل ضحايا النزاعات المسلحة في العالم ، وضرورة وصول هذه المساعدات للمدنيين بأسرع مايمكن ([3]) ..

وهذا النص عام يخاطب به القادرون على المساعدات الممكنة ، دون إلزام بإعطاء هؤلاء المدنيين حقوقهم الطبيعية أثناء الحروب([4]) كما أعطاها لهم الإسلام ..

ولعل ما نشاهده الآن من الصراع الفلسطيني مع الصهيونية واليهودية المتمثلة في إسرائيل ، كذلك ما نراه من الأمريكان وحلفائهم في العراق ، وكل ذلك واقع الآن وأمام أعيننا ، وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن يقفان عاجزان عن تنفيذ أي قرار صدر منهما ، لأن الفيتو الأمريكي سيف بتار لكل ما يخالف رأي القادة ، الذين يخططون لفرض سيطرتهم على العالم لإنشاء إمبراطورية جديدة لا تغيب عنها الشمس ، وفي سبيل تحقيق ذلك يتم إهدار حق الإنسان وهدم حضارة أمة ،

---

[1] ــ راجع : شريف عتلم ، محاضرات في القانون الدولى الإنساني ، مرجع سابق، ص١١٢ ــ١١٦ .

[2] ــ راجع : محمد طلعت الغنيمي ، الأحكام العامة في قانون الأمم ، دراسة في كل من الفكر الغربي والاشتراكي والإسلامي : قانون السلام ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٠ ، ص٣٢٤ــ٣٢٧.

[3] ــ أحمد أبو الوفا ، الحماية الدولية لحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص٧٠ .

[4] ــ عبد الغنى عبد الحميد حمود ، حماية ضحايا المنازعات المسلحة في القانون الدولى الإنساني والشريعة الإسلامية ، في ، مفيد شهاب (تقديم) دراسات في القانون الدولى الإنساني ، القاهرة ، دار المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م ، ط١ ، راجع ص٣٠٣ وما بعدها..

بالإضافة إلى ما يُسمى ازدواج المعايير في المنظمات الدولية المعاصرة ، فهذا قرار لمجلس الأمن يُطبق ، وهذه عشرات القرارات لنفس المجلس لا تطبق ، بل يلتمس المجتمع الدولي الغربي العذر لإسرائيل بعدم التطبيق لأسباب واهية !!!.

ويمكن تلخيص أوجه المقارنة بين ما جاءت به الشريعة الإسلامية ونصوص القانون الدولي الإنساني فيما يختص بوقت الحرب فيما يلي : ([1])

ـ لا يختلف القانون الدولي الإنساني عما تقرره الشريعة الإسلامية بشأن معاملة الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار ، لأن القانون الدولي الإنساني قيد حمايتهم بامتناعهم عن الأعمال العدائية ، وهو نفس القيد الذي قررته الشريعة الإسلامية ، لإسباغ الحماية على هؤلاء ، كما رأينا من قبل ، وإذا كان القانون الإنساني قد حرَّم أخيراً الإجهاز على هؤلاء أو تعذيبهم فإن الإسلام حرَّم الشيء نفسه منذ ما يزيد على ١٤٠٠ عام ، ولا يختلف القانون الإسلامي عما قرره القانون الدولى الوضعي بشأن الرعاية الطبية لهؤلاء، وكذلك يتعين حماية رجال الدين المرافقين للقوات المسلحة ما داموا لا يقاتلون طبقاً للشريعة الإسلامية وطبقاً للقانون الدولي الإنساني ، وإن كان للإسلام السبق في كل هذه الأمور .

ـ بالنسبة للأسرى لاخلاف بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني من حيث اعتبار المشاركين في الأعمال القتالية هم الأسرى الذين تتعين حمايتهم ، سواء أكانت الحرب بين دولتين أو بين دولة ومجموعة من الدول أو مجموعة معينة لا تعتبر دولة متى كانت حربها من أجل تقرير المصير.

ـ بخصوص معاملة الأسير فلا يوجد اختلاف بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني بشأن معاملة الأسير واحترام إنسانيته ، فكلاهما يحرص على المعاملة الإنسانية للأسرى وتوفير سُبل الإعاشة والرعاية والاتصال بذويهم وعدم تعذيبهم أو قتلهم أو امتهان آدميتهم ، بل إن الإسلام أعطى معاملة أفضل مما قرره القانون الدولي الإنساني ، وهذا واضح في إكرام الرسول ع والصحابة لأسرى بدر وإيثارهم على أنفسهم ، وغير ذلك من الضمانات التي كفلها الإسلام لهم .

ـ يتفق تحريم الشريعة الإسلامية بخصوص انتهاك جثث الأعداء وتحرم التمثيل بها مع تحريم القانون الدولي الإنساني لانتهاك جثث الأشخاص الذين ماتوا في إقليم ليسوا هم من رعاياه أثناء النزاعات المسلحة أو بسبب الاحتلال الحربي ، والواقع أن المسائل المتعلقة بدفن الجثث ونقلها إلى الوطن وتسهيل وصول مسئولي دولة القتيل وأهله إلى قبره التي نص عليها القانون الدولى الإنساني

---

[1] ـ راجع : عبد الغني عبد الحميد محمود ، حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية ، تقديم محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ، القاهرة ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م ، صفحات : ٢٣ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٥، ٥٨ ، ٧٨، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ .

لا تتعارض مع الإسلام ، ما دام يلتزم بها جميع أطراف النزاع ، وأساس التزام الدولة الإسلامية في هذه الحالة هو ما فعله النبي ع لمسألتي الدفن وعدم المثلة ، أما بالنسبة للأمور الأخرى التي لم يرد فيها نص في قرآن أو سنة فروح الشريعة الإسلامية وقواعدها العامة ومقاصدها تتسع للقول بجوازها ، بل بضرورتها والالتزام بها ، في إطار المصلحة العامة والمعاملة بالمثل ، وما دامت اتفاقيات جنيف قد صدقت عليها الدول الإسلامية فإن الالتزام بها يصبح واجباً شرعياً ، لأن ما ورد فيها يتفق مع المباديء الإنسانية التي أرساها الإسلام ..

ـ يُحَرِم الإسلام قتل النساء والأطفال وكبار السن ورجال الدين والعمال وغيرهم ممن لا يشتركون في الأعمال العسكرية ، كما يحفظ حقوق المرضى والجرحى من المدنيين ، وعلى الأخص ذوي العاهات ، كما يحفظ شرف المرأة والعناية الخاصة بها ورعاية الطفولة والأمومة ، كما يحرم الإسلام تفريق شمل الأسرة الواحدة ، حيث حرَّم التفريق بين الصغير وأمه أو والده أو أخيه أو أخته أو جده أو جدته ، كما يحرص الإسلام على كافة حقوق المدنيين في الرعاية الغذائية والطبية والمأوى ...الخ من الحقوق ، وتلك نفسها الحقوق التي أقرها القانون الدولي الإنساني ، ومن ثم لا يوجد اختلاف بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني فيما يخص رعاية المدنيين أثناء الحرب ..

ـ يتفق كل من القانون الدولى الإنساني والشريعة الإسلامية على حماية الأعيان المدنية باعتبار ذلك ضرورياً لحماية المدنيين ولازماً لذلك ، علاوة على أن حماية الأعيان المدنية يُشكل في ذات الوقت حماية لمصالح الشعوب وثرواتها وتراثها الإنساني وتقاليدها الدينية والروحية ، وإهدار تلك القيم وذلك التراث يعتبر نوعاً من العبث والإفساد في الأرض ، الذي ينهى عنه الإسلام ، ويتجافى أيضاً مع المنطق السليم الذي تقوم عليه قواعد القانون الدولي الإنساني ، وبالتالي لا نجد تعارضاً بين القانون الدولي الإنساني المقرر في منتصف القرن العشرين والشريعة الإسلامية التي شرعها الله عز جل في أوائل القرن السابع الميلادي ..

ـ وإذا كان القانون الدولى الإنساني (الملحق الثاني) لم يستخدم تعبير الأسرى للأشخاص الذين تحتجزهم الحكومة الشرعية حتى لا يحول دون تطبيق القانون الوطني للدولة الحاجزة بشأن المتمردين الذين يقعون في يدها ، فإن فقهاء الشريعة الإسلامية ـ وإن استخدم بعضهم اصطلاح أسير ـ إلا أن البغاة (الطرف المقابل للحكومة الشرعية) يعدون من مواطني الدولة الإسلامية ، بل هم مسلمون يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها أسرى النزاعات المسلحة الداخلية في القانون الإسلامي ، بل إن الإسلام يؤكد على حرمة دمهم وصون كرامتهم وعدم الإجهاز على جرحاهم ورعاية المرضى منهم ومداواة الجرحى وتوفير سُبل الإعاشة لهم باعتبارهم مسلمين ، وعلى أساس أن تلك الحقوق مقررة لغير المسلمين فمن باب أولى للمسلمين ، وبالتالى لا يختلف الحال إذا كان

الخارجون على الحكومة الإسلامية الشرعية غير مسلمين ــ بعد أن نقضوا العهد ــ وقاتلوا الحكومة الشرعية ، فَحُكم من وقع منهم في قبضة الحكومة الشرعية أن يُعامل المعاملة الإنسانية، ونوفر له كافة الحقوق والحريات التي يقررها الإسلام لأسرى الحرب من غير المسلمين ، وبذلك لا نجد اختلافاً بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني في هذه النقطة.

ــ ولا خلاف أيضاً بين القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية بشأن حماية الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار ، إذ أن كلا التشريعين يكفل احترامهم ومعاملتهم معاملة إنسانية سواء اشتركوا في النزاع المسلح أو لم يشتركوا مادام أن خطرهم قد زال وكفوا عن الأعمال العدائية ، وكلاهما يُكَفَل لهم الرعاية الطبية اللازمة والعمل على البحث عنهم وتجميعهم بعد أي اشتباك ونقلهم إلى الأماكن البعيدة عن خطر العمليات العسكرية ، ولا يختلف الإسلام عما قرره القانون الإنساني الدولى من حماية الهيئات الطبية ووسائط النقل الطبي وغيرها مما يلزم لرعاية الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار ، إذ أن توفير الرعاية الطبية لهؤلاء واجب شرعاً ، ولا يتحقق هذا الواجب إلا بحماية أفراد الهيئات الطبية والمهام الطبية ووسائط النقل الطبي فكانت حمايتها هي الأخرى واجبة ، لأنه ــ كما يقول علماء الأصول ــ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ــ لا يختلف القانون الدولى الإنساني عن الشريعة الإسلامية بشأن احترام جثث الموتى ودفنها بطريقة كريمة وتيسير وصول أهالي الموتى إلى مقابر ذويهم وتيسير نقل رفاتهم إلى بلدهم وإلى المقابر الخاصة بهم في تلك البلاد ، وعدم التمثيل بجثث الموتى ، كما يتفق القانون الدولى الإنساني مع ما تقرره الشريعة الإسلامية من التعاون مع أطراف النزاع في البحث عن المفقودين وتبادل المعلومات بشأنهم .

ــ وكذلك لا يوجد خلاف بين أحكام الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني بشأن حماية السكان المدنيين والأعيان الضرورية لهم ، إذ أن كليهما يحمى هؤلاء من الهجوم ومن إجبارهم على النزوح ومن كافة الأعمال التي لا تقتضيها الضرورة العسكرية القهرية ، ونكاد نجد نفس التوافق في الأحكام في هذا الشأن في النزاع الدولي المسلح أو في النزاعات المسلحة الداخلية ، مع اتضاح سبق الإسلام في وضع هذه القواعد من أكثر من ١٤٠٠ سنة ، ومع الوضع في الاعتبار أن ما قررته الشريعة الإسلامية توجيهات ربانية واجبة التنفيذ الفورى على المسلمين ، بعكس التشريعات البشرية التي لا يجبر أحد على تنفيذها ولا تنفذ غالباً ...

ــ وكذلك ، فبالرغم من أن الإسلام قد أمر المسلمين بأن يعلنوا وينذروا الأعداء قبل القتال إذا فشلت مساعي السلام وبدت مظاهر الغدر وإمارات نقض العهد من العدو كان المسلمون في في حل من اتخاذ الطريق الذي فيه حفظ حياتهم وحقوقهم ، ومع ذلك فليس من أخلاق القتال في الإسلام الغدر حتى ولو كان دفاعاً عن النفس ووجب على المسلمين إعلان أعدائهم قبل القتال ، وبعد ما

يقرب من ١٤ قرنا من الزمان ، جاءت اتفاقية لاهاي عام ١٩٠٧ لتنص على : (لا يجوز بدء الحرب إلا بعد إخطار سابق صريح)ونظمت الاتفاقية شكل الإعلان في صورة إنذار([1]) ، وهو نفس ما قرره الإسلام ولكن بخلق سبق أخلاق القرن العشرين بنحو ١٤ قرنا من الزمان ...

فيا عظمة أخلاقيات الإسلام وأخلاق النبي ε في السلم وفي الحرب وفي كل زمان ومكان ، لأن الإسلام ورسول الإسلام رحمة للناس أجمعين!!!

والحمد لله رب العالمين في الأول وفي الآخر وفي كل آن وحين ،،،

الباحث

[1] ــ راجع : جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ــ١٠٩ .

الملاحق :

الوثائق
في مجال أخلاقيات الحرب
في السيرة النبوية

رأينا الأخلاقيات والآداب الإسلامية في السيرة النبوية في زمن الحرب ، والتي شرّعها الإسلام لمعتنقيه ومواطنيه على السواء ، من الحرية والعدالة والمساواة والديمقراطية والأمن والأخوة والتكافل والتعاضد ، وغيرها من الحقوق للمرأة والأطفال والمعاقين والمسنين ، وفي الحرب والسلم والحقوق البيئية وغيرها من الحقوق ، والتي تطبق على الصغير والكبير ، وعلى الرجل والمرأة وعلى السيد والمسود وعلى الحاكم والعامة والخاصة ، وعلى المسلم وغير المسلم ..وهي حقوق أعلى بها الإسلام من قدر الإنسان فكرَّمه أعظم تكريم ..

وسوف نتناول هنا بعض النصوص الإسلامية لسيدنا محمد ع التي أعلى فيها من الأخلاقيات في زمن الحرب ، وحَدَّد فيها من الآداب التي يجدر بنا أن نتمسك بها ، على الوجه التالي :

أولا : دستور المدينة:

عقب هجرة النبي ع إلى المدينة المنورة كتب الرسول ع بينه وبين أهل المدينة معاهدة أو وثيقة سُميت بدستور المدينة حددت الأخلاقيات والآداب ووزعت الالتزامات والحقوق والواجبات على سكان المدينة بالعدل والمساواة والحرية ، وتعتبر أول وثيقة للحقوق المتكاملة في التاريخ ، ولذلك ننشر نصوصها لنتعرف على تكاملها ، ولأنها أثر طيب مبارك تركه لنا رسول الله ع من خلال ٤٧ بنداً أو مانطلق عليها الآن ٤٧مادة جاءت كالآتي : ([1])

[1] ـ محمد سليم العوا : في النظام السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢٦ـ٣٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ ـ إنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ ـ المهاجرون من قريش على ربعهم(أي أمرهم وشأنهم الذين كانوا عليه) يتعاقلون (أي إعطاء المعاقل وهي الديات) بينهم وهم يفدون عانيهم (أي أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٤ ـ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ـ وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦ ـ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ـ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ـ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ـ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ ـ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ ـ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ ـ وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً(أي المثقل بالدين) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل (أي دية).

١٢ ب ـ وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ ــ وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل ما بغى منهم أو ابتغى دسيعة (أي الدفع والعطيةعلى سبيل الظلم)ظلماً أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

١٤ ــ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ ــ وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

١٦ ــ وأنه من تبعنا من يهود فإن لهم النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ ــ وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

١٨ ــ وأن كل غازية (الجماعة التي تخرج للغزو) غزت معنا يعقب بعضها بعضا (أي يتناوبون في الخروج) .

١٩ ــ وأن المؤمنين يُبيء (أي يتعادلون) بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله .

٢٠ ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

٢٠ ب ــ ألا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ ــ وأنه من اعتبط (أي قتله بلا جناية منهىتوجب قتله) مؤمناً قتلا عن بينة فإن قـــــــوده (القصاص في القتل) به ، إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

٢٢ــ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه عدل ولا صرف (العدل الفداء والصرف التوبه) .

٢٣ ــ وأنكم مهما اختلفم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد .

٢٤ ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاربين .

٢٥ ــ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم فإنه لا يوتغ (أي يهلك) إلا نفسه وأهل بيته .

٢٦ ــ وأن ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف .

٢٧ ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ماليهود بني عوف .

٢٨ ــ وأن ليهود بني ساعدة مثل ماليهود بني عوف .

٢٩ ــ وأن ليهود بني جشم مثل ماليهود بني عوف .

٣٠ ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف ، إلا من ظم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته .

٣١ ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ماليهود بني عوف .

٣٢ ـ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣ ـ وأن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف ، وأن البر دون الأثم (أي يحول البر بين أهل الصحيفة بينهم وبين الإثم) .

٣٤ ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥ ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم .

٣٦ ـ وأن لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .

٣٦ ب ـ وأنه لا ينحجز (أي يمنع أو يحول) على ثأر جرح ، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا .

٣٧ ـ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر (أي المناصرة) على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

٣٧ ب ـ وأنه لا يأثم إمرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم .

٣٨ ـ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ ـ وأن يثرب حرام جوفها (المطمئن من الأرض) لأهل هذه الصحيفة .

٤٠ ـ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ ـ وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها (حرمة الجوار) .

٤٢ ـ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث (الأمر الحادث المنكر) أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٣ ـ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

٤٤ ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ ـ وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه (اشتركوا فيه) فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

٤٥ب ـ على كل أُناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

٤٦ ـ وأن يهود الأوس: مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحصن من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الإثم ، لايكسب كاسب إلا نفسه ، وأن الله على أصدق مافي هذه الصحفة وأبره .

٤٧ ــ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر وأتقي ومحمد رسول الله ..

حررت في يثرب في السنة الأولي من الهجرة

ثانياً : خطب حجة الوداع للنبي ع وما بها من حقوق واسعة للإنسان :

الرسول ع قد أعلن وثيقة هامة في حجة الوداع من خلال خطبته الشهيرة في هذه الحجة والتي نوردها هنا كمثال هام للأخلاقيات والآداب الإنسانية الشاملة التي دعانا إليها النبي ع ، وخصوصاً أثناء الحرب ، وفي وقت الحرب ، ولقد كان لرسول الله ع عدة خطب في حجة الوداع منها ما هو بعرفة ومنها ما هو بمنى أو بالمزدلفة أو في بقية المناسك ، ولكنها كلها تحتوي على توجيهات إسلامية عظيمة وأخلاقاً وآداباً إنسانية شاملة كافة البشر :

ـ فعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَقُلْتُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الأَعْلَى ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الأَسْفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلامٌ شَابٌّ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلاةِ فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمِشْجَبِ فَصَلَّى بِنَا فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ع فقال بعد أن استعرض مناسك حجة رسول الله ع أن الرسول ع حين أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ، قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ :اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثم أكمل حكي مناسك حجة رسول الله ع) [1] .

[1] ـ رواه مسلم في صحيحه ٢١٣٧ ورواه أبوداود في سننه ١٦٢٨ وابن ماجه في سننه ٣٠٦٥ والدارمي في سننه ١٧٧٨ .

ـ وعن ابنِ عُمَرَ رَضِي اللّهم عنهمَا قَالَ : قَالَ النَّبيُّ ε بمنًى : (أتدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ ، فَقَالَ : فَإنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ ، أفتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ : بَلَدٌ حَرَامٌ ، أفتَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ ، قَالَ : شَهْرٌ حَرَامٌ ، قَالَ : فَإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ : أخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللّهم عنهمَا : وَقَفَ النَّبِيُّ ε يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا ، وَقَالَ : هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأكْبَرِ ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ε يَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، وَوَدَّعَ النَّاسَ ، فَقَالُوا : هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ) ([1]) .

ـ وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أبِيهِ أنَّهُ شَهِدَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ε فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وأنه قال: (أيُّهَا النَّاسُ إنِّي وَاللَّهِ لا أدْرِي لَعَلِّي لا ألْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مَقَالَتِي الْيَوْمَ فَوَعَاهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ وَلا فِقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أفْقَهُ مِنْهُ ، وَاعْلَمُوا أنَّ أمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَاعْلَمُوا أنَّ الْقُلُوبَ لا تُغِلُّ عَلَى ثَلاثٍ : إخْلاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةِ أُولِي الأمْرِ وَعَلَى لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ) ([2]) .

ـ عن شُرَحْبِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ε فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ : (إنَّ اللَّهَ قَدْ أعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنِ ادَّعَى إلَى غَيْرِ أبِيهِ أوِ انْتَمَى إلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ التَّابِعَةُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لا تُنْفِقُ الْمَرْأةُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهَا إلا بِإذْنِ زَوْجِهَا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلا الطَّعَامَ ؟ ، قَالَ : ذَلِكَ أفْضَلُ أمْوَالِنَا ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε : الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ وَالْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ وَالدَّيْنُ مَقْضِيٌّ وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ) ([3]) .

ـ عَنْ مُوسَى بْنِ زِيَادِ بْنِ حِذْيَمٍ السَّعْدِيِّ عَنْ أبِيهِ عَنْ جَدِّهِ حِذْيَمٍ السَّعْدِيِّ أنَّهُ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ε فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ : (ألا إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ) ([4]) .

ـ عن نُبَيْطُ بْنُ شَرِيطٍ قَالَ : إنِّي لَرَدِيفُ أبِي فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ إذْ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ε فَقُمْتُ عَلَى عَجُزِ الرَّاحِلَةِ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى عَاتِقِ أبِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : (أيُّ يَوْمٍ أحْرَمُ ؟ ، قَالُوا : هَذَا الْيَوْمُ ، قَالَ : فَأيُّ بَلَدٍ أحْرَمُ؟ ، قَالُوا : هَذَا الْبَلَدُ ، قَالَ : فَأيُّ شَهْرٍ أحْرَمُ ؟ ، قَالُوا : هَذَا الشَّهْرُ ، قَالَ : فَإنَّ دِمَاءَكُمْ

[1] ـ رواه البخاري ١٦٢٦ .

[2] ـ رواه الدارمي في سننه٢٢٩ .

[3] ـ رواه أحمد في مسنده٢١٢٦٣ .

[4] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده ١٨١٩٨ .

وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، هَلْ بَلَّغْتُ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ) ([1]) .

ـ وعن سُفْيَانَ بْنَ وَهْبٍ الْخَوْلانِيَّ أَنَّهُ كَانَ تَحْتَ ظِلِّ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هَلْ بَلَّغْتُ؟ ، فظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُنَا ، فَقُلْنَا : نَعَمْ ، ثُمَّ أَعَادَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وقَالَ فيمَا يَقُولُ : رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَرَامٌ : عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَنَفْسُهُ ، حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ) ([2]).

ـ وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّـةِ الْوَدَاعِ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؟ ، قَالُوا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلا لا يَجْنِي جَانٍ إِلا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ ، وَلا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ ، أَلا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ (يئس) أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَيَرْضَى بِهَا ، أَلا وَكُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ مَا أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، أَلا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ، أَلا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ؟ ، قَالُوا : نَعَـــــــمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ) ([3]) .

ـ وعَنْ سُلَيْمَانَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي أَثْنَاءِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ :(أَلا لا يَجْنِي جَانٍ إِلا عَلَى نَفْسِهِ ، لا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ) ([4]).

ـ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ حَدَّثَنَا أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ : (أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ : يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، أَلا لا يَجْنِي جَانٍ إِلا عَلَى نَفْسِهِ وَلا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ وَلا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ ، أَلا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ، إِلا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ ، أَلا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، أَلا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، أَلا

[1] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده ١٧٩٧٣ .

[2] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده١٦٨٧٧ .

[3] ـ رواه ابن ماجه في سننه ٣٠٤٦ .

[4] ـ رواه ابن ماجه في سننه٢٦٥٩ .

وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا ، ألا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ ، ألا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ) [1] .

ـ عن أبو زُرْعَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ جَدِّهِ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ε فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : (اسْتَنْصِتِ النَّاسَ .. ثُمَّ قَالَ : لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) [2].

ـ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : (أَلا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ ، قَالُوا : أَلا شَهْرُنَا هَذَا ، قَالَ : أَلا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ ، قَالُوا : أَلا بَلَدُنَا هَذَا ، قَالَ : أَلا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟ ، قَالُوا : أَلا يَوْمُنَا هَذَا ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلا بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا .. أَلا هَلْ بَلَّغْتُ (ثَلاثًا) ، كُلُّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ : أَلا.. نَعَمْ ، قَالَ : وَيْحَكُمْ أَوْ وَيْلَكُمْ .. لا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) [3].

ـ وفي معاهدة الرسول ε لأهل نجران اليمنيين المسيحيين حقوقاً تؤكد الحرية الدينية والعدالة والمساواة وحماية لشعائرهم الدينية ومعابدهم وأموالهم ، وفيها يقول رسول الله ε [4] : (لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم (كنائسهم) وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته .

[1] ـ رواه الترمذي ١٠٨٣ ، ٣٠١٢ .

[2] ـ رواه البخاري ٦٥٥٣ .

[3] ـ رواه البخاري ٦٢٨٧ .

[4] ـ شوقي ضيف ، عالمية الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، الأعمال الدينية ، ١٩٩٩م ، ص١٧ـ١٨ .

ثالثاً : نماذج من نهج الخلفاء الراشدين في مجال أخلاقيات الحرب :

فهذه نماذج ، مكملة للسيرة النبوية ، لأن نهج الخلفاء الراشدين هو سنة شريفه في حد ذاته ، وهي وثائق يجب أن نتأملها على النحو التالي :

• خطبة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله عقب البيعة واختياره بالشورى خليفة لرسول الله ε والتي أعلى فيها عن أخلاقيات وآداب الحرب والسلام والتمسك بالنهج الإسلامي القويم الذي يؤكد على كرامة وحرية الإنسان وحقوقه العامة والخاصة ، فيقول (١) : (أما بعد ، أيها الناس : فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه ـ حتى أرد عليه حقه ـ ، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عَمَّهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ... أيها الناس : إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ε يطيق ، إن الله اصطفى محمداً ε على العالمين وعصمه من الآفات ، فإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فاتبعوني وإن زغت فقَّوموني ، وإن رسول الله ε قُبض وليس لأحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ، ضربة سوط فما دونها ، ألا وإنما لي شيطان يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني ، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ـ الشعر والجلد ـ ، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّب عنكم علمه ، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوما نسو آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فأنها كم يتمنون أن تكونوا أمثالهم ، الجد الجد والوحي الوحي ـ الإسراع الإسراع ـ والنجاة النجاة ، وإن وراءكم طالباً حثيثاً أجلاً مره سريع ، واحذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الأموات ، إن الله لايقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلمو أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وحظ ظفرتم به وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم ، واعتبروا يا عباد الله بمن مات منكم وفكروا فيمن كان قبلكم : أين كانوا بالأمس ؟ وأين هم اليوم ؟ ، أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة ومواطن الحروب ؟ ، قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميماً قد تركت علهم القالات ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها : قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلاشيء ، ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعماهم

[1] ــ راجع : محمد عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان : ضرورات لا حقوق ، مرجع سابق ، ص١٧٠ــ١٧٢ .

والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفاً بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ ، صاروا تراباً وصاروا ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ ، قد تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا "صوتا خفيا" ؟.. أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ ، قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا ، فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو السعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ولا يصرف به عنه شراً إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مذنبون وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ... ألا وإنه لا خير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم) ...

• وفي وثيقة أخرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي وثيقة الأمان التي استلم بها عمر بن الخطاب مدينة القدس الشريفة ، من بين أيدي حكامها نجد فيها العديد من حقوق الإنسان في وقت السلم وفي وقت الحرب ولغير المسلمين في بلاد الإسلام ، وهي وثيقة إنسانية رائعة لتكامل الحقوق الإنسانية للإنسان بها ، قالت هذه الوثيقة " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمين المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بـ إيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم وخلى بنعيم وصلبهم ، فهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . عمر بن الخطاب ، وشهد على ذلك الشهود)

رابعاً : أقوال كبار المفكرين من العرب والغرب ، في مجال أخلاقيات الحرب في الإسلام :

وفي قائمة من أقوال كبار المفكرين المسلمين والعرب ، وكذلك نخبة مختارة من المستشرقين والغربيين عن فلسفة وأخلاقيات الحرب في الإسلام ، كغاية رائعة وفلسفة إنسانية جميلة ، نقف أمام بعض أقوالهم في ذلك :

- المستشرق الانجليزي المعروف (أندرسن) يقول عن الجهاد والحرب في الإسلام : (يخاف الغربيون ، لا سيما الانجليز ، من ظهور فكرة الجهاد في أوساط المسلمين ، حتى لا تتوحد كلمتهم ، فيقفوا أمام أعدائهم ، ولذلك يحاولون الترويج لفكرة نسخ الجهاد ، وصدق الله العظيم إذ يقول فيمن لا إيمان لهم (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)(محمد: من الآية٢٠) ، إن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على مثل قاعدة (تتغير الأحكام بتغير الزمان) إذ أن الجهاد في رأيي لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة ، لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية ، التي يجب على المسلمين أن يوفوا بعدهم بها ، ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الإسلام ، وأوضاع الحرية ورقي العقول لا تقبل فكرة تقبل بالقوة ، ولكن الدفاع عن النفس شيء مهم للغاية ، وهو وراء الجهاد) ([1])
- ويقول سيد أمير على (إذا كانت أمة الإسلام أمة بعيدة عن النزاعات المادية الحقيرة التي عرفها اليونان والرومان ، إلا أنها بعيدة كذلك عن نزاعات الإنسانية ، فلقد شرع الإسلام الحرب وأعلى منها وهذبها وطبعها بالنزعة الإنسانية العادلة) ، والعالم عبد الرحمن أبو زهرة : (الحرب في افسلام واجبة إذا كانت عادلة ، ولا تكون عادلة إلا لرد البغي ورفع الظلم والحفاظ على مجتمع الخير والصلاح ، وهي ضرورة أوجبها قانون الرحمة العادل وقانون الأخلاق والسلوك الإنساني المستقيم) ، والمفكر عباس محمود العقاد يقول (لم يعمد المسلمون قط إلى القوة إلا لمحاربة القوة التي تصدهم عن الإقناع ، فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها ، لأن القوة لا تُحارب بالحجة والبينة ، وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء) ، ويقول محمد حسين هيكل (الجهاد هو قتال الذين يفتنون المسلم عن دينه ويصدون عن سبيل الله ، وهذا هو القتال في سبيل حرية الدعوة إلى الله وإلى دينه ، وبعبارة تتمشى مع أسلوب عصرنا الحاضر الدفاع عن الرأي بالوسائل التي يقاتل بها أصحاب الرأي ، فإذا أراد أحدهم أن يفتن رجلاً عن رأيه بالدعوة وبالمنطق دون أن يحمله على ترك هذا الرأي بالقوة وبغير القوة من وسائل الرشوة والتعذيب ، لم يكن لأحد أن يدفع هذا

---

[1] ــ محمد سعيد رمضان البوهي ، فقه السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

الرجل إلا بإدحاض حجته وتفنيد منطقه ، لكنه إذا حاول بالقوة المسلحة أن يصد صاحب رأي عن رأيه ، وجب دفع القوة المسلحة بالقوة المسلحة متى استطاع الإنسان إليها سبيلاً)([1])

• ولا يرى المستشرق والمفكر الغربي (كارليل) ما يراه غيره من الغربيين من أن محمداً عوّل على السيف لحمل الناس على الإيمان بدعوته ، ويعده سخفاً لا يجوز فيقول ([2]): (فمن غير المعقول أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل الناس ويدينوا بدعوته ، فإذا آمن به من آمن من القادرين على الحرب ومواجهة الإعداء فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للعدوان قبل أن يقدروا على رده)

• وقال الكونت هنري دي كاستري (إن المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار في المعاملات ومحاسنة المخالفين ، وهذا ما يحملنا على تصديق ما قاله روبنسون : إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم ، وهذه المحبة هي التي دفعت العرب في طريق الفتح ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة ، ولم يتركوا أثر للعسف في طريقهم إلا ما كان لابد منه في كل حرب وقتال ، ولم يقتلوا أمة أبت الإسلام) ، وقال جوستاف لوبون في كتابة حضارة العرب (إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن ، وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم ، فإذا كان بعض النصارى أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى ، ولقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، غير فارضين عليهم سوى الجزية الزهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بينهم ، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب)([3])

فالإسلام في جميع مراحل دعوته الخالدة وَجَّهَ دعوته وأقام الحجة وناقش الرأي بهدوء ، ولم يلجأ للسيف إلا دفاعاً عن الحق ، ويقول العقاد ([4]) (إن السيف لم يعمل في انتشارالدين إلا القليل مما عملته القدوة الحسنة والإقناع ، فإن البلاد التي قَلَّتْ فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يوجد فيها أكثر مُسلمي العالم وهي أندونسيا والهند والصين وسواحل أفريقيا)

ويقول المفكر البريطاني المسيحي توماس كارليل ، في إجابته على السؤال : لماذا حارب محمد عند بداية لجوئه للقتال ؟ ، فيقول ([5]):" كانت نية هذا النبي أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة

[1] ــ حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ــ٢٣٤.
[2] ــ المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .
[3] ــ راجع : أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .
[4] ــ عباس محمود العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص٨٢ــ٨٣ .
[5] ــ ــ عبد التواب مصطفى ، العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١٠ــ١١١ .

الحسنة ، ولقد بذل في سبيل ذلك كل جهد جهيد ، ولكنه وجد الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء إليها ، بل عمدوا إلى إسكاته بشتى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته أو يصدر رسالته ، وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوه ، وكأن لسان حاله يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا أي قوم نحن !!" ...

وقالت الدكتورة زيجريد هونكة الألمانية في كتابها شمس الله تشرق على الغرب وفضل العرب على أوربا ، قالت فيه ([1]): (لا إكراه في الدين ، هكذا يقول القرآن الكريم ، فلم يجول في خاطر العرب المسلمين أن يكرهوا الشعوب الخاضعة لهم على اعتناق الإسلام ، فالمسيحيون والصابئون واليهود الذين عاشوا قبل الإسلام بمائة عام تحت حكم ملكعه يوسف ضربوا أقصى الأمثلة وأبشعها فيما يتعلق بموقفهم من أصحاب العقائد الأخرى ، وجميع هؤلاء قد منحهم الإسلام حق ممارسة عباداتهم)

ويقول المؤرخ العالمي والروائي الشهير البريطاني برناردشو([2]) :(إني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمة ، ولقاد العالم إلى الخير وحل مشكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشدة ، أجل ... ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ليحل قضاياه المعقدة بينما هو يتناول فنجاناً من القهوة)

ويقول بعض العلماء والفلاسفة ن شخصية النبي ع ([3]): العالم الهندوسي الشهير ت .ل . فسوائي تحت عنوان : إجلال فسوائي لمحمد : (تأملت في أمر محمد ، فتعجبت من هذا الرجل العظيم الذي نشأ بين أولئك القوم المختلي النظام ، الفاسدي الأخلاق ، العابدي الأحجار ، هذا الرجل محمد وقف تقريباً وحده شجاعاً متحدياً غير هياب ولا وجل في وجه التوعد بالقتل ، فمن الذي أعطاه تلك القوة التي قام بها كأنه بطل من أبطال الحرب ، حتى استمعوا ــ بعد الإعراض ــ لكلامه ؟.؟ ، فمن أين جاء سحر بيانه حتى أعتق العبيد وساوى وألَّف بين النبلاء والشرفاء وبين الصعاليك المنبوذين حتى صاروا إخواناً وخِلانا) وفي نفس الوقت يقول أدموند بيرك الفليسوف المعروف : (إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع ، من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بإحكم نظام حقوقي وأعظم قضاء علمي وأعظم تشريع عادل ، لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله ، ولا يمكن فيما بعد حدوث ذلك !!!)

[1] ــ محمد فهمي عبد التواب ، محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائـه وكتابـه ، القـاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٦٨ ، ١٩٧٥م ، ص ٦٢ــ٦٣.

[2] ــ المرجع السابق ، ص ٥٩ــ٦٠ .

[3] ــ المرجع السابق ، ص ٥٨ .

ويقول سير فلكد الأمريكي المعروف [1]: (كان عقل محمد من العقول الكبيرة التي قلما يجود بها الزمان ، فلقد كان يدرك الأمر ويدرك كنهه من مجرد النظرة البسيطة ، وكان النبي محمد في معاملاته الخاصة على جانب كبير من إيثار العدل ، فلقد كان يعامل الصديق وغيره ، والقريب والبعيد ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف ، بالمساواة والإنصاف ، فكل الفتوحات والانتصارات العظيمة لم توقظ في النبي أي شعور بالعظمة والكبرياء ، وكان محمد يجد راحته وعزاءه في أوقات الشدة والمحنة في الثقة بالله ورحمته ، معتمداً دائما على الله ليتمتع بالحياة الأخرى) ، وقال سنت هيلر بارتملي في حديثه عن النبي العظيم محمد : (كان محمد نبي الإسلام شجاعاً يخوض المعركة بنفسه ويرد الثبات إلى قلوب الذين يضعفون ، وكان رحيماً بالضعفاء ، يؤوي في بيته عدداً كبيراً من المحتاجين ، وكان مع احتفاظه بهيبته كاملة بسيط الحركات لا يتكلف شيئاً وبشوشاً سهل المعاملة ، رقيق الحماسة ، لا يثير غضبه أهل الفضول ، وكان رجلاً بشيراً ، كان فيه لاشك كثير من الخصال التي اتسم بها رجال عصره ، ولكنه قد حمل إلى هؤلاء مثلاً رفيعاً في الدين والأخلاق وسما سمواً بالغاً عما كان يحدث في عصره وقبل مجيئه)

ويقول مايكل هارت في كتابه الخالدون مائة أعظمهم محمد [2] : (محمد هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي وعلى مستوى المادي والخلقي وعلى المستوى المحلي والعالمي وفي السلم والحرب ، ولذلك اخترته على رأس المائة الخالدون في التاريخ الإنساني ، ولأن أثره مازال قوياً ومتجدداً ...)

يقول وول ديورانت في كتابه أعظم عظماء التاريخ [3] :(إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء)

كانت تلك بعض شهادات الغرب نضعها أمام عين القاريء الكريم ليعلم عظمة الإسلام في فكر وعقل الغرب ، وهي نظرة وشهادة من الغرب بأن الإسلام دين البشرية جمعاء في الحرب والسلم .

---

[1] ـ المرجع السابق ، راجع ٥٣ـ٥٦ .

[2] ـ راجع : فتحي الإبياري ، المحمديات ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٩٩ـ١٠١.

[3] ـ المرجع السابق ، ص ٣٤٥.

خامساً: فهرس الآيات القرآنية التي وردت بالدراسة:

المقدمة :

قال الله تعالى :

ـ (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرِ...) ([1])

الفصل الأول :

قال الله تعالى :

ـ (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..)([2]) .

ـ (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ ..)([3])

ـ (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ...) ([4]) ...

ـ (... وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ..)([5])

ـ (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ ..) ([6]) ..

ـ (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ...) ([7]) .

ـ (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ..) ([8]).

ـ (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..)([9]) .

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ..) ([10])

ـ (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...)([11])

ـ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ...) ([12])

ـ (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا..)([13]) ..

ـ (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ..) ([14])

ـ (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ..) ([15])

---

[1] ـ سورة الأحزاب:الآية ٢١ .
[2] ـ الآية ٦٠ سورة الأنفال .
[3] ـ سورة النساء:الآية ٧٥ .
[4] ـ الآية ١٧٠ سورة آل عمران .
[5] ـ الآية ١٩٤ سورة البقرة .
[6] ـ الآية ٢٥٦ سورة البقرة .
[7] ـ الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣سورة الأنفال .
[8] ـ الحج الآيتين ٣٩ ، ٤٠ .
[9] ـ الآية ٦٠ سورة الأنفال .
[10] ـ سورة التوبة ، الآية ١٢٣
[11] ـ سورة الأنفال:الآية رقم ٦٠ .
[12] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[13] ـ سورة المائدة: من الآية٢ .
[14] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٢٠٩٧ ورواه بنفس اللفظ أبو داود والدارمي ، ورواه النسائي بلفظ أيديكم بدل أنفسكم .
[15] ـ سورة الحج:الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ .

ـ :(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ...)[1]

ـ : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[2]

ـ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)[3]

ـ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [4]

ـ (أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [5]

ـ (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ..) [6].

ـ (وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [7]

ـ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [8]

ـ (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..) [9]

ـ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) [10]

ـ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ) [11]

ـ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [12]

ـ (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) [13]

ـ (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)[14]

ـ (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ)[15]

ـ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا ..) [16]

ـ (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [17]

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [18]

ـ (إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ..)[19]

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ..)[1]

[1] ـ سورة التوبة:الآية ٢٤ .
[2] ـ سورة التوبة: من الآية٣٦ .
[3] ـ سورة البقرة: من الآية٢١٦ .
[4] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[5] ـ سورة التوبة: الآية١٣ .
[6] ـ سورة الحج ، الآيتان ٣٩ :٤٠ .
[7] ـ سورة البقرة: من الآية ١٩٠ .
[8] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[9] ـ سورة النساء:الآية٧٤ .
[10] ـ سورة الصف:الآية رقم ٤ .
[11] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٣ .
[12] ـ سورة الأنفال:الآية٣٩ .
[13] ـ سورة الحج : الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ .
[14] ـ سورة البقرة: من الآية١٩١ .
[15] ـ سورة النساء: من الآية٧٥ .
[16] ـ سورة الحجرات:الآية رقم ٩ .
[17] ـ سورة الأنفال:الآية ٦١ .
[18] ـ سورة البقرة:الآية ٢٠٨ .
[19] ـ سورة النساء:الآية ٩٠ .

ـ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...) (٢)

ـ (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ...) (٣)

ـ (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ..) (٤) ...

ـ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ..) (٥)

ـ (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ..) (٦)

ـ (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)(٧)

الفصل الثاني

قال الله تعالى :

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...) (٨)

ـ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ..) (٩)

ـ (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ..) (١٠)

ـ (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)(١١)

ـ (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ..) (١٢)

ـ (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) (١٣) .

ـ (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ .. ..) (١٤)

ـ (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)(١٥)

ـ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (١٦) ...

ـ (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) (١٧) .

ـ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (١٨)

ـ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ..) (١٩)..

---

[1] ـ سورة النساء: من الآية ٩٤ .

[2] ـ سورة النساء:الآية ٨٤ .

[3] ـ سورة الحج الآيتان ٤٠ :٤١ .

[4] ـ سورة الحج:الآية ٤١ .

[5] ـ سورة البقرة:الآية ٢١٦ .

[6] ـ سورة النساء:الآية ٧٥ .

[7] ـ سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .

[8] ـ سورة الأنفال:الآيات ٤٥ ــ ٤٧ .

[9] ـ سورة الفتح:الآية ٢٩ .

[10] ـ سورة البقرة:الآية ١٩٤ .

[11] ـ سورة التوبة: من الآية ٦ .

[12] ـ الآية ٩١ سورة النحل .

[13] ـ الآية ٣٤ سورة الإسراء .

[14] ـ سورة الأنفال: الآيتان ٦١ ــ ٦٢ .

[15] ـ سورة النساء: من الآية ٩٠ .

[16] ـ الآية ٦٢ سورة الأنفال .

[17] ـ الآية ١٩٠ سورة البقرة .

[18] ـ الآية ٨ سورة الإنسان .

[19] ـ الآية ٧٠ سورة الأنفال .

ــ (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)([1])

ــ (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ...)([2])

ــ (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً..) ([3])

ــ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ..) ([4])

ــ (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ([5])

ــ (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ..) ([6])

ــ (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ)([7])

ــ (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) ([8])

ــ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ ..) ([9])

ــ (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ..) ([10])

ــ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([11])

ــ (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ "([12]).

ــ (.. فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "([13]) ،

ــ (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)([14]).

ــ (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ([15])

ــ (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)([16])

ــ (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)([17])

ــ (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)([18])

ــ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ)([19]).

ــ (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ([20])

---

[1] ــ الآية ٦١ سورة الأنفال .
[2] ــ سورة محمد: من الآية٤ .
[3] ــ سورة النحل:الآية رقم ٩١ .
[4] ــ سورة الأنفال:الآية رقم ٧٢ .
[5] ــ سورة الأنفال:الآية رقم ٥٨ .
[6] ــ سورة التوبة:الآيتان ٣ــ٤ .
[7] ــ الآية ٤١ سورة الشورى
[8] ــ سورة يونس الآية ٩٩ .
[9] ــ سورة النساء:الآية رقم٥٠ .
[10] ــ سورة التوبة:الآية رقم ٢٩ .
[11] ــ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
[12] ــ الآية ٣٨ سورة الشورى .
[13] ــ الآية ١٥٩ سورة آل عمران .
[14] ــ "الآية٥٨ سورة الأنفال .
[15] ــ إبراهيم ٣٦ .
[16] ــ المائدة : ١١٨ .
[17] ــ نوح : ٢٦ .
[18] ــ يونس : ٨٨ .
[19] ــ الأنفال : ٧٠ .
[20] ــ الآية ٦٢ سورة الأنفال .

ـ (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)([1]) .

ـ (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ..) ([2])

ـ (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ..) ([3])

ـ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)([4])

ـ (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ..)([5])

ـ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) ([6])

ـ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ..) ([7])..

ـ (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)([8])

ـ (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ..) ([9]) ...

ـ (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) ([10]) .

ـ (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ([11])

ـ (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ...) ([12])

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم..) ([13])

ـ (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ..) ([14])

ـ (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ...) ([15])

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً ..) ([16])

ـ (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا ..) ([17])

ـ (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ...) ([18])

ـ (إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ..) ([19])

ـ (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّواْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا...) ([20])

---

[1] ـ الآية ١٩٠ سورة البقرة .

[2] ـ الآية ١٩٤ سورة البقرة .

[3] ـ الآية ٩٠ سورة النساء .

[4] ـ سورة الانسان:الآية رقم٨ .

[5] ـ سورة محمد: من الآية٤ .

[6] ـ الآية ٨ سورة الإنسان .

[7] ـ الآية ٧٠ سورة الأنفال .

[8] ـ الآية ٦١ سورة الأنفال .

[9] ـ الآية ٩١ سورة النحل .

[10] ـ الآية ٣٤ سورة الإسراء .

[11] ـ سورة القلم:الآية رقم ٤ .

[12] ـ سورة الأنفال:الآية٦٠ .

[13] ـ سورة الممتحنة:الآية الأولى .

[14] ـ سورة المجادلة:الآية ٢٢ .

[15] ـ سورة الحج:الآيتان ٣٩ـ٤٠ .

[16] ـ سورة النساء:الآية٩٤ .

[17] ـ سورة العنكبوت:الآية ٤٦ .

[18] ـ سورة الممتحنة:الآية ٨ .

[19] ـ سورة النساء:الآية رقم ٩٠ .

[20] ـ سورة النساء:الآية ٩١ .

ـ (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا ...) (1)

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) (2)

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..) (3)

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (4)

ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزَّىً...) (5)

ـ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ..) (6)

ـ (فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(7)

ـ (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ..)(8)

ـ (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (9)

ـ (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً...) (10)

ـ (وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (11)

ـ (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ ..)(12)

ـ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (13)

ـ (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(14)..

الفصل الثالث

قال الله تعالى :

ـ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(15)

ـ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ..) (16)

ـ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً ..) (17)

ـ (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ...)(1)

---

1 ـ سورة النساء:الآية ٧٥ .
2 ـ سورة الأنفال:الآية رقم ١٥ .
3 ـ سورة الأنفال:الآيتان ٤٥ـ٤٦ .
4 ـ سورة آل عمران:الآية رقم ٢٠٠ .
5 ـ سورة آل عمران:الآية ١٥٦ .
6 ـ سورة البقرة:الآية ٢١٧ .
7 ـ سورة محمد:الآية ٣٥ .
8 ـ سورة الأنفال:الآيتان ٦١ـ٦٢ .
9 ـ سورة الأنفال:الآية ٥٨ .
10 ـ سورة النحل:الآية ٩١ .
11 ـ سورة النحل:الآية رقم٩٥ .
12 ـ سورة آل عمران:الآية رقم ٧٧ .
13 ـ سورة البقرة:الآية ١٩٠ .
14 ـ سورة التوبة: من الآية٣٦ .
15 ـ سورة القلم:الآية رقم ٤ .
16 ـ سورة التوبة:الآية ١١١ .
17 ـ سورة الأنفال:الآية رقم٦٥ .

ـ (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (٢)

ـ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)(٣)

ـ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤)

ـ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ ..) (٥)

ـ (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (٦)

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (٧)

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا مُبَشِّراً وَنَذِيراً) (٨)

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (٩) ...

الفصل الرابع

قال الله تعالى :

ـ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(١٠) .

ـ (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)(١١)

ـ (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ)(١٢) ...

ـ (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)(١٣)

ـ (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(١٤)

ـ (قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا) (١٥)

ـ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ...)(١٦) .

ـ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ...) (١٧).

ـ (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)(١٨)،

ـ (... فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)(١)

---

[1] ـ سورة آل عمران: الآيات ١٧٢ــ١٧٤ .
[2] ـ سورة آل عمران: الآية ١٢٦ .
[3] ـ التوبة:١٢٨ .
[4] ـ سورة القلم:الآية ٤ .
[5] ـ سورة الفتح: من الآية٢٩ .
[6] ـ سورة الاسراء:الآية ١٠٥ .
[7] ـ سورة الانبياء:الآية ١٠٧ .
[8] ـ سورة الفرقان ، الآية ٥٦ .
[9] ـ سورة ســبأ:الآية ٢٨ .
[10] ـ الآية ١١٠ سورة آل عمران.
[11] ـ سورة الإسراء الآية ٧٠ .
[12] ـ الآية ١٥٢ سورة آل عمران .
[13] ـ الآية ١٥ سورة الملك .
[14] ـ الآية ١١ سورة الأنعام .
[15] ـ الآية٩٧ سورة النساء .
[16] ـ الآية ٢١٧ سورة البقرة .
[17] ـ الآية ٩٧ سورة النساء .
[18] ـ الآية ١٩٠ سورة البقرة .

ـ (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ....)([2]) ،

ـ (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ...)([3])

ـ (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)([4])

ـ " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "([5])

ـ " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ "([6]) .

ـ " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ " ([7])

ـ " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " ([8])

ـ (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ . إلا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) ([9])

ـ (.. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) ([10])

ـ (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) ([11])

ـ " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ... " ([12])

ـ " ..كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ .."([13])

ـ " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "([14])

ـ (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ..)([15])

ـ (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ([16]).

ـ " وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " ([17]) .

ـ " وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا "([18]) ...

ـ " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ([19])

---

[1] ـ الآية ١٩٣ سورة البقرة .
[2] ـ الآية ٢٩ سورة الكهف.
[3] ـ الآية ٢٥٦ سورة البقرة .
[4] ـ الآية ٩٩ سورة يونس .
[5] ـ الآية ١٢٥ سورة النحل .
[6] ـ الايه ٢٤ سورة الحجر .
[7] ـ سورة آل عمران الآية ١٦١ .
[8] ـ الآيات ١٢٦، ١٢٧ سورة النحل .
[9] ـ الآيات ٢١ـ٢٤ الغاشية٩٩ .
[10] ـ الآية ٤٥ سورة ق .
[11] ـ الآية ٩٩ سورة المائدة .
[12] ـ الآية ٧٧ سورة القصص .
[13] ـ الآية ٧ سورة الحشر.
[14] ـ الآية ٨ الممتحنة .
[15] ـ سورة النساء: من الآية٥٨ .
[16] ـ الآية ٩٠ سورة النحل ..
[17] ـ الآية٢ سورة المائدة
[18] ـ الآية ٢٠ سورة المزمل .
[19] ـ الآية ١٠ من سورة الحجرات .

ـ " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ... " (١)

ـ " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا "(٢)

ـ " ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ "(٣) ،

ـ "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ.فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ.الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ"(٤)

ـ " وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ... "(٥)

ـ " وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا "(٦) .

ـ " إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ... " الآية (٧)

ـ " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ... " (٨).

ـ " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ... " (٩)

ـ " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ .."(١٠)

ـ " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " (١١)

ـ " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ ... " (١٢)

ـ " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ "(١٣) ،

ـ " أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ "(١٤)

ـ " أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ " (١٥) .

ـ (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٦)

ـ (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) (١٧)

ـ (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً)(١)

---

1 ـ الآية ٧١ سورة التوبة .
2 ـ الآية ٩٧ سورة آل عمران .
3 ـ الآية ٩٩ سورة يوسف .
4 ـ سورة قريش الآيات ١ـ٤ .
5 ـ الآية ١١٢ سورة النحل .
6 ـ الآية ٥٥ سورة النور .
7 ـ الآية ٣٣ سورة المائدة .
8 ـ الآية ٦٢ سورة البقرة .
9 ـ الآية ٨ سورة الممتحنة .
10 ـ الآية ١١٠ سورة آل عمران .
11 ـ الآية ١٠٤ سورة آل عمران .
12 ـ الآية ١٢٢ سورة التوبة .
13 ـ الآية ١١٠ سورة آل عمران .
14 ـ الآية ٦٢ سورة الأعراف .
15 ـ الآية ٦٨ سورة الأعراف .
16 ـ سورة آل عمران:الآية ١٣٤ .
17 ـ الآية ٨٦ سورة النساء .

ـ (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ...) ([2])

ـ (.. وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ([3])

الفصل الخامس

قال الله تعالى :

ـ " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا " ([4])

ـ " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " ([5])

ـ " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " ([6])

ـ " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " ([7])

ـ " وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " ([8]) .

ـ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ...)([9])

ـ (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَافٍ ...)([10]) .

ـ " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ... " ([11]) ...

ـ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ([12]) .

ـ (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...)([13]) ..

ـ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ...) ([14])

ـ (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) ([15]) ..

ـ (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ([16]) .

---

[1] ـ سورة النساء: من الآية ٩٤ .

[2] ـ سورة الممتحنة:الآية ٨ .

[3] ـ من الآية ١٢٥ سورة البقرة .

[4] ـ الآية ٩٧ سورة آل عمران .

[5] ـ الآية ٩٩ سورة يوسف .

[6] ـ سورة قريش الآيات ١ـ٤ .

[7] ـ الآية ١١٢ سورة النحل .

[8] ـ الآية ٥٥ سورة النور .

[9] ـ الآية ٩ سورة الحجرات .

[10] ـ الآيتان ٣٣ ، ٣٤ من سورة المائدة .

[11] ـ الآية ٣٣ سورة المائدة .

[12] ـ الآية ٦٢ سورة البقرة .

[13] ـ الآية١٥٩ سورة آل عمران .

[14] ـ الآية ٢٩ سورة الفتح .

[15] ـ الآية ٦ سورة التوبة .

[16] ـ الآية ٨ سورة الممتحنة .

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين) ([1])

ـ (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ([2])

ـ (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..) ([3])

ـ (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً) ([4]) .

ـ (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ...)([5])

ـ (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...) ([6])

ـ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ([7])

ـ (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا ..) ([8])

ـ (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)([9])

ـ (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ..) ([10])

ـ (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)([11])

ـ (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ..)([12])

ـ (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ..) ([13]) ...

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين) ([14])

ـ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)([15])

ـ (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ..) ([16])

سادساً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

المقدمة :

1 ـ الآية ١٠٧ سورة الأنبياء .
2 ـ الآية ٣٤ سورة فصلت .
3 ـ الآية ٤٦ سورة العنكبوت.
4 ـ الآية ١٤٨ سورة النساء .
5 ـ سورة الحج: من الآية٤٠ .
6 ـ سورة آل عمران:الآية ١٥٩ .
7 ـ يونس:٩٩ .
8 ـ هود:٢٨ .
9 ـ الآية ٦ سورة هود .
10 ـ الآية ٣٢ سورة المائدة .
11 ـ الآية ٣١ سورة الإسراء .
12 ـ الآية ١٤٠ سورة الأنعام .
13 ـ من الآية ١٥١ سورة الأنعام .
14 ـ سورة الانبياء:الآية ١٠٧
15 ـ سورة سـبأ: من الآية٢٨ .
16 ـ الآية ٩٠ سورة النساء .

قال النبي ع :

ــ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ع ؟ ، قَالَتْ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، ...) (١) ..

ــ (أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتوكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ...) (٢)

ــ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ع أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ...) (٣)

الفصل الأول :

قال النبي ع :

ــ (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ...) (٤)

ــ (كَانَ النَّبِيُّ ع أَجْوَدَ النَّاسِ ... رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) (٥)

ــ (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (٦)

ــ (إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق)[7]...

ــ (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...)(٨) .

ــ (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ..) (٩)

ــ (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا.. فَقَدْ عَصَمَ ..) (١٠)

ــ (كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ النبي ع:أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...) (١١)...

ــ (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ..) (١٢)

ــ (الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ..) (١٣).

ــ (يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ ، قَالَ : لَا ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ ..) (١٤)

ــ (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ع وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ، قَالَ : ..) (١٥).

ــ (.. .... فَقَالَ : ..هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ......) (١٦) .

ــ (....لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ...) (١٧)

---

[1] ــ رواه أحمد حديث رقم ٢٣٤٦٠ .

[2] ــ رواه البخاري حديث رقم ١٩٨١ ، وورواه أحمد والدارمي .

[3] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٢٨٥ ومسلم ٤٣١٠ .

[4] ــ رواه أحمد حديث رقم ٢٣٤٦٠ .

[5] ــ رواه البخاري .

[6] ــ رواه أحمد ٨٥٩٥ .

[7] ــ رواه مالك

[8] ــ رواه مسلم في صحيحه ٢١٣٧ ورواه أبوداود في سننه ١٦٢٨ وابن ماجه في سننه ٣٠٦٥ والدارمي في سننه ١٧٧٨ .

[9] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٤ ، ورواه مسلم ٣١ .

[10] ــ رواه البخاري حديث رقم ٢٧٢٧ ، ورواه مسلم ٣٠ والترمذي ٣٢٦٤ والنسائي ٣٠٣٩ وابن ماجه ٣٩١٧ وأحمد ١١٢

[11] ــ رواه البخاري ١٣١٢ ، ورواه مسلم ٢٩ والترمذي ٢٥٣٢ والنسائي ٢٤٠٠ وأبوداود ١٣٣١ وأحمد ٦٤.

[12] ــ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٢٠٩٧ ورواه بنفس اللفظ أبو داود والدارمي ، ورواه النسائي بلفظ أيديكم بدل أنفسكم .

[13] ــ رواه أبو داود حديث رقم ٢١٧١ .

[14] ــ رواه البخاري في صحيحه حديث ١٤٢٣ .

[15] ــ رواه النسائي حديث ٤١٣٨ وأحمد .

[16] ــ رواه البخاري حديث رقم ٣٩٤٤ .

[17] ــ رواه الدارمي٢٣٣٣ ، وورواه أحمد ١٨٣٢٦ والبخاري ٢٨٠٢ ومسلم ٣٢٧٦ .

ـ (لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُ فَاصْبِرُوا) ([1])

ـ (لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ مَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ) ([2])

ـ (... أَنَّهُ نَهَى عَنِ النُّهْبَةِ وَالْمُثْلَةِ)([3]) .

ـ (.... مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)([4])

الفصل الثاني

قال النبي ε :

ـ (.... : أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، ...) ([5]) .

ـ (الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) ([6])

ـ (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ..) ([7])

ـ (يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا) ([8])

ـ (مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ ... فَقَالَ : قُلْ لِخَالِدٍ لا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا عَسِيفًا) ([9])

ـ (مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ) ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ : (الْحَقْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ لا تَقْتُلُونَ ذُرِّيَّةً وَلا عَسِيفًا)([10]) .

ـ (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً ..) ([11]) .

ـ (فَخَرَجْتُ فِيهَا وَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ...) ([12]) .

ـ (...وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ : لا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا صَبِيًّا وَلا كَبِيرًا هَرِمًا وَلا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا..) ([13])

ـ (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً ..) ([14])

ـ (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلُوا..)([15])

ـ (أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ ..) ([16]) ...

ـ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ قَدْ أَسْرَعْتُمْ فِي حَظَائِرِ يَهُودَ .. أَلا لا تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهَدِينَ إِلا بِحَقِّهَا ، ..) ([17])

ـ (....: لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته (أي الدرع) فيضعها حتى يقاتل)([18])

ـ (... فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الْأُسَارَى؟ ..).([1])

---

[1] ـ رواه أحمد ١٠٣٥٦، ورواه أبوداود ٢٢٦١ ، ومسلم ٣٢٧٥ ، والبخاري ٢٨٠١ .

[2] ـ رواه أحمد ٨٨٢٩ والبخاري ٦٦٩٩ .

[3] ـ رواه البخاري ٥٠٩٢ والأئمة كلهم .

[4] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ١٢٠ ، ورواه أيضاً : مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والنسائي.

[5] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٢٣٧ .

[6] ـ رواه البخاري حديث رقم ١٢١٩ ورواه مسلم ١٥٣٤ والترمذي ٩٠٨ والنسائي ١٨٤٦ وأبو داود٢٧١٧ وابن ماجه ١٥٨٥ .

[7] ـ رواه الترمذي حديث رقم ١٨٤٧واللفظ له ، ورواه أبوداود ٤٢٩٠ وأحمد ٦٢٠٦ .

[8] ـ رواه البخاري حديث رقم ٢٨١١ ، ورواه مسلم ٣٢٦٣ وأحمد ١٨٩٠٨ .

[9] ـ سنن أبي داود حديث رقم ٢٢٩٥ ، ورواه ابن ماجه .

[10] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٤٢٣ .

[11] ـ رواه أبوداوود حديث رقم٢٢٤٧ .

[12] ـ رواه أبوداوود حديث رقم ٢٢٩٩ ، ورواه أحمد .

[13] ـ رواه مالك في الموطأ حديث رقم ٨٥٨ .

[14] ـ رواه أبو داود في سننه حديث رقم ٢٢٤٧ .

[15] ـ رواه مسلم حديث ٣٢٦١ ، ورواه أيضاً ابن ماجه ٢٨٤٩ والدارمي٢٣٣٥ .

[16] ـ رواه أبو داود في سننه حديث ٢٦٥٤ .

[17] ـ رواه أحمد في مسنده ١٦٢١٣ ورواه أبو داود في سننه ٣٣١٢ .

[18] ـ رواه الطبري ٠

ـ (... فلما أراد رسول الله ع أن يفعل نلك بعث إلي السعدين ، فذكر لهما نلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ...)([٢]).

ـ (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً ..)([٣])

ـ (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ..) ([٤])..

ـ (.. وَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا فَأَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، فَوَلَّيْتُ فَنَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا فَاقْتُلُوهُ ...)([٥])

ـ (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ..)([٦]) ...

ـ (استوصوا بالأسارى خيراً) ([٧])

ـ (فُكُّوا الْعَانِيَ ـ يَعْنِي الأَسِيرَـ وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ)([٨]).

ـ (.....اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ ـ مَرَّتَيْنِ)([٩])

ـ (أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ قَالَ سُفْيَانُ وَالْعَانِي الأَسِيرُ)([١٠])

ـ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ع :(عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ)([١١]).

ـ (أَجِزْ لَهُ وَصِيَّتَهُ مَا دَامَ عَلَى دِينِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْ دِينِهِ)([١٢])

ـ (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ع عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ...)([١٣]) .

ـ (كنا نغزو مع رسول الله ع ونسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) ([١٤]).

ـ (عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ع فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ : ... أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ..)([١٥])

ـ (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُ مَعَنَا)([١٦])

ـ (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)([١٧])

ـ (أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْطَلَقَ زَوْجِي غَازِيًا وَكُنْتُ أَقْتَدِي بِصَلاتِهِ إِذَا صَلَّى وَبِفِعْلِهِ كُلِّهِ ..)([١٨])

ـ (مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ([١٩])

---

[1] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه حديث ٣٣٠٩ .

[2] ـ أخرجه ابن إسحاق ، المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

[3] ـ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

[4] ـ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

[5] ـ رواه أبوداوود حديث رقم ٢٢٩٩ ، ورواه أحمد .

[6] ـ رواه الترمذي ١٣٢٩ ومسلم ٣٦١٥ والدارمي ١٨٨١ وأحمد ١٦٤٩٠ وابن ماجه ٣١٦١ وأبو داود ٢٤٣٢ والنسائي ٤٣٢٩ .

[7] ـ رواه الطبراني بإسناد حسن .

[8] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٨١٩ .

[9] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٩٩٤ ، ورواه النسائي ٥٣١٠ وأحمد ٦٠٩٣ ..

[10] ـ رواه البخاري ٤٩٥٤ وأبي داود ٢٦٩٩ وأحمد..

[11] ـ رواه أحمد حديث رقم ١٥٠٣٥ .

[12] ـ رواه الدارمي حديث رقم ٢٩٦٢ .

[13] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم٢٨١٨ .

[14] ـ أخرجه البخاري والنسائي .

[15] ـ رواه أحمد حديث رقم ٢١٠٧٩ ، ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه .

[16] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٢١٠٢٨ .

[17] ـ رواه أحمد٢٠٦٩٢ وأبو داود وابن ماجه ورواه البخاري ومسلم والدارمي .

[18] ـ رواه أحمد حديث رقم ١٥٠٨٠ .

[19] ـ رواه ابن ماجه ٢٧٥٢ وأبو داود والترمذي والدارمي .

ـ (ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ..) ([1])

ـ (انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ ـ يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ)([2])،

ـ (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُـــــمْ)([3])

ـ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ε إِذَا وَدَّعَ رَجُلا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلا يَدَعُهَا ... وَيَقُولُ : (اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ)([4])

ـ (... كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلا ثَلاثَ خِصَالٍ : ... ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ ، ...)([5])

ـ (إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة)([6]) ،

ـ (غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ)([7])

ـ (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فإن أَبَوْ فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإن بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا ..)([8])

ـ (اثْنَتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ...)([9])

ـ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ) ....)([10])

ـ (..اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ....)([11])

ـ (..وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ...) ([12])

ـ (أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ....)([13])

ـ (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ)([14])

الفصل الثالث

قال النبي ε :

ـ (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ)([15])

ـ (قَالَ بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاقِ)([16])..

ـ (عندما أتي النبي ε خبر مسير قريش إلى المسلمين ، فاستشار من معه من أصحابه ، فتكلم ..) ([17])

---

[1] ـ رواه أبوداود في سننه حديث رقم ٢١٣٣ .
[2] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٢٢٦٩ .
[3] ـ رواه أبو داود حديث رقم ٢٢٣٤ .
[4] ـ رواه الترمذي حديث رقم ٣٣٦٤ .
[5] ـ رواه أحمد ٢٦٢٨٩ .
[6] ـ رواه الطبراني في الكبير .
[7] ـ رواه أحمد في مسنده رقم ٢٢٤٨٣، ورواه مسلم ٣٤٩٥ ورواه النسائي ٣٠٦٨ .
[8] ـ من وصية الرسول لمعاذ بم جبل ، رواه الطبراني .
[9] ـ رواه أبو داود حديث رقم ٢١٧٨ ، ورواه الدارمي حديث رقم ٢١٧٨ .
[10] ـ رواه البخاري حديث رقم ٢٦٩٩ ورواه أحمد ٢٨٨٥ . .
[11] ـ رواه الترمذي حديث رقم ٣٠٠٦ .
[12] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٠٩ . .
[13] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٧٤٤ ورواه مسلم ٣٢٧٦ورواه الدارمي ٢٣٣٣ .
[14] ـ رواه أبو داود٢٢٦٢ ، ورواه أحمد ١٨١٧٠ .
[15] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٨٥٩٥ .
[16] ـ رواه مالك .
[17] ـ رواه ابن هشام في سيرته .

ـ (... ثم نقاتل القوم فنشرب وهم لا يشربون ، فنهض رسول الله ع ، وتحول إلى المكان والرأي اللذين أشار بهما الحباب)([1])

ـ (.. أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ع أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ...)([2])

ـ (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ع وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ع مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ ...) ([3])..

ـ (... لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالا لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ ...) ([4])

ـ (... وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ ...)([5])

ـ (... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ...)([6]).

ـ (أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ ...) ([7])

ـ (اللِّينَةُ النَّخْلَةُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ قَالَ اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ ، قَالَ : وَأُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخْلِ ، ...) ([8])

ـ (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ع فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ ...)([9])

ـ (أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ..) ([10]) ...

ـ (أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ ..)([11])

ـ (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ع يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ : ..) ([12]).

ـ (دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ع يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ .. اللهم اهزم الأحزاب...) ([13]) .

ـ (اللَّهُمَّ امْلأْ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ) ([14]) .

ـ (كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا ....فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ..) ([15])

ـ (..لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا ..) ([16])

ـ (رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ع بِالنَّارِ فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ..) ([17]) ..

---

[1] ـ روى ابن هشام في سيرته حديث الخباب بن المنذر هذا عن اسحاق عن رجال من بني سلمة ، ورواه الحافظ بن حجر في الإصـابةعن ابن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير (راجع الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر ، ج١/ص٣٠٢)

[2] ـ رواه البخاري٣٦٧٩ ورواه أحمد ١٥٧٦٦ .

[3] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٥٢٧ ، ورواه مسلم ٣٣٧٦

[4] ـ رواه الترمذي في سننه حديث رقم ٣١٢٥ .

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣٧٥٧. .

[6] ـ رواه البخاري حديث رقم ١٢٦١ ، ورواه أبو داود ٢٧٣١ .

[7] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٤١٨٢ .

[8] ـ رواه الترمذي في سننه حديث رقم ٣٢٢٥ .

[9] ـ رواه البخاري حديث رقم ٣٨١٦ ، ورواه مسلم ٣٣٨٧ .

[10] ـ رواه البخاري ٣٨١٧ ، ورواه أيضا أبو داود ١٠٤٩ وأحمد ٢٢٠٥٥ ومالك ٣٩٤.

[11] ـ رواه البخاري ، ورواه مسلم٤٢٣١ وأحمد ١٣٨١٦ ..

[12] ـ رواه البخاري حديث رقم ٢٦٢٥ ، ورواه مسلم ٣٣٦٥ ، ورواه أحمد ١٧٧٨٠ ورواه الدارمي ٢٣٢٧ .

[13] ـ رواه البخاري ٢٧١٦ .

[14] ـ رواه الترمذي ٢٩١٠ ، والنص له ، ورواه البخاري ومسلم وأحمد .

[15] ـ رواه البخاري ٣٤٤٢ وأحمد

[16] ـ رواه البخاري حديث رقم ٣٨١٠ .

[17] ـ رواه الترمذي حديث رقم ١٥٠٨ وأحمد .

ـ (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ε زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ε إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ...) (١)

ـ (......... حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ε قَالَ فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ : تَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا .....) (٢)...

ـ (أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ε خَيْبَرَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ..) (٣)

ـ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε أَعْطَى خَيْبَرَ الْيَهُودَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا خَرَجَ مِنْهَا) (٤)

ـ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ε يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ... و زَادَ فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا ...)(٥)

ـ (أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ε بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ε فَسَأَلَهَا...) (٦)

ـ (... ... ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ε الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ...) (٧).

ـ (... قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ε تَبُوكَ فَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى هِرَقْلَ ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ε دَعَا قِسِّيسِي الرُّومِ وَبَطَارِقَتَهَا ...) (٨)

ـ (أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ قَتِيلٌ ، فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ) (٩)

ـ (أَنَّ النَّبِيَّ ε نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : ...) (١٠)

ـ (.. حَتَّى مَرَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا؟ ، فَقُلْتُ : هَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ : نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ) (١١)

ـ (..وَقَالَ : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ..) (١٢)

ـ (لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ)(١٣).

ـ (لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ε عَامَ الْفَتْحِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ ..) (١٤)

ـ (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) الآيَةَ) (١)

---

[1] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢٥٢٩ ، وهناك رواية طويلة لأحمد في مسنده حديث رقم ١٨١٥٢ ، وحديث رقم ١٨١٦٦ .

[2] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٧٢ ورواه أحمد برواية أخرى حديث رقم١٥٩٤١ .

[3] ـ رواه البخاري ٢١٢٤ .

[4] ـ رواه البخاري ٢١٦٣ .

[5] ـ رواه أبوداود ٣٩١٢ ، والنص له ، ورواه الدارمي حديث رقم ٦٧ .

[6] ـ رواه مسلم ٤٠٦٠ ، ورواه أبو داود ٣٩٠٩ .

[7] ـ رواه البخاري حديث رقم ٦ ورواه مسلم ٣٣٢٢ وأحمد ٢٢٥٢ ..

[8] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥١٠٠ .

[9] ـ رواه البخاري٣٩٢٧ .

[10] ـ رواه البخاري ٣٤٧٤ .

[11] ـ رواه الترمذي ٣٧٨١ .

[12] ـ رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٦٥٩ .

[13] ـ رواه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٣٩٣٢ .

[14] ـ رواه البخاري حديث رقم ٣٩٤٤ ، ورواه مسلم ٣٣٣٣ والترمذي ٣٠٦٣ وأحمد ٣٤٠٣ .

ـ (.. ثُمَّ ذَكَرَ فَتْحَ مَكَّةَ فَقَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الأُخْرَى ..) ([2])

ـ (.. مَا تَقُولُونَ فِي (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) حَتَّى خَتَمَ ..) ([3])

ـ (.. فَقَالَ : خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتُهَا (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فَتْحُ مَكَّةَ (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) ([4])

ـ (ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ع الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ ..)([5])

ـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلا إِنَّ قَتِيلَ الْعَمْدِ الْخَطَإِ بِالسَّوْطِ ..) ([6])

ـ (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ ...) ([7]) ..

ـ (... فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ع فَلَمْ يَفِرَّ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ ع يَقُولُ :أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ ..أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ) ([8])...

ـ (.. أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ ، فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ع مَا وَلَّى ، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ ...) ([9])

ـ (... قَالَ : نَعَمْ غَزَوْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا ، فَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَتَّى رَأَيْنَا خَيْلَنَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيْنَا فَيَدُقُّنَا وَيَحْطِمُنَا ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ...) ([10])

ـ (شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ع يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ع...)([11])

ـ (فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ع : أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ,...) ([12])...

ـ (إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ع وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : هَلَكُوا ...) ([13])

ـ (.. حدث أن رسول الله قد استلف دروعاً وأسلحة من صفوان بن أمية ، وكان يومئذ مشرك ، فطلب منه الرسول ع تلك الدروع والأسلحة ، فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ ، فقال النبي ع: بل عارية وهي مضمونة..)([14])

الفصل الرابع

قال النبي ع :

ـ (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) ([15]).

ـ ... (كلمة حق عند سلطان جائر)([1])

---

[1] ـ رواه البخاري ٢٢٩٨ .

[2] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٣٣٣١ وأحمد ١٠٥٢٦ .

[3] ـ رواه البخاري٣٩٥٦ .

[4] ـ رواه مسلم ٧٤٩ وأحمد ٢٩٦١ .

[5] ـ رواه البخاري ١٠١ ورواه مسلم ٢٤١٣ ، ورواه بصيغ مختلفة أحمد ١٥٧٧٨ والنسائي ٢٨٢٧ .

[6] ـ رواه النسائي ٤٧١٧ ورواه أحمد ١٤٨٤٣ وابن ماجه ٢٦١٨ .

[7] ـ رواه أبو داود ٣٩٤١وأحمد ٤٣٥٥..

[8] ـ رواه البخاري ٢٦٥٢، ورواه مسلم ٣٣٢٧ وأحمد ١٧٧٤٥ والترمذي ١٦١١ .

[9] ـ رواه مسلم ٣٣٢٦ .

[10] ـ رواه أبوداود٢٧٧٩ .

[11] ـ رواه مسلم ٣٣٢٤ ورواه أحمد ١٦٧٩ . .

[12] ـ رواه البخاري ورواه أحمد ..

[13] ـ رواه أحمد ٧٠١٤ واللفظ له ، ورواه البخاري ومسلم .

[14] ـ رواه ابن اسحاق بسند صحيح .

[15] ـ رواه أبو داود ٤٣٤٤والترمذي ٢١٧٥ وابن ماجه ٤٠١١ وأحمد في مسنده ج٥/٢٥١ .

ـ (.. قلت : يارسول الله أي المسـلمين أفضل ؟ ، قال ع : (من سلم المسلمون من لسانه ويده)([2]) .

ـ (إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد)([3]) .

ـ (إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش وبين أن يبَخلوني ولست بباخل)([4])

ـ (كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله)([5])

ـ (من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية)([6])

ـ " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غلول " ([7])

ـ " ألا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلا يُرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا "([8])

ـ (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ) ([9])

ـ (..... فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ع لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ ..).([10])

ـ (إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ...) ([11]).

ـ (.... ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك ، وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ع : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا([12]).

ـ (.. حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما – يعني يشاورهما . فقالا : لا والله ما أعطينا المدينة من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام ....)([13])

ـ ...عن معنى : (أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) قَالَ : (دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِد)([14])..

ـ " الْمَدِينَةُ حَرَمٌ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَـلُ مِنْـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ .. "([1]) ...

---

[1] ـ رواه النسائي بإسناد صحيح (ج٧/١٦١)وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (ج٣/١٦٨)

[2] ـ متفق عليه وأخرجه البخاري ج١ص٥١ـ٥٢،ومسلم حديث رقم ٤٢ .

[3] ـ متفق عليه وأخرجه البخاري ج١/ص١٤٥ـ١٤٦ ومسلم ١٦٧٩ .

[4] ـ رواه مسلم في صحيحه .

[5] ـ رواه ابن ماجه عن أبي هريرة .

[6] ـ رواه الطبري .

[7] ـ رواه أبو داود .

[8] ـ رواه الترمذي ١٣٢٣ ، ورواه بصيغة أخرى ابن ماجه ٢٦٧٧ ، كما رواه أبو داود عن صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ع عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع قَالَ : (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ٢٦٥٤ .

[9] ـ أخرجه أحمد ١١٠٩٩ والترمذي ١٢٥٠ .

[10] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه حديث ٣٣٠٩ .

[11] ـ أخرجه الإمام أحمد ، حياة الصحابة جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ورواه الترمذي والحاكم والإمام أحمد ، المرجع السابق ص ٣١ .

[12] ـ أخرجه ابن إسحاق ، المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

[13] ـ رواه البزار ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

[14] ـ رواه البخاري ٤٣٧٠ .

ـ " يَدُ الْمُسلمين عَلَى مَنْ سواهُمْ تَتَكافأُ دماؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسلمين أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَى الْمُسلمين "(٢) .

ـ " .... وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ ... "(٣) ...

ـ " .... أَحسنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَحْلِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى.. ... "(٤)

ـ " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "(٥)

ـ (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ...)(٦) ...

ـ " من ذهب في حاجة أخيه فقضيت حاجته كُتبت له حجة وعمرة ، وإن لم تُقض كُتبت له عمرة " (٧)

ـ (أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على مسلم) (٨)

ـ (من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز جل يوم القيامة) (٩)

ـ " إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه " (١٠)

ـ " من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرّج عن معسر " (١١)

ـ " إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها مابذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى " (١٢) .

ـ " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ " (١٣)

ـ " الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ " (١٤) ...

ـ " مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي... " (١٥)

ـ (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ .. "(١٦) ...

ـ "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ وَآمِنًا فِي سِرْبِهِ وَعِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " (١٧)

ـ " لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا " (١٨) ...

ـ " قَالَ لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاحِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ " (١٩)

---

[1] ـ رواه البخاري ١٧٣٧ ومسلم ٢٤٣٣ واللفظ له والترمذي٢٠٥٥ وأبوداود ١٧٣٩ .

[2] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده ٦٧١٦ وابن ماجه ٢٦٧٥ واللفظ له .

[3] ـ رواه الترمذي في سننه ٢٧٩٠.

[4] ـ رواه الإمام أحمد ١٧٢ واللفظ له وروله الترمذي ٢٠٩١ .

[5] ـ رواه البخاري وأحمد والترمذي .

[6] ـ رواه البخاري٢٢٦٢ واللفظ له ورواه مسلم ٤٦٧٧والترمذي ١٣٤٦ وأبوداود ٤٢٤٨وأحمد ٥٣٨٨.

[7] ـ رواه البيهقي .

[8] ـ رواه الطبراني في الأوسط .

[9] ـ روه الطبراني .

[10] ـ رواه الديلمي.

[11] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده .

[12] ـ رواه الطبرني في الكبير والأوسط .

[13] ـ رواه البخاري ٤٥٩ ومسلم ٤٦٨٤ والترمذي ١٨٥١ والنسائي ٢٥١٣ وأحمد ١٨٧٩٩ .

[14] ـ رواه أبو داود ٤٢٧٢ .

[15] ـ رواه ابو داود ٤٢٤٠ واللفظ له ، وأحمد ١٥٧٧٣.

[16] ـ رواه البخاري ٦٤٣٨ ورواه الترمذي عن أنس عن النبيّ ع قال : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ) حديث رقم ٢١٨١ ورواه أحمد ١١٥١١ .

[17] ـ رواه ابن ماجه٤١٣١ واللفظ له ورواه الترمذي ٢٢٦٨.

[18] ـ رواه أحمد ٢١٩٨٦ واللفظ له ورواه أبوداود ٤٣٥١ والترمذي في سننه .

[19] ـ متفق عليه رواه البخاري ٦٥٤٥ ومسلم ٤٧٤٢.

ـ " لا يأخُذَنَّ أحدُكُمْ مَتاعَ أخيه لاعبًا ولا جادًّا ... " لعبًا ولا جدًّا ومَنْ أخذَ عصا أخيه فلْيَرُدَّها " (1)

ـ " اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ ، اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودُنْيايَ وأهلي ومالِيَ ، اللّهُمَّ استُرْ عوْراتي وآمنْ روْعاتي ، اللّهُمَّ احفَظْني منْ بيْنِ يدَيَّ ومنْ خلْفي..."(2) .

ـ " نعمْ منْ دخلَ دارَ أبي سفْيانَ فهُوَ آمنٌ ، ومنْ أغْلقَ عليْه دارهُ فهُوَ آمنٌ ، ومنْ دخلَ المسْجدَ فهُوَ آمنٌ .. " (3)

ـ " إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ ، قالُوا لمنْ يا رسُولَ اللَّه ؟ ، قالَ : للَّه وكتابه ورسُوله وأئمَّة المُؤْمنينَ وعامَّتهمْ أوْ أئمَّة المُسْلمينَ وعامَّتهمْ "(4) ..

ـ " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " (5)

ـ " ألا منْ ظلَمَ مُعاهدًا أو انْتقَصهُ أوْ كلَّفهُ فوْقَ طاقته أوْ أخَذَ منْهُ شيْئًا بغيْر طيب نفْس فأنا حجيجُهُ يوْمَ ..."(6)

ـ (ليْسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَة إنَّما الشَّديدُ الَّذي يمْلكُ نفْسهُ عنْد الْغضَب) (7) .

ـ (خلَقَ اللَّهُ آدمَ على صُورته طُولُهُ ستُّونَ ذراعًا ، فلمَّا خلَقهُ قالَ : اذْهبْ فسلِّمْ على أُولئكَ النَّفَر منَ الملائكة جُلُوسٌ فاسْتمعْ ما يُحيُّونكَ ...) (8)

ـ (...... السَّلامُ عليْكُمْ يا صبْيانُ) (9)

ـ (جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ع فقالَ : السَّلامُ عليْكُمْ ، فردَّ عليْه السَّلامَ ، ثُمَّ جلَسَ ، فقالَ النَّبيُّ ع : عشْرٌ ...) (10).

ـ (... والَّذي نفْسُ مُحمَّد بيده لا تُؤْمنُوا حتَّى تحابُّوا ، أفلا أُنبِّئُكُمْ بشيْءٍ إذا فعلْتُمُوهُ تحاببْتُمْ : أفْشُوا السَّلامَ..)(11)

ـ (لا تدْخُلُونَ الْجنَّةَ حتَّى تُؤْمنُوا ولا تُؤْمنُوا حتَّى تحابُّوا ، أوَلا أدُلُّكُمْ على شيْءٍ إذا فعلْتُمُوهُ تحاببْتُمْ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ) (12).

ـ (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) (13)

ـ (قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : الْمُتحابُّونَ في جلالي لهُمْ منابرُ منْ نُور ، يغْبطُهُمْ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ)(14).

ـ (... لمْ يكُنْ فاحشًا ولا مُتفحِّشًا وقالَ : (إنَّ منْ أحبِّكُمْ إليَّ أحْسنَكُمْ أخْلاقًا) (15)

ـ (ألا أُحدِّثُكُمْ بأحبِّكُمْ إليَّ وأقْربكُمْ منِّي مجْلسًا يوْمَ الْقيامة؟ ، ثلاثَ مرَّات يقُولُها ، قالَ : قُلْنا بلى يا رسُولَ اللَّه ، قالَ : فقالَ : (أحْسنُكُمْ أخْلاقًا) (16) ..

ـ (أفْضلُ الأعْمال الْحُبُّ في اللَّه والْبُغْضُ في اللَّه) (1)

---

[1] ـ رواه أبو داود ٥٠٣٥ .

[2] ـ رواه الإمام أحمد ٤٥٥٤ واللفظ له وأبو داود ٤٤١٢ وابن ماجه ٣٨٦١.

[3] ـ رواه أبو داود ٢٦٢٧.

[4] ـ رواه أبو داود ٤٢٩٣ واللفظ له ورواه الدارمي ٢٦٣٦ ومسلم ٨٢ والترمذي ١٨٤٩ والنسائي ٤١٢٦ وأحمد في مسند الشاميين ١٦٣٣٦ .

[5] ـ رواه النسائي بإسناد صحيح .

[6] ـ رواه أبوداود ٢٦٥٤ .

[7] ـ رواه البخاري ٥٦٤٩ ومسلم ٤٧٢٣ وأحمد ٦٩٢١ ومالك ١٤٠٩ .

[8] ـ رواه البخاري ٥٧٥٩ .

[9] ـ رواه أحمد ١٢٤٢٩ .

[10] ـ رواه أبوداود ٤٥٢١ والدارمي والترمذي .

[11] ـ أخرجه أحمد ١٣٣٨ .

[12] ـ رواه مسلم ٨١ وأحمد ٩٣٣٢ وأبوداود ٤٥١٩ والترمذي ٢٦١٢ وابن ماجه ٦٧ .

[13] ـ رواه الترمذي .

[14] ـ أخرجه الترمذي٢٣١٢ وأحمد ٢١٠٦٦ .

[15] ـ رواه البخاري ٣٤٧٦ .

[16] ـ أخرجه أحمد ٦٧٣٨ .

ـ (إِذَا أَحبَّ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاوَاتِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ...) ([2])

ـ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ([3]) .

ـ (أَنَّ النَّبِيَّ ε نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ) ([4])

ـ : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ε عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ وَأَنْ يَمْنَعَ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي دَارِهِ) ([5]) ...

ـ (لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ) ([6]) ..

ـ (... اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ .. قِيلَ : مَا الْمَلاعِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ :أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ أَوْ فِي طَرِيقٍ أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ) ([7]) ...

ـ (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ .. قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ) ([8])

ـ (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا إِمَاطَةَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ: قَالَ عَارِمٌ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ) ([9])..

ـ (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) ([10]) .

ـ (لا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ ... فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ أَرَأَيْتَ الإِبِلَ تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ فَيَأْتِيهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ، قَالَ النَّبِيُّ ε فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ)([11]) ...

ـ (قَالَ لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ....) ([12]) ...

ـ (لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ) ([13]) ...

ـ (إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ)([14])

ـ (طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها)([15]) ..

ـ (الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) ([16]) ..

ـ (يَقُولُ التَّفْلُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا) ([17]) ..

---

[1] ـ أخرجه أبوداود ٣٩٨٣ وأحمد ٢٠٣٤١ ، والبخاري ومسلم والترمذي في باب الحب في الله .

[2] ـ رواه أحمد ١٠٢٠٦ ، ورواه البخاري ٢٩٧٠ ورواه مسلم ٤٧٧٢.

[3] ـ متفق عليه .

[4] ـ رواه الترمذي ١٨١٠ ورواه البخاري ٥١٩٩ومسلم ٣٩٤ والنسائي ٤٨ وأبو داود ٣٢٤٠ وابن ماجة ٣٤١٨ وأحمد ٢١٥٨٨ والدارمي ٢٠٣٠.

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٥١٩٦ .

[6] ـ رواه مسلم في صحيحه رقم ٤٢٤ ورواه الترمذي ٦٣ والنسائي ٥٧ وأحمد ٧٢١٣ وأبو داود ٢٥ وابن ماجه ٣٠٠ .

[7] ـ رواه أحمد في مسنده حديث ٢٥٨٠ وأبو داود ٢٤ وابن ماجه ٣٢٣.

[8] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث ٣٩٧ ورواه أحمد في مسنده٨٤٩٨ .

[9] ـ رواه أحمد حديث ٢٠٥٨٦ .

[10] ـ رواه مسلم ٥١ وأحمد ٨٥٧٠ والترمذي ٢٥٣٩والنسائي ٤٩١٩ وابن ماجه ٥٦.

[11] ـ رواه البخاري في صحيحه ٥٣٣٠ ورواه مسلم ٤١١٦ وأحمد ٢٢٩٩ وأبو داود ٣٤١٢ .

[12] ـ رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود .

[13] ـ رواه البخاري في صحيحه حديث في باب الجذام .

[14] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٤١٣٨ .

[15] ـ رواه الطبراني في الأوسط ٢/١١

[16] ـ رواه البخاري ٣٩٨ ومسلم ٨٥٧ والترمذي ٥٢٢ وأحمد ١٢٩٥٢وأبو داود ٤٠٢ والدارمي ١٣٥٩.

[17] ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٨٥٨ ورواه أحمد في مسنده حديث ١٢٤٢٤ وأبو داود ٤٠١ .

ـ (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ) (١) ..

ـ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε رَأَى فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا أَوْ بُصَاقًا أَوْ نُخَامَةً فَحَكَّهُ) (٢) ..

ـ (اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ) (٣) ..

ـ (الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ..) (٤).

الفصل الخامس

قال النبي ε :

ـ " من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافاً في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " (٥)

ـ " لا يحل لمسلم أن يُرَوِع مسلماً " (٦) ...

ـ " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة .. " (٧) ...

ـ " لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً " (٨) ...

ـ " اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي " (٩).

ـ " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " (١٠).

ـ (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه) (١١)

ـ (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) (١٢) ،

ـ (من يحرم الرفق يحرم الخير) (١٣).

ـ (اسمح يُسْمَح لك) (١٤)

ـ (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) (١٥) ..

ـ (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر) (١٦)

ـ (من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) (١٧)

---

1 ـ رواه مسلم ٨٥٩ وأحمد ٢٠٥٦٩ .
2 ـ رواه البخاري ٣٩٢ ومسلم ٨٥٤ وأحمد ٢٤٠٠١ ومالك ٤١٠ .
3 ـ رواه مسلم ٤٧٤٧ وأحمد ١٨٩٣٢ وابن ماجه ٣٦٧١ .
4 ـ رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٤١٠٨ ورواه أحمد ١٤٩٣ ومالك١٣٩٢ .
5 ـ رواه البخاري والترمذي وابن ماجه والطبراني .
6 ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .
7 ـ متفق عليه .
8 ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .
9 ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم .
10 ـ رواه أبو داود .
11 ـ رواه مسلم وأحمد وأبو داود .
12 ـ رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .
13 ـ رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه .
14 ـ رواه أحمد بن حنبل .
15 ـ أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٣٤ .
16 ـ رواه البخاري .
17 ـ رواه أحمد بن حنبل .

ـ (... فأخذ الرجل سهما من كنانته فانتبه الرجل ففزع ، فقال رسول الله : لا يحل لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلما) ([1])،

ـ (كنا نغزو مع رسول الله ε ونسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) ([2]).

ـ (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ ..) ([3])

ـ (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل) ([4])..

ـ (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) ([5]) ...

ـ (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً) ([6])

ـ (اغزو باسم الله وفي سبيل الله،قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً...) ([7])

ـ (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلا وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً ..) ([8])

ـ (إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقنها ..) ([9]).

ـ (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) ([10])

ـ (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ ...... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابُ اللَّهِ ...) ([11]) .

ـ (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَقَالَ : فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ ..) ([12]) .

ـ (... وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ لا تُغِلُّ عَلَى ثَلاثٍ : إِخْلاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةِ أُولِي الأَمْرِ وَعَلَى لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ) ([13]) .

ـ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ ...) ([14]) .

ـ (أَلا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ) ([15]) .

ـ (...قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، هَلْ بَلَّغْتُ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ) ([16]) .

---

[1] ـ رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

[2] ـ أخرجه البخاري والنسائي .

[3] ـ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

[4] ـ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

[5] ـ رواه الترمذي بلفظه حديث رقم ٢٥٥١، ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والدارمي.

[6] ـ رواه الإمام أحمد وأبو داود .

[7] ـ رواه الطبراني .

[8] ـ رواه أبو داود في حديث رقم ٢٢٤٧ .

[9] ـ راجع : حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص٢٤٩ .

[10] ـ رواه الترمذي ١٣٢٩ ومسلم ٣٦١٥ والدارمي ١٨٨١ وأحمد ١٦٤٩٠ وابن ماجه ٣١٦١ وأبو داود ٢٤٣٢ والنسائي ٤٣٢٩ .

[11] ـ رواه مسلم في صحيحه ٢١٣٧ ورواه أبوداود في سننه ١٦٢٨ وابن ماجه في سننه ٣٠٦٥ والدارمي في سننه ١٧٧٨ .

[12] ـ رواه البخاري ١٦٢٦ .

[13] ـ رواه الدارمي في سننه٢٢٩ .

[14] ـ رواه أحمد في مسنده٢١٢٦٣ .

[15] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده ١٨١٩٨ .

[16] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده ١٧٩٧٣ .

ـ (... وقَالَ فيمَا يقُولُ : رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَرَامٌ : عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَنَفْسُهُ ، حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ) ([1]).

ـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؟ ، قَالُوا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ...) ([2]) .

ـ (... أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ، قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ : يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ...) ([3]) .

ـ (اسْتَنْصِتِ النَّاسَ .. ثُمَّ قَالَ : لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) ([4]).

ـ (.. قَالَ : أَلا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟ ، قَالُوا : أَلا يَوْمُنَا هَذَا ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلا بِحَقِّهَا ..) ([5]).

---

[1] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده١٦٨٧٧ .
[2] ـ رواه ابن ماجه في سننه ٣٠٤٦ .
[3] ـ رواه الترمذي ١٠٨٣ ، ٣٠١٢ .
[4] ـ رواه البخاري ٦٥٥٣ .
[5] ـ رواه البخاري ٦٢٨٧ .

قائمة

بالمراجع العامة

أولا الكتب والمصادر :

١. ــ القرن الكريم .

٢. ــ كتب السنة المختلفة (صحيح البخاري ــ صحيح مسلم ــ مسند الإمام أحمد ــ موطأ الإمام مالك ــ سنن الترمذي وابن ماجه والنسائي وأبوداود والدارمي ، ورياض الصالحين ، وفقه السنة لسيد سابق ، والجامع الصغير والكبير للسيوطي) .

٣. ــ إبراهيم نافع ، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٤م .

٤. ــ ابن كثير ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ .

٥. ــ أبو الأعلى المودودي : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، الكويت، دار القلم ، ١٩٧٧م .

٦. ــ أبو زكريا يحيي بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩١م ، ط٢٠ ..

٧. ــ اتين دينيه وسليمان إبراهيم ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٣م .

٨. ــ أحمد أبو الوفا ، الحماية الدولية لحقوق الإنسان ، في إطار منظمة الإمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٠م ، ط١ .

٩. ــ أحمد عبدالرحيم السايح وأحمد عبده عوض ، قضايا البيئة من منظور إسلامي ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ٢٠٠٤م .

١٠. ــ أحمد عرفات القاضي ، خصائص التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي ، القاهرة ، ملحق مجلة الأزهر عدد ربيع أول ١٤١٦هـ.

١١. ــ أحمد محمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، دراسات إسلامية ، رقم ٤ ، ١٩٥٨ .

١٢. ــ إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسة الدولية : المفاهيم والحقائق الأساسية ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٥م ، ط٢ .

١٣. ــ اسماعيل عبد الفتاح ، القيم السياسية في الإسلام ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠١م .

١٤. ــ اسماعيل عبد الفتاح ، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٦م.

١٥. ــ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، فن التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٠م .

١٦. ــ الإسلام دين الرفق ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، المكتب الفني لنشر الدعوة الإسلامية ، سلسلة الدين والحياة ، ١٩٨٨ .

١٧. ــ السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، بيروت ، منشـــورات المعـــارف ، بدون تاريخ.

١٨. ــ السيد أحمد المخزنجي ، العدل والتسامح الإسلامي ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإســلامي ، سلســلة دعوة الحق ، العدد ٦٧ ، يونيو ١٩٨٧م .

١٩. ــ السيد نجم ، الحرب : الفكرة ، التجربة ، الإبداع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م

٢٠. ــ الشريف نايف بن هاشم الدعيس ، الرسول ε والشعر ، المدينة المنورة ، مطابع الرشيد ، ١٩٩٢م ، ط١ .

٢١. ــ السيوطي في الجامع الصغير ج٢ .

٢٢. ــ الشافعي محمد بشير ، قانون حقوق الإنسان ، مصر ، المنصورة ، مكتبة الجلاء الجديدة ، ١٩٩٢م .

٢٣. ــ الشريف نايف بن هاشم الدعيس، الرسول ε والشعر، المدينة المنورة، مطابع الرشيد، ١٩٩٢م، ط١.

٢٤. ــ إلياس زحلاوى : ترجمة المجتمع والعنف (لمجموعة من المؤلفين) ، بيروت : المؤسســة الجامعيــة للدراسات والنشر والتوزيع ، طـ٣ ، ١٩٩٣ م.

٢٥. ــ أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، القاهرة ، دار المعارف ،١٩٧٦.

٢٦. ــ أنطونى سكوتي : أمن رجال الأعمال الإرهاب الدولي ، القاهرة ، مركز المعلومات والدارسات ، بــدون تاريخ .

٢٧. ــ أنور الجندي : عالمية الإسلام ، القاهـــرة ،دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، العدد ٤٢٦ ، ١٩٧٧م.

٢٨. ــ توفيق على وهبة ، الجهاد في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلســلة كتــب إسلامية ، العدد ١٥٢ ، ١٩٧٣م

٢٩. ــ جعفر عبد السلام ، القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، في ، القانون الدولي الإنساني : دليل للتطبيق على الصعيد الوطنى، تقديم أحمد فتحي سرور ، القاهرة ، المستقبل العربي بالاشتراك مع الصليب الأحمر، ٢٠٠٣م.

٣٠. ــ جعفر عبد السلام ، الإسلام وحقوق الإنسان ، القاهرة ، رابطة الجامعات الإســلامية ودار محيســن ، سلسلة فكر المواجهة رقم ٤ ، ٢٠٠٢م .

٣١. ــ جمال الدين محمد محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، القــاهرة ، المجلــس الأعلــى للشــئون الإسلامية ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ٢٣٧ ، ١٩٨٠.

٣٢. ــ حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية،١٩٧٠م.

٣٣. ــ حامد سليمان : ألغام في طريق الصحوة الإسلامية ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٩٠.

٣٤. ــ حسين العودات ، المرأة العربية في الدين والمجتمع ، دمشق ، دار الأهالي ، ١٩٩٦م .

٣٥. ــ حسين فوزي النجار ، الإسلام والسياسة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م .

٣٦. ــ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧م ، ط٥ .

٣٧. ــ رؤوف شلبي ، الجهاد في سبيل الله : منهج وتطبيق ، القاهرة ، الأزهر ، مجمع البحوث الإســلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة الحادية عشرة ، الكتاب السادس ، الجزء الأول .

٣٨. ــ زكريا البري ، حقوق الإنسان في الإسلام ،القاهرة ، مطبوعات المجلس الأعلى للشــؤون الإســلامية ، ١٩٨١ .

٣٩. ــ سعدي أبو حبيب ،الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام ، جدة ،كتاب النادي الأدبي الثقافي ،رقم ٦ ، ١٩٨٢.

٤٠. ــ سعدي أبو حبيب ، دراسة في منهاج الإسلام السياسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م .

٤١. ــ سمير فرج ، الولاء بين علم النفس والقرآن ، القاهرة ، المتحدة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م ٠

٤٢. ــ سهير لطفي ، إشكالية هوية الشباب المسلم بين الفكر والحركة ، في ، كتاب جذور الإرهاب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م، ج١.

٤٣. ــ سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٤م .

٤٤. ــ شريف عتلم ، محاضرات في القانون الدولى الإنساني ، القاهرة ، المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٣ ، ط ٣ .

٤٥. ــ شوقي ضيف ، عالمية الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، الأعمال الدينية ، ١٩٩٩م .

٤٦. ــ صالح بن حسين العايد ، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، الرياض ، دار كنوز أشبيليا ،إصدار علم ٢٠٠٣ م ، ط ٤.

٤٧. ــ ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٨٥م ، ط ٥ .

٤٨. ــ عامر الزمالي ، حماية الأطفال في حالات النزاع المسلح ، في ، مفيد شهاب (تقديم) دراسات في القانون الدولى الإنساني ، القاهرة ، دار المستقبل العربي واللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م ، ط١.

٤٩. ــ عباس العقاد ،الديمقراطية في الإسلام،القاهرة ،دار المعارف ، ١٩٧١م ، ط٤ .

٥٠. ــ عبد التواب مصطفى ، العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة دراسات إسلامية ، العدد ٣٩ ، ١٩٩٩م

٥١. ــ عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٦م ، ط٢ .

٥٢. ــ عبد الحليم عويس ، المسلمون في معركة البقاء ،القاهرة ، دار الاعتصام ،١٩٧٩م .

٥٣. ــ عبد الحليم محمود ، الجهاد والنصر ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة السادسة ، العدد ٧٥ ، يونيو ١٩٧٤ .

٥٤. ــ عبد الرحمن بدوي ، الأخلاق النظرية ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥م ، ط ١.

٥٥. ــ عبد الصبور مرزوق ، رسائل إلى عقل الغرب وضميره : عالمية الإسلام وإنسانيته ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٦م.

٥٦. ــ عبد الغني عبد الحميد محمود ، حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية ، تقديم محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ، القاهرة ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م .

٥٧. ــ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٩٩٧م .

٥٨. ــ عبد الله ناصر السدحان ، رعاية المسنين في الإسلام ، القاهرة ، ملحق مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٤٢١هـ.

٥٩. ــ عبد الله بن ناصر السدحان ، رعاية المسنين في الإسلام ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سلسلة الداء والشفاء رقم ١٢ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٦٠. ــ عبد الكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، الرياض ، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، بدون تاريخ .

٦١. ــ عبد المعز الجزار ، شهداء المسلمين في الغزوات ، القاهرة ، بدون ، ١٩٩٤م .

٦٢. ــ عثمان السعيد الشرقاوي ، شريعة القتال في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الزهراء ، ١٩٧٢م.

٦٣. ــ عز الدين فودة ، قانون الحرب في الفقه الدولي ، القاهرة ، بدون ناشر ، ١٩٨١م .

٦٤. ــ على عبد الواحد وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٧م ، ط ٤ .

٦٥. ــ على عزت بيجوفيتش ، الإسلام بين الشرق والغرب ، الكويت ، مجلة النور ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات ، ١٩٩٤م .

٦٦. ــ عمر عبد الحفيظ الجيوسي ، مهلاً يا دعاة حقوق الإنسان ، الشارقة ، جمعية المعلمين ، السلسلة التربوية ، ١٦ ، ٢٠٠٢م .

٦٧. ــ عمر يوسف حمزة ،حقوق الإنسان في القرآن الكريم،القاهرة،مركز الكتاب للنشر،١٩٩٨م .

٦٨. ــ فاروق يونس أبو الرب ، الإسلام وحقوق الإنسان ، فيطين ، رام الله ، مطبعة رفيدي ، ٢٠٠١م .

٦٩. ــ فتحي الأبياري ، المحمديات ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، الجزء الأول .

٧٠. فتحي الإبياري ، المحمديات ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، الجزء الرابع.

٧١. ــ فؤاد عبد المنعم ، أصول نظام الحكم في الإسلام ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب ،بدون تاريخ.

٧٢. ــ فواز أ . جرجس : أمريكا والإسلام السياسي : صــ ٤١ حضارات أو تضارب مصالح ، ترجمة سعود عطية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات – سلسلة كتب مترجمة ٨٤٠ ، ٢٠٠٠ م.

٧٣. ــ كارشاف إدريس ، معجم الآيات القرآنية لحقوق الإنسان ، الرباط ، دار الأمان للنشر ومطبعة المعارف الجديدة ، ١٩٩٢م .

٧٤. ــ كتاب تربية التسامح وضرورات التكافل الاجتماعي ، الكويت ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ، الكتاب السنوي العاشر ١٩٩٤/١٩٩٥م .

٧٥. ــ لطفي محمود عبد الحليم ، حقوق الإنسان بين إعلان الأمم المتحدة والقرآن ، القاهرة ، المصباح للنشر والترجمة ، ١٩٩٢م.

٧٦. ــ لطفي عبد القادر دسوقي وحسين فرج الشاذلي ومحمود عبد الله برات ، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة ، القاهرة ، المركز العربي للإعلام البيئي ، بدون تاريخ.

٧٧. ــ مجدي حبيب الريس ، من أخلاق المسلم ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م

٧٨. ــ محمد أبو زهرة ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٤م .

٧٩. ــ محمد السعيد طنطاوي ، الإسلام يرسم للمجاهدين طريق النصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٧١ .

٨٠. محمد بديع شريف ، المساواة في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ، رقم ١٧ ،١٩٧٧

٨١. ــ محمد بن أحمد بن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية، ١٩٩٢م ، ط١

٨٢. ــ محمد توفيق رمزي ، علم السياسة أو مقدمة في أصول الحكم ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٧،ط ٢

٨٣. ــ محمد جعفر الظالمي ، الفقه السياسي في الإسلام ، بيروت ، دار الحياة ، ١٩٧١م .

٨٤. ـــ محمد حسني فايد ، قطوف من رياض السيرة المحمدية ، القاهرة ، دار الزمان ، ١٩٩٥م .

٨٥. ـــ محمد خالد ، المرأة العاملة : تحديات الواقع والمستقبل ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٩م.

٨٦. ـــ محمد رشاد خليفة ، توجيهات من السنة في مجال الأخلاق والأسرة ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٨٤م .

٨٧. ـــ محمد سعيد البوطي ، فقه السيرة النبوية : مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، القاهرة ، دار السلام بالاتفاق مع دار الفكر المعاصر ببيروت ، ١٩٩٩م ، ط ٦

٨٨. ـــ محمد سويد ، السلام هو الحل ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، ١٩٩٢م

٨٩. ـــ محمد السعيد الأودن ، الإسلام وحقوق الإنسان : دراسات إسلامية للقضايا المعاصرة ، القاهرة ، بدون جهة نشر ، ٢٠٠٤م .

٩٠. ـــ محمد سليم العوا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، القاهرة ،المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٥م

٩١. ـــ محمد طلعت الغنيمي ، الأحكام العامة في قانون الأمم ، دراسة في كل من الفكر الغربي والاشتراكي والإسلامي : قانون السلام ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٠ .

٩٢. ـــ محمد عبد الشافي اللبان ، حقوق الإنسان المعاصر ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٧٩م.

٩٣. ـــ محمد عبد القادر حاتم ، الأخلاق في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأعمال الفكرية ، ٢٠٠٣م .

٩٤. ـــ محمد عبد الكريم نافع ، الأمن القومي ، القاهرة ، دار الشعب ، يونيو ١٩٧٥.

٩٥. ـــ محمد على أبو ريان : الإسلام السياسي في الميزان ، الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية ، بدون تاريخ.

٩٦. ـــ محمد غيتاني ، النضال المسلح في الإسلام ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٣م .

٩٧. ـــ محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م .

٩٨. ـــ محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، العدد ٧٩ مارس ١٩٧٥م .

٩٩. ـــ محمد فرج ، بدر والفتح قمة المعارك الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ، رقم ٤٧ ، ١٩٧٨م .

١٠٠. ـــ محمد فرج ، فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية ، القاهرة ، الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة الثالثة ، الكتاب الخامس والأربعون ، فبراير عام ١٩٧٢م.

١٠١. ـــ محمد فهمي عبد التواب ، محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٦٨ ، ١٩٧٥م.

١٠٢. ـــ محمد فؤاد عبد الباقي ،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ،مؤسسة جمال للنشر ، بدون تاريخ.

١٠٣. ـــ محمد كامل حته ، القيم الدينية والمجتمع ، القاهرة ، دار المعارف ،سلسلة إقرأ ،العدد ٣٨٦، يوليو١٩٨٣م.

١٠٤. ـــ محمد كمال الدين إمام ،الحرب والسلام في الفقه الدولي الإسلامي ،القاهرة ،دار الطباعة المحمدية ،١٩٧٩م.

١٠٥. ــ محمد ماهر ، الكفاح ضد الجريمة في الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف الإسلام ، الكتاب الثاني والسبعون ، يوليو ١٩٧٢م .

١٠٦. ــ محمد موسى عثمان ، الإرهــاب : أبعاده وعلاجه ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م .

١٠٧. ــ محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ، جـ٢ ، بيـروت دار الكتـب العلميـة ، ط ١ ، ١٩٨٧م ،١٤٠٧هـ.

١٠٨. ــ محمد محمد الفحام وآخرون ، محمد : نظرة عصرية جديدة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسـات والنشر ، ١٩٧٢ .

١٠٩. ــ محمود السعيد الطنطاوي ، الإسلام يرسم للمجاهدين طريق النصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سلسلة كتب إسلامية ، العدد ١٧١، ١٩٧٥م

١١٠. ــ محمود رزق محمود ، الأسرى في صدر الإسلام : دراسة تاريخية ، في دورية التاريخ والمستقبل ، المنيا ، كلية الآداب قسم التاريخ ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٩٩م.

١١١. ــ محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، بيروت ، دار الفكر، ١٩٧٢م

١١٢. ــ محمود غزلان، حقوق الإنسان في الإسلام، القاهرة، دار التوزيع الإسلامية،٢٠٠٢م ، ط١.

١١٣. ــ مراد هوفمان ،الإسلام كبديل ،الكويت ،مجلة النور ومؤسسة بافاريا ،سلسلة نافذة على الغرب رقم ١ ، ١٩٩٣م.

١١٤. ــ مصطفى محمود ، محمد عليه الصلاة وعليه السلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧، ط٣ .

١١٥. مفيد شهاب (تقديم) دراسات في القانون الدولى الإنساني ، القاهرة ، دار المستقبل العربـي واللجنـة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٠م ، ط١ .

١١٦. ــ منصور الرفاعي عبيد ، حقوق الآباء على الأبناء في المنظور الإســلامي ، بيـروت ، دار الجيـل ، ١٩٩٣م.

١١٧. ــ منصور الرفاعي عبيد ، الإسلام ورعايته للطفولة ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٩٢م .

١١٨. ــ منصور الرفاعي عبيد ، نظام الحكم في الإسلام ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠١م ، ط١.

١١٩. ــ منصورالرفاعي عبيد ، الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب، القاهرة ، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب ، سلسلة قضايا إسلامية ، ١٩٨٧م.

١٢٠. ــ منصور عبيد وآخرين ، حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام ، القاهرة ، الـدر المصـرية اللبنانيـة ، ٢٠٠٧م.

١٢١. ــ موريس إريك وآلان هو ، الإرهاب : التهديد والرد عليه ، ترجمة أحمد حمدي محمــود ، القــاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١م ، سلسلة الأعمال الفكرية.

١٢٢. ــ موسوعة الحديث الشريف للأئمة التسعة ، (C.D) صخر لبرامج الحاسب ، القاهرة ، الإصدار الأول ، ١٩٩٦م .

١٢٣. ــ المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية : مستقبل الأمة الإسلامية ، ٩ــــ١٢ مايو ٢٠٠٣م ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٣م .

١٢٤. ــ ميلاد حنا وآخرين ، صراع الحضارات والبديل الإنساني ، القــاهرة ، الأهــرام ، مركـز الدراسـات السياسية والاستراتيجية ، سلسلة كراسات استراتيجية ، رقم ٣٠ ، يونيو ٩٥ .

١٢٥. ــ نبيل أحمد حلمي ، تقديم دراسة استخدام القوة في العلاقات الدولية من منظــور القــانون الــدولي ، القاهرة – الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة دراسات دولية رقم ٢٩ ، ٢٠٠١ م.

١٢٦. ــ نصر فريد واصل ، محمد رسول الإسلام والسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشــئون الإســلامية ، سلسلة دراسات في الإسلام ، العدد ١٨٠ / ١٩٧٦م .

١٢٧. ــ هدى قناوي ومحمد محمد على قريش ، حقوق الطفل ، بين المنظور الإسلامي والمواثيق الدوليــة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٨م .

١٢٨. ــ هيثم مناع ، الإسلام وحقوق المرأة ، القاهرة ، مركز القاهرة لدراسات حقــوق الإنســان ، سلســلة مبادرات فكرية رقم ١٧ ، ٢٠٠١م .

١٢٩. ــ وائل أحمد علام ، الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان ،القاهرة ،دار النهضة العربية، ١٩٩٩م.

١٣٠. ــ يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجمود والطرف ، قطــر ، رئاســة المحــاكم الشــرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة ، شوال ١٤٠٢ هــ ، ط١.

المؤلف

الدكتور/إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

ــ من مواليد كفر الغنيمي مركز منيا القمح محافظة الشرقية عام ١٩٥٢م .

ــ دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩١م بمرتبة الشرف الأولى،وماجستير عن القيم السياسية بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة ١٩٨٧م .

ــ أستاذ م أدب الأطفال والإعلام تربوي.

ــ مدير عام التخطيط والمتابعة ــ وزارة الإعلام ، الهيئة العامة للاستعلامات .

ــ مدير عام نشاط وإصدارات الطفولة بوزارة الإعلام المصرية ورئيس تحرير مجلة مجلتنا.

ــ مستشار إعلامي بوزارة الصحة بدولة الإمارات العربية المتحدة عامي ٩٨ــ٩٩م.

ــ مشرف الموارد التعليمية بكلية ينبع الصناعية بالمملكة العربية السعودية في الفترة من ١٩٨٩ــ١٩٩٤م.

ــ عضو اتحاد الكتاب ونقابة الصحفيين.

ــ له من المؤلفات حوالي ٥٠ كتاباً منشوراً في السياسة والتربية والإسلام والعلاقات الدولية أهمها موسوعة مصطلحات عصر العولمة وموسوعة الطفل الحديثة وموسوعة الأذكياء وإدارة الصراع العربي الإسرائيلي والنظم السياسية وسياسات الإعلام والقيم السياسية في الإسلام والذكاء وتنميته لدى أطفالنا ، والابتكار وتنميته لدى أطفالنا ، وأدب الأطفال في العالم المعاصر ، ومنها كتب : الفطرة وقيمة العمل في الإسلام ، وجوانب من عظمة الإسلام، والإسلام ومقاومة المخدرات برابطة العالم الإسلامي بمكة ، وهناك كتب عديدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.. وغيرها ، بالإضافة إلى ٣٥٠ كتابا منشوراً للطفل العربي في مصر ولبنان والسعودية والإمارات بالإضافة إلى عشرات الأبحاث والمقالات في المجلات العلمية والثقافية العربية .

ــ الحائزة على جائزة الدولة لتبسيط العلوم ٢٠٠٦م

ــ العمل : مكتب بريد البانوراما ١١٨١١ مدينة نصر القاهرة ،

هاتف عمل٢٦١٠٧٤٠ فاكس عمل ٢٦٠٥٧٩٩، ٠٠٢٠٢/٢٦٠٥٦٥٢

هاتف منزل ٠٠٢٠٤٨/٢٥٧٣٨٢٦

ــ العنوان البريدي:٣ شارع غراب / قويسنا /

الرقم البريدي ٣١٦٣٢ محافظة المنوفية / مصر

البريد الالكتروني : kafe808@hotmail.com